

عُمانُ عبرِ التَّاريخِ

تأليف

الفقيه الفاضل الشيخ

سالم بن حمود بن شامس السبائي

الجزء الرابع

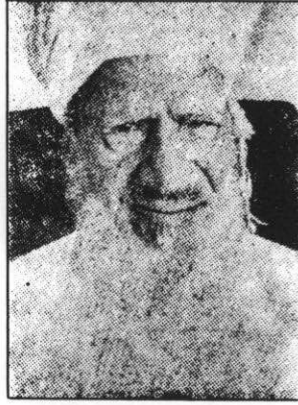
الطبعة الرابعة

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

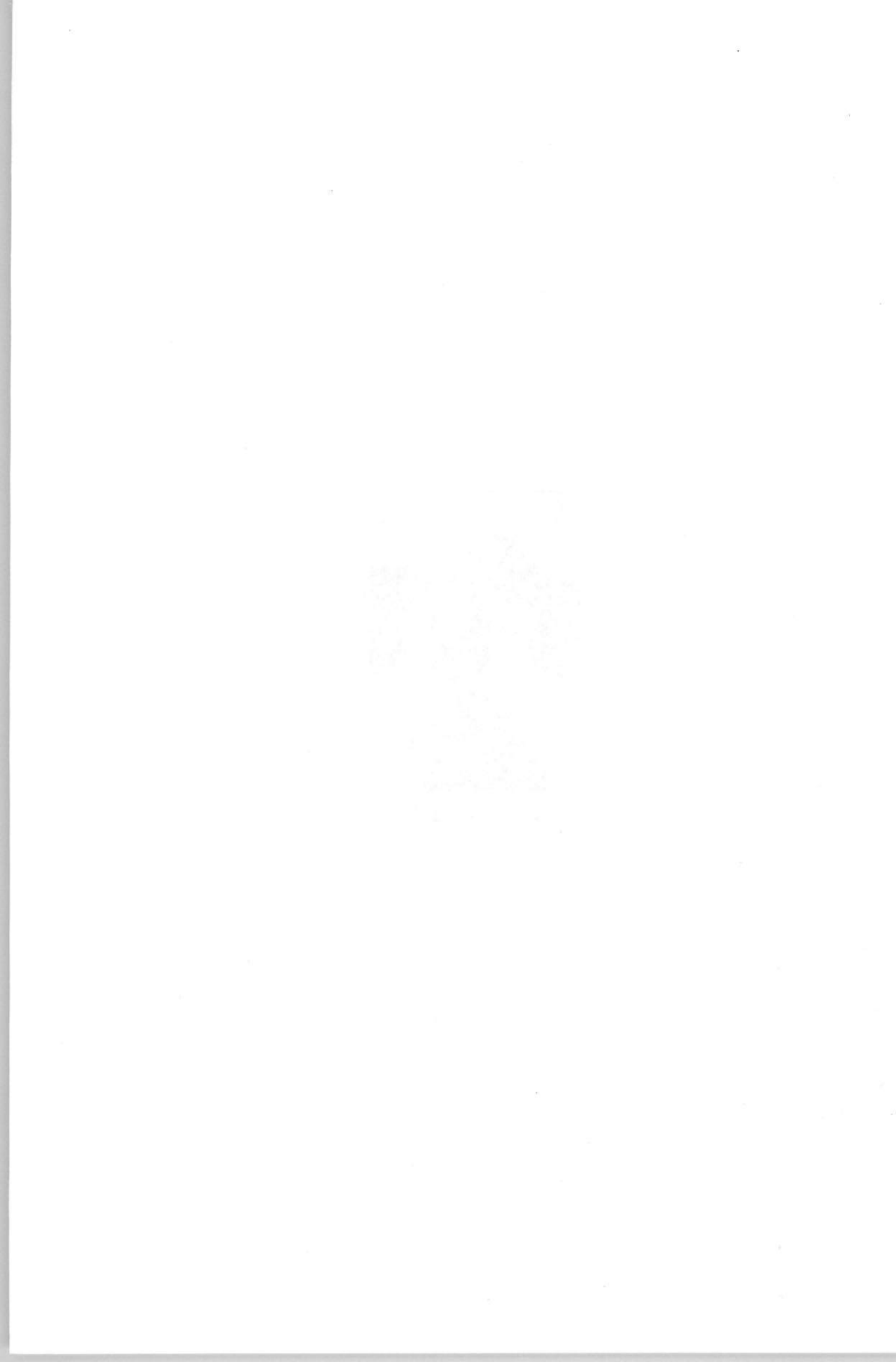
Handwritten text, possibly a title or header, appearing as a large, faint scribble.

Handwritten text, possibly a date or a short paragraph, appearing as a faint scribble.

Handwritten text, possibly a signature or a small note, appearing as a faint scribble.



مؤلف الكتاب



الإمام سيف بن سلطان ينظم الجيوش

كانت للإمام سيف بن سلطان همم عالية ، وكان له نشاط ملموس ، رأى أن الجهاد يحتاج الى استعداد بسلامح الوقت ، وكانت الخيل كما وصفها الله عز وجل قوة المسلمين ، وعدة الأئمة فأقبل سيف بن سلطان على جلبها من جميع النواحي ، وأنفق عليها الأموال الطائلة ، فاجتمع له أمر ليس بهين ، فكان جملة الفحول منها ستة وتسعون ألف حصان ، دخل بها أرض الهند ، فاجتاح ساحلها •

وإن جيشا يكون جملة الخيل فيه هذا العدد إنه لعظيم لم يبلغنا في تاريخ الدول التي قرأنا تواريخها ، حتى لم يجتمع هذا المبلغ لنبي الله سليمان بن داود عليه السلام ، فإن لهذه الخيل ركابا ولها سواس ولها بوارج تحمل طعامها ، فكم يتصور العاقل طعام هذه الخيل كل يوم ، وقد ساح هذا الجيش العماني برجاله الأبطال ، وصناديده الأقيال ، حتى لم يقف إلا في أفريقيا كما ذكره المؤرخون إلا الإفرنج المطلاعون ، الذين لا يحبون إشاعة هذه الأشياء للعرب على الخصوص ، وللمسلمين على العموم ، بل شأنهم يصغرون أهمية غيرهم من المسلمين وبالخصوص العرب •

الجيش البرى بعمان

يختار العاقل اذا وجه نظره الى الأحوال اليعربية ، ولا يقدر أن يتصور الحقائق كما هي ، فإن اليعاربة بعد استقرار أمر عمان في داخليتها ، اندفع اليعاربة على العالم الخارجى كالبحر يطمو على كل جهة ، لقد ملأ الإمام سيف بن سلطان مراكز عمان رجالا من صناديد الرجال ، وأبطلا أقامهم على بقية الأعمال ، ويفتكر الإنسان من أين هؤلاء الرجال ، وأين تربوا وهم بين الشيخ والقيصوم والضال ، أصبحوا يديرون أمور الأمة على أحسن نظام ، فهم في عمان في أعمالها عالمون ، وهم للجيش في الخارج قائدون ، وهم لفل الكفر مطاردون ، وفي أسرع وقت هم للمجد بانون ، فالقلاع برجال عمان مملوءة : والشعور بهم من العدو محفوظة ، والممالك الأخرى من رجال الأساطيل مرتاعة •

والعلم اليعربى العمانى على الكل خفاق ، واسم عمان جمال القرى والبلدان وأيام عمان زهراء نيرة ، وطلع العدل والإنصاف على ربوعها مشرق وقاده حيث البحر اذا زمجر وهاج ، رأى على هامته علم عمان كالتاج ، واذا زخر وماج ، سال على ظهره الذهب الوهاج ، واذا تلاطم وزمجر لأى بسيل على متنه الدم الأحمر ، هي عمان الحرة التى عرفها التاريخ منذ عهدها الأول ، الذى لم يزد الاسلام إلا إكبارا ، لو أهل عمان أتيت ما سبوك ولا ضربوك ، إنها القلعة الكبرى التى تنتظر إليها الأعين بالإعجاب ، وإنها نجمة الفجر فى الندى ، والشهاب الثاقب فى أيام العدل بين الشعوب •

الجيش البحرى العمانى

لقد جارى الإمام سيف بن سلطان العصر ، فنظم جيشا بحريا لا تزال بوارجه تمخر عباب البحر ، وتخوض مياهه يرف عليها العلم العمانى الأبيض ، الذى تحسبه قمر السماء يخفق على الخليج العربى ، وعلى البحر العربى حتى ينتهى برأس الرجاء الصالح فى عهد الإمام سلطان بن سيف ، قيد الأرض رحمهما الله •

وكانت مشاهير الأساطيل فى هذا العهد أولها كعب رأس أضخمها حجما ، وثانيها الفلك ، وثالثها الملك بسكون الدم ، وكان الملك مسلحا بثمانين مدفعا ، ومن هذه المدافع ومن عددها يتصور العاقل عظم هذه البارجة الحربية ، ورابعها الناصرى ، وخامسها الوافى ، وسادسها نزوى ، وسابعها منح ، وثامنها بهلى ، وتاسعها سمائل ، وعاشرها الرستاق ، وبعضها لها أسماء أخرى وألقاب فخمة ، ذكرها صاحب حياة الشرق •

فهذه البوارج بعضها كان غنمه العمانيون من البرتغال ، وبعضها من الأمم التى اصطلمها العمانيون ، وبعضها أهدتها الدول للإمام تحببا اليه وخوفا منه ، وجلبا لصداقته ، وفى التاريخ العمانى : كانت ثمانية وعشرين مركبا حربيا ، أى هذه التى تمخر عباب البحر ، عليها الرجال والمدافع لا غير •

أما السفن فأكثر من مائة سفينة ، قال : فى حياة الشرق ، فعدت دولة عمان فى هذا العهد الدولة الرابعة من دول البحار بعد صلاح الدين الأيوبى ، فكان العلم العمانى هو النجم الشرقى الذى يسير عليه الناس فى هذه الآونة ، فانظر أيها العاقل فى عمان بعهدنا النبهانى ، وقابله بعهدنا اليعربى ، وعمان هى لا غير ، وهكذا ومازال يخطب ود الإمام

المقريب والبعيد خوفا ورهبا ، وفي قصيدة الشاعر المنتفقى محمد بن صالح البصرى يقول مثيرا الى الأساطيل التى ذكرناها :

وانشد مراكبه التى صدمت مر
اكبهم وأهدتها بنادق حاميه
الملك ثم الفلك ثم الناصرى
مع كعب راس كالجبال الراسيه
كم أحرقت كم أغرقت كم أحرقت
من بريشة حزبية أو باغيه
كم غادرت جثث الكلاب مجافة
أو جيقة فى البحر تذهب طافيه
الفرس سلهم حين فروا بعد ما
نظروا فوارسهم أنتهم عانيه

الى أن قال :

آها على تلك الرئاسة والسياسة
والفراسة والخصال الزاكية

ومنها :

فسل النصارى ما رأوا فى بحرهم
والبر من تلك الجنود الغاشيه

لقد رأى النصارى من الإمام سيف بن سلطان ما ساءهم ، وللرحمانى ماليس لغيره من القوة ، وهو الذى بقى فى يد أحمد بن سعيد البوسعيدى وارث العرش اليعربى ، وهو الذى دخل به الجيش العمانى البصرة فى أيام الإمام أحمد بن سعيد ، إذ كان مسلحا بالألماس الثمين ، فقطع السلاسل التى أغلق بها مدخل البصرة وكذلك الصالحى غير بعيد عنه .

الإمام سيف بن سلطان يقبل على عمران عمان

لا يخفى أن صدر الإمام سيف بن سلطان كان واسع النطاق الى حد بعيد ، فإنه والحال كما عرفت عنه أقبل على عمران عمان من نواح عديدة •

منها أنه أقبل على خدمة أفلاج بعمان ما كان لها وجود ، أو كان لها شبه وجود ، فخدمها فأصبحت قرى طيبة يعيش فيها مئات من الناس ، بل آلاف كفلج البركة الذى بين نزوى وأزكى ، فصارت البركة من أبهج بلاد عمان •

ومنها فلج الصائغى الذى بالرستاق ، فأدخله فى حوش الحصن كما هو الواقع الحالى •

ومنها فلج البزيلي بالظاهرة من أعظم أفلاجها •

ومنها فلج الكوثر الذى هو فلج الحزم من ناحية الرستاق الموجود حالياً •

ومنها فلج برزمان من ناحية البدو من داخلية عمان •

ومنها فلج مسفاة وادى السحتن •

ومنها فلج مسفاة وادى الرستاق •

ومنها فلج الهوب ، ومنها أفلاج جعلان التى فى بلاد بنى بو حسن ، والفلج المعروف حتى الآن بفلج سوق الإمام بقى أطلال البناء حتى الآن ، ويقال إن جملة الأفلاج التى أجرها هذا الإمام المذكور بعمان سبعة عشر فلجا هذه التى ذكرناها وغيرها •

قال الإمام رحمه الله ، نقلًا عن بن رزيق وغيره • إنه غرس في عمان
أى في الداخلية ، وفي ناحية بركا من الباطنة من المبسلى وهو نوع خاص
من نخل عمان ، يطبخ بسرّه في حال عقاد قبل أن يصير رطبًا يطبخ ،
بالنار في مراحل معدودة ، ثم يجفف في الشمس قدر أسبوع ، ثم يساق
إلى الهند فيباع بأثمان وافرة •

غرس الإمام سيف من هذا النوع في بركا ثلاثين ألف نخلة ، ومن
النارجيل وهو المعروف بالجوز الهندي ستة آلاف نارجيلة • قال : وله
غير ذلك أموال في المصنعة من الباضة لا تحصى قال : وعمر عمان كثيرا ،
أى ساعد الأهالي وفي بعضها اشترك معهم ، ومن هذا النوع « حمرا »
العبريين ومنه السليف وأمكنة أخرى •

قال الإمام : وأجرى فيها الأنهار وغرس فيها الأشجار ، قال :
وجمع مالا جما ، وملك إماء وعبيدا • قال : وقويت عمان وصارت خير
دار • قال الإمام : قيل وكان شديد الحرص على جمع المال ، وقال :
في موضع آخر : وملك من الإماء والعبيد سبعمائة وألفا •

قال : وغرس بالجبل الأخضر أشجارا من الورس والزعفران ،
وجلب من سواحل أفريقيا ذباب النحل ، ولا يزال منذ ذلك العهد موجودا
بالجبل الأخضر •

قال بن رزيق بعد أن ذكر أعمال الإمام سيف بن سلطان قال : وغرس
ببئر النشاوة والروصة والمنذرية نخلا كثيرا وهذه آبار معروفة عندهم ،
قال : واشترى أموال بنى ملك ، وأموال بنى عدى من وادى السحتن
وقول أمير البيان : كان يملك ثلث نخل عمان ، غير بعيد بالنظر إلى
بيت المال الذى تحت يد الإمام ، فإنه ما كان يملك شيئا لنفسه ، فجمع
ما اشتراه وما غرسه وما اجتمعه لبيت المال ، فإن نزوى ثلثها بيت مال ،

وثلاثها أوقاف ، وكذلك بهلى وأزكى وسمائل ، ونخل والريستاق والعوابى
وبلدان الظاهرة أغلبها بيت مال الإمامة إلا ما شاء الله •

والأفلاج التى أحدثها الإمام كالبركة وكذلك بدبد كلها بيت مال ،
فبالنظر الى هذه الأحوال لا يبعد ما يقال ، وكان المال مع الإمام
محظوظا مصونا غير مضاع ، فقد روى أن بدويا جاء يسأل الإمام شيئا
من المال فلم يلتفت إليه أو لم يعطه ، فقال البدوى : كنا نأتى والدك
ونسأله فيعطينا ، فقال : « أبى سلطان وأما أنا سيف » •

والمعنى الظاهر أن أبى سلطان والسلطين من صفاتها العطاء ، وأما
أنا سيف وصفات السيوف قطع الرقاب ، وكان الإمام لم يرد أن يعطيه
فيتخذها عادة ، وهو سوى قوى ، بل أراد أن يحترف لنفسه ويترك
السؤال والطلب ، مع ما فيهما من مهانة وذل ، ثم إنه لا يروى غليلا ،
ومن عاش على السؤال عاش جائعا ، وبحفظ الإمام للأموال ألبس الدولة
قوة ، ووضع لها فى قلوب الناس هيبة ، وكيف لا وتلك الجيوش الجرارة
التى عرفت لها ودوخت العالم فى أيامها ، وقضت على المزاعم مطلقا ومحت
رسوم الاختصاصات وقطعت شأفة الفساد •

سلاح الدولة اليعربية

لما كان عهد الإمام سيف بن سلطان ، وعهد أبيه قبله وولده سلطان الثانى ، كان سلاح الدول الذى له الشأن فى الوقت الحالى المدافع التى ترسل إليها الطلقة من فوهتها ، فتلقى فيها كيماس البارد ، ثم يلقى الرصاص المصبوب من الحديد ، ثم ترسل النار على البارود من ثقب يكون له اتصال عاجل به ، فتثور ناره المزعجة ، وهكذا •

فجلب الأئمة اليعاربة من هذا السلاح شيئا كثيرا زودوا منه الحصون والقلاع والبروج ومرصد القتال ، وجعلوا أهمه على حصون البحر وهى البوارج المحيطة بالجزيرة من شتى الجهات ، ويكفى برهاننا على ما قلنا ما بقى من ذلك السلاح على عهدنا منه ما دفن تحت الأنقاض بعد ما تبدل الموضع ، منه ما انفثق عند إطلاقه حين يخالف القياس ، ومنه ما بقى فى القلاع حتى الآن تذكارا لذلك العهد ، ومنه ما هو مكتوب عليه سيف بن سلطان ، ومنه ما هو مكتوب عليه قيد الأرض ، ومنه ما هو مكتوب عليه أسماء ملوك آخرين كعباس خديوى مصر ، وهذا يوجد فى حصن بدبد ، ولعله أهدى للإمام من ملك مصر المذكور •

ويكفى تذكارا من هذا النوع ما بقى فى حصن الحزم ، وقلعة الرستاق ، وهذه الأسلحة التى ذكرناها كانت موجودة بعمان بكثرة ، وهى أكبر دليل على القوة العمانية ، وقد علمت أن الملك كان يحمل ثمانين مدفعا فما ظنك بغيره • إن الله يعز من يشاء ويذل من يشاء ، والحمد لله •

الإمام سلطان بن سيف بن سلطان

وهو المعروف بسلطان الثانى ، قال أمير البيان فى تعليقه : نقل هذا كرسى المملكة الى مدينة الحزم ، أى جعل الحزم عاصمته ، قال ابن رزيق : بنى حصن الحزم وانتقل من الرستاق إليه أ ه •

ولما كان لكل نفس أمل ، ولكل انسان عمل ، ولكل قلب هوى ، وقد علمت ما كان لأبائه وأعمالهم ، وهواية كل واحد منهم ، أما سلطان الأول فهوايته رفع شأن نزوى وإعلاء قدرها ، وكانت رغبة بلعرب ابن سلطان التوسع فى واحة جبرين حين توسع نطاق الدولة ، ورآها تردلف إليه لا محالة ، وأن جبرين أوسع من نزوى لا سيما لمثل تلك الأيام الزهراء المشرقة ، وكانت همة أخيه سيف بن سلطان فى تنظيم الجيوش برية وبحرية ، كما مر عليك ذلك أيها القارىء الكريم •

وكانت رغبة ولده سلطان فى موقع واحة الحزم ، إذ رأى أن الرستاق لا تصلح أن تجعل عاصمة ، إذ هى مكتظة بالجبال ومزدحمة بالسكان ، ورأى الحزم أرضا مكشوفة تتصل بسهولة بالباطنة ، ففتسع لكل ما يرام فيها من مناخ ومساكن وغيرها مما يقتضيه الوقت ، فقام ببناء الحصن فيها ، وأنفق فيه أموالا طائلة ، وجعله آية الدهر وروعة الفكر فى ضخامة أركانه ، ومتانة جدرانه ، وقوة حيطانه ، من رآه من خارج لا يستكبره ، ومن رآه من داخل يحترق فيه فكره ، ويندهش فى صفته وتصوره ، وإذا أراد الواصف أن يصفه أذهلته عظمته ، ولن يهتدى لدخوله غريب أبدا ، ولو أخذ مدة فإن فيه آبارا تعلن خطر الداخل بغير دليل •

قال الإمام السالمى رحمه الله : وبنى حصن الحزم بالجص والحجر ، قال وانتقل لبنائه من الرستاق ، وأنفق فيه أى فى بنائه مما ورثه من المال من أبيه ، وقد علمت الأموال التى جمعها أبوه ، قال : واقترض كثيرا من أموال المساجد والوقفات ألوفاء ولكوكا ، قال : ووجدت أن جملة ما اقترض من أموال الأوقف خمسمائة فراسلة فضة •

قلت : هذا أمر عظيم يدل على يسر عظيم ، فإن خمسمائة فراسة فضة بعرفنا الحالى عن خمسة وعشرين بهارا فضة من خصوص الأوقاف ، وهذا يفوق المليارات ، فما ظنك ببقية الأموال •

ودخله الشيخ سليمان باشا البارونى رحمه الله ، فقال : ما كنت أظن تبنيه أو قال تبنى مثله إلا ملوك أوربا ، ويختار العاقل فى إدخال تلك المدافع التى فيه بأى وسيلة أدخلت فيه ، مع أن ناقلات العصر لا توجد فى ذلك العصر •

عقد البيعة للإمام سلطان بن سيف

لا يخفى أن إمامة سلطان بن سيف كما هي بطبيعة الحال تبع لإمامة أبيه سيف ، ولما مات الإمام سيف لم تبعد أهلية الإمامة عن ولده لوفور متطلبات الإمامة في هذه الذرية التي بارك الله فيها ، وجعلها حجة في عباده ، وهدى ورشادا في بلاده ، لما قضى الله على الإمام سيف ، وأعلام الإمامة ترف على الأصقاع النائبة عن عمان ، وجيوش الدولة سائحة في البلاد ، اجتمع العلماء الأجلاء في ذلك العهد ، وهم المشايخ : عدى بن سليمان ، والشيخ خلف بن محمد بن خميس ، والشيخ سليمان ابن محمد بن ربيعة الربوعي ، والشيخ سعيد بن علي الذي أطلق عليه اسم الوالى ، والشيخ ناصر خميس ، والشيخ خلف بن سنان ، والشيخ ناصر بن سليمان بن مداد ، ومعهم بقايا من أهل العلم والفضل ، لأن أمر الإمامة كبير ، ومنصبها خطير في جميع الأمور .

قال الإمام : وكلهم ثقات فقهاء في هذا الزمان فيما قيل ، وكان الإمام يحكى هذا الكلام عن الناقل ، قال : وأناس من أهل الغشب أى مع المذكورين أناس من أخيار الغشب بلدة من الرستاق ، مسمون وغير مسمين ، أى منهم مذكور باسمه ومنهم غير مذكور ، قال : وكذا أهل الرستاق مع كثير من المشايخ اليعاربة ، قال : وبلغنى أنهم استتابوه أى استتابوا سلطان المذكور ، لأنهم يعدون عليه أشياء من أعمال أبيه قيد الأرض الذى دخل في الأمر من غير وجهه ، قال : وهو يحكى القضية نقلا عن غيره ، قال : وفي هذا الكتاب الذى أرسل الينا أن المسلمين رضوا به وأذعنوا له بالسمع والطاعة على شروط شرطوها ، وعهود

عليه أخذوها منه ألا يتقدم على أمر قليل ولا جليل ، إلا برأى المسلمين مع أشياء يطول ذكرها .

قلت : ليتهم ذكروها لأن التاريخ يطلبها . وقال العبد الفقير سعيد ابن بشير الصباحي قد ألزمت نفسى ولاية هذا الإمام ، وطاعته مع ما صح معى وصحت حجته على يد المسلمين ، وصحت عقده وهو سلطان بن سيف بن سلطان ، قال : وعندى - والله أعلم - أن إمامته فى ظاهر الأمر أوجب من إمامة أبيه ، لأن المسلمين دخلوها . قال : وحكم التقية زال عنهم فيما بلغنى . قال : وعندى أن طاعته واجبة على جميع الرعية ، وولايته لازمة لجميع من صح معه صحة إمامته ، كان من رعيته أو من غيرها . قال : وقد قيل لى فى حصن المسلمين بنزوى ، بحضرة المشايخ ناصر بن خميس ، وناصر بن سليمان ، وسليمان بن محمد ، ودرويش بن جمعة وغيرهم من المسلمين ، ما تقول فى هذا الأمر ؟ فكان جوابى : إبنى قد ألزمت نفسى وولايته وطاعته ، ودعوت إليها من أجابنى ، قال : وقد افترقنا على أمر واضح نهار سابع ، عشية تاسع ، وبكرة اثنى عشر من شهر رمضان .

قال الإمام : يعنى أنه حصل لهم النظر فى هذا الأمر ثلاثة مجالس ، قال : وقد اتفقنا على إمامته بلا كراهية ولا تقية من الجميع ، قال : وهذا يقتضى جواز الدخول ، وتنفيذ الأحكام مع الأخذ والعطا ، وجميع أمور المسلمين بعد التحديد منه وفيه وقبله فيه اختلاف لمن جاز له الدخول ، قبل ، قال : وكتب سالم بن عبد الله من إملاء الشيخ سعيد ابن بشير الصباحي .

قلت : كان هذا الشيخ من رجال العلم إذ ذاك ، وفى مقدمتهم ، وكان أول الكلام عنه يقول الإمام ، وكتب العلامة الصباحي لبعض

إخوانه إن سيف بن سلطان صح معنا موته ، ثم صح معنا تقديم المسلمين
ابنه سلطان إماما لكافة المسلمين ، تلقفت صحة ذلك من الفقيه ناصر بن
خميس ، وخلف بن سنان رحمهما الله ، وكان هذا الشيخ لم يكن مع
الحاضرين للعقد ، وإنما كان يسكن قرية بنى صح التي هي الآن من
أعمال الحمراء ، ولكن بعد ذلك دخل في الأمر ، وتحقق الحق ، وما كان
يعد على هذا الإمام من أول الأمر ، إلا دخوله فيما دخل فيه أبوه ،
وأمر أبيه كان فيه ما فيه مما ذكره المسلمون ، ولما أرادوا منه تويته
تاب وقبلوا منه ذلك ، ولم يعدوا عليه شيئا فيما بعد ، والله يعلم المصلح
من المفسد ، والله يتولى من عباده الصالحين •

الإمام سلطان يتحفز لجهاد الأعداء

لما رأى العجم تقلص ظل البرتغال من الخليج ، تحركوا للبحرين ، فاحتلوها ، ولما رأى الإمام العجم يرومون أن يحلوا محل البرتغال في بلاد العرب ، وهم لهم بعمان سوابق شر ، جهز لهم الإمام جيشا بقيادة الشيخ حمير بن سيف بن ماجد ، وعضده برجال من أهل عمان الذين تعودوا الحروب ، فزحف الجيش على البحرين ، ودارت رحى الحرب بين الفريقين ، فاندقت العصا الفارسية بالصخر العماني فكسرها ، وفر العجم من البحرين ، وتوالت عليها الولاة العمانيون الى أن كان آخرهم سيف بن ناصر بن محمد الغافري الذي بنى حصن العينين من خراج البحرين كما سوف ترى ذلك في محله إن شاء الله .

وقد أشار الإمام السالمى رحمه الله الى ذلك بقوله ، نقلنا عن ابن رزيق وسرحان بن سعيد قال : ثم إن الإمام قام واستقام وجاهد الأعداء في البر والبحر ، وحارب العجم في مواضع شتى ، وأخرجهم من بلدانهم ودمرهم في أوطانهم ، وأخذ البحرين والقسم ولاك وهرموز ، أى اجتاح هذه الأماكن حيث هى على خط الساحل في الخليج العربى ، وكانت هرموز فتحها الشاه عباس وطرد البرتغاليين منها فاستلمها الإمام منهم ، ثم سحب على الباقي واجتاحه ، ولم يقف له معارض أبدا ، ومازال الساحل الإيرانى على الخليج العربى بأيدي العمانيين الى عهد قريب ، سوف نذكره إن شاء الله .

والى قضية البحرين التى يترنم بها شاعرنا الحبسى فى قوله :

ألا فانظروا كيف الأعاجم صاروا
غدوا شجرات مالهن قرار
طفوا وبنغوا في الأرض حتى أصابهم
عقاب أليم مهلك ودمار

ومشى فيها الحبسى المذكور الى أن قال في آخرها :
وقد صارت البحرين في ملك سيد
كريم زكى فرع له ونجار
سلالة سيف نجل سلطاننا الذى
لنا أمنت سوج به وقفار

وقد قتل في وقعتها قائد السرية المذكور ، وراشد بن عزيز ، ومبارك
ابن غريب ، ومحمد العضد الحضرمى الذين هم أركان الجيش العمانى فى
هذه الحرب البحرينية الفارسية ، فرف العلم العمانى الأبيض البراق ،
الذى يضاحك السلاح الأبيض ، والوجوه البيض ، والمعائم البيضاء ،
وكان البطل الحضرمى ممن يقدم على العدد الوفير فى الجيش ، والى
هؤلاء يشير الشاعر بقوله :

وما ضرنا من غير موت كرامنا
لأنهم عدل بها وخيار
كحمير الزاكى بن سيف بن ماجد
فى بعده النوم اللذيذ مطار
ونجل عزيز وراشد ومبارك
سليل غريب هم هديت ذمار

ولم أنس ذاك الحضرمي محمدا
فموتته للمسلمين خسار
شجاع كفاح لم يقاومه ضيغم
وعضب وغى لم ينب منه غرار

ومن هنا تعلم مقام الدولة اليعربية وقوتها ، حيث أصبحت بلاد
العرب على البحر الأحمر تحت رايتها ، والخليج العربي كذلك ، والساحل
الهندي كذلك ، والجزائر الأفريقية أكثرها . فأكبر بعمان في ذلك العهد
وأعظم بتلك الدولة اليعربية .

وقد أقبل سلطان الإمام على عمران عمان مطلقا ، وحسبنا هنا
ما قوله فيه الإمام السالمى رحمه الله حيث يقول : وهم أن يجعل عمان
كجنتى مأرب ، وهو الذى يقول لأن أعاشنى الله لأجعلن المسافر للحج
يخرج من عمان بلا زاد ، يعنى سيعمر البلاد العربية التى يمر فيها
الحاج من عمان الى مكة ، لأن البحر الأحمر معهم والى البحرين كذلك ،
ولم يبق إلا اليسير فى ذلك العهد ، وهذه كانت نيته لو أراد الله لأهل
عمان خيرا لأطال عمر تلك الدولة ، ولكن أمر الله محتوم من الأزل ، والله
أمر هو بالغه وحكم هو نافذه .

قال رحمه الله : وتوفى بحصن الحزم الذى بناه للعة والمنعة ، فكان
من قدر الله أن صار موضعا لوفاته ، ومحلا لجنته بعد مماته ، قال فدفن
فيه فى البرج الغربى النعشى ، قال : وهذا الحصن غاية فى التشييد ،
وهو من عجائب الدنيا ، قال ذكر لى بعض الأصحاب أنه ألف فيه أى فى
وصفه وفى بنائه كتاب نظما ونثرا ، فالنظم قصيدة ميمية ، والنثر شرحها ،
ولم أقف على هذا الكتاب .

قلت : وقفت عليه أنا أيام الصغر عند مشايخ بنى خروص أهل سمائل ، وقرأت بعضاً منه ، ولم يتح لى القدر نسخه ونسخت منه القصيدة بطولها لتبقى عندى تذكرا ، وعندما حاولت كتابة هذا التاريخ لم يساعد الحظ على الوقوف على هذا الكتاب ، وكان فيه تاريخ هذا الإمام العادل البطل وهذا مطلع القصيدة المشار إليها :

لقصر بكر العلى والمجد والكرم
قصر نشا فى مقر العز بالحزم

هذا البيت الوحيد فى ذاكرتى منذ أكثر من خمسين سنة ، وبهذا يضع التراث العماني ويتلاشى التاريخ ، وكان فى هذا الكتاب من أعمال اليعاربة شىء غير هين ، ولكن ماذا نقول ، ولا حول ولا قوة إلا بالله أن عدم نشر الكتب بالطبع يمحى المآثر ، ويدمر الأعمال ويخفى أفعال الرجال ، وأقول بحق إن كل واحد من أئمة اليعاربة له تاريخ مستقل ، إلا أن عدم الاهتمام بذلك أضاع الحقائق ، والذى كتبه عنهم المتأخرون هو لقط ما تبعثر هنا وهناك ، وبعضه تلاعب به النساخ ، وبعضه قضى عليه الأعداء والأمر لله .

قال الإمام : وتوفى أى الإمام سلطان بحصن الحزم الذى بناه للغزة والمنعة ، فكان من قدر الله أن صار موضعاً لوفاته ومحلاً لجثته بعد مماته فدفن فيه فى البرج الغربى النعشى . قال : وهذا الحصن غاية فى التشييد الى آخر ما سبق من الكلام فيه ، قال : وكانت وفاة الإمام سلطان يوم الأربعاء لخمس ليال خلون من جمادى الآخرة سنة ١١٣١ إحدى وثلاثين ومائة وألف ، قال : وكانت إمامته سبع سنين وتسعة أشهر ، قال : وبموته انفتق الشر بعمان ، وجرت فيهم العصبية والحمية ، قال : وأرادت الرؤساء أن تجعل الدولة ميراثاً .

قلت : هذا هو غالب أحوال الأمة جاهلية واسلاميا ، اذا استمر الأمر في قوم عضوا عليه بالنواجذ ، ورأوا أنهم أحق بالأمر من غيرهم ، ولم ينظروا الى أصل الأمر ، وأنه الصلاح والعدل وهكذا ، ويرى أن الذي كان الأمر الى أبيه أو الى قريبيه ، كان أسرع انقيادا اليه ولذلك يميلون اليه ، وإن كان مفضولا من الناحية الدينية ، إلا أن انقياد الناس اليه أسرع ولقبول أمره أطوع •

إمامة الإمام مهنا بن سلطان

ابن ماجد بن مبارك بن بلعرب اليعربى كان هذا الإمام المهنا بن سلطان على المنزلة فى العائلة اليعربية ، مرموق المقام فى الأمة العمانية ، ولذلك تزوج بنت الإمام سيف أخت الإمام سلطان الراحل ، قال أمير النبيان : مات سلطان تاركاً ولدين ، أحدهما اسمه سيف وكان يافعاً والآخر ، مهنا وكان بالغاً رشيداً ، فانقسم الناس فى أمر الخلف ، إذ بعضهم أرادوا سيف إماماً والآخرين اعترضوا من جهة حداثة سنه ، وأرادوا مهنا ، وكان هوى العامة مع سيف ، وهوى الخاصة والعلماء مع المهنا ، وكان لذلك العهد رجل عظيم الوجاهة نافذ القول اسمه الشيخ عدى بن سليمان الدهلى ، فتدخل فى الأمر فى أثناء الفتنة ، فنادى بسيف إماماً ولكنه كان يفتح الهمزة أى أمامكم بمعنى قدامكم ، والعامة لا تفرق بين معنى الفتح والكسر .

قال : وسكن بذلك العامة ريثماً انقطعت تلك الهيعة فأدخلوا مهنا القلعة سرا ، وجعلوه إماماً سنة ١١٣١ الموافق سنة ١٧١٨ والمعنى أن العامة وهم طعام الناس وغوغاؤهم ، وهم البلاء العام فى الاسلام ، وكانت سياسة الشيخ الفقيه عدى بن سليمان ، وهو الركن الأكبر فى هذه الحركة السيئة ولو أنه تناول الأكبر وفاكرهم فى هدوء واطمئنان ، وبين لهم الحقائق وأرضاهم من ناحية الدنيا التى يطلبونها حتى تستقر قواعد الأمن على قرارها ، وبعد ما يرى اليد قد قويت يستدرج القوم زرافات ووحدانا ، ولكن ما قدر لآبد من كونه ، ولقد انتفخ أهل الكبر والبطر فركبوا ظهر الشقاق غير مبالين ، وكل غرضهم من هذا أن تكون لهم بذلك عند سيف بن سلطان يد يتسلطون بها على عباد الله ، وإلا فما

بالهم يعارضون العلماء ، وقد علموا أن الإمامة لا تقوم إلا على محور العلماء ، ومن هنا ينبعث الشر ، ويقوم في الأمة الأمر المضر ، ولقد أراد الله أن يمحس المؤمنين الذين ابتلاهم بأمر الدين •

قال أمير البيان : وكان مهنا على جانب عظيم من الحذق والمهارة وطول الباع في الإدارة ، فإنه بدأ يجعل مسقط مرفأ حرا بأن أسقط المكوس وسائر ما يؤخذ على البضائع مما زاد حركة الأخذ والعطا ، قال : وبشر بمستقبل عظيم إلا أنه افتلت بأمر لم يكن يفتن له ، وهو أن أهالي الرستاق ونفس عشيرته قاموا يطلبون الإمامة ليعرب بن بلعرب ، ورفعوا لواء العصيان ، وزحفوا الى مسقط ودخلوها ، وقعد الآخرون عن نصره مهنا • قال : فاعتصم بقلعة الرستاق ، ومعنى هذا أنهم احتلوا مسقط وتولوا أمرها ، وهو بالرستاق لم يجد من يناصره فيقوم معه ، وبعد ذلك زحفوا على الرستاق مصممين على قهره وانتزاع البلاد من يده راضيا أو كارها ، وماذا كان جرمة أظن كونهم أدخلوه قلعة نزوى على حين غفلة من الناس ، وبايعوه وأعلنوا إمامته ، وكان الرؤساء وأتباعهم يعهدون للإمام سيف بن سلطان الذي يريدون أن يتلاعبوا بدولته •

فتأمروا عليه هم والمتنطعون من بقية اليعاربة ، وبذلك أصبح السواد الأعظم عليه ، والأقلون معه قال : ثم داخلوه في الأمان فأمنوه وسلم لهم القلعة ، فلما صار في أيديهم ورأوا أنهم الغالبون عليه باقوه وقتلوه سنة ١١٣٣ •

قلت : هنا ارتكبوا أمرين عظيمين ، أولا أمنوه على العهد والميثاق ثم قتلوه بعد الأمان ، أمران أسهلها عظيم عند الله ، بل أصل قيامهم عليه مصيبة كبرى ، ولا بد أن تكون الثمرة لهذه الأعمال كبيرة تمحق

الدين وتهدم الشرف وتقطع أعضاء دولة المسلمين التي بناها أولئك الأئمة
الغر الميامين •

قال الإمام السالمى وكذلك سرحان بن سعيد وابن رزيق : أن مهنا
بن سلطان بن ماجد بن مبارك بن بلعرب • وهو الذى تزوج بنت الإمام
سيف أخت الإمام سلطان ، بايعوه بعد موت الإمام سلطان فى ذلك
الشهر بعينه • قال : رأوه أهلا للإمامة لكونه ذا قوة عليها ، أى والحال
فى مثل ذلك الوقت يستدعى القوى لحمل الأمانة الكبرى • قال : ولم
يكن كثير علم لكنه يتعلم ويسأل ولا يقدم على أمر إلا بمشورة العلماء ،
قال : وسبب بيعته أنه لما مات الإمام سلطان أرادت اليعاربة ، ورؤوس
القبائل أن يكون الإمام ولده سيف بن سلطان ، وكان صبيا لم يراهق ،
وأراد أهل العلم وبنت الإمام سيف بن سلطان أن تكون الإمامة لمهنا بن
سلطان ، وهو ابن عمهم لأهليته ، وقال أهل العلم للناس : إن إمامة
الصبى لا تجوز على حال ، ومن لا يجوز أن يكون إماما فى الصلاة ،
فكيف يجوز أن يكون إماما على المسلمين يتولى أحكامهم ويلى أمورهم فى
الدماء والفروج ، والتولية للمولاة والقضاة والعزل والولاية والبراءة ،
وهذه أمور تستدعيها الإمامة الكبرى ، والصبى لا يجوز أن يقبض
مال يتيم ، بل لا يجوز أن يقبض مال نفسه فكيف يجوز أن يقبض مال
الله ومال الأيتام والأغيب ومن لا يملك أمره ، فكيف يملك أمر غيره •

قال : فأبت العامة إلا إمامة الصبى ، وأعاروا العلماء أذنا صماء ،
وتجمعوا واجتمعوا بالسلاح ، وربما أشهروا سلاحا ووقع بعض الجراح ،
وعند ذلك خاف العلماء الفتنة وشق عصا المسلمين كبير فى الدين ، وإذا
بالبلية الدهياء لتبرز فى الميدان لتأخذ دورا فعلا • قال : فخاف العلماء

الفتنة وانتشار الشر ، فقال القاضى عدى بن سليمان الذهلى ، وهو
العنصر الأكبر إذ ذاك فى الإمامة ، إذ هو القدوة الصالحة ، قال : أمامكم
سيف بن سلطان بفتح الهمزة أى قدامكم ، وأراد بذلك تقريقتهم وإطفاء
الفتنة فعند ذلك نادى العامة بإمامة سيف بن سلطان ، وضربت المدافع
أى أطلقت إظهارا للأمر وإشهارا للإمامة ، وانتشر الخبر الكاذب فى
البلدان أن الإمام سيف بن سلطان ، قال : فلما سكنت الحركات وهدأت
الناس أدخلوا الشيخ مهنا الحصن خفية ، وعقدوا له الإمامة فقام
بالأمر واستراحت الرعية فى زمنه وحط عنهم المعشرات فى مسقط لأنها
الميناء الوحيد لعمان ، قال : ولم يجعل بها وكيلاً لهذا الصدد ، قال :
وربحت الرعية وراجت التجارة ، ورخصت الأسعار ، وبورك فى الثمار
ولم ينكر عليه أحد من العلماء فى شىء من سيرته •

قال : لبث على ذلك سنة ، ثم خرج عليه يعرب بن بلعرب بن سلطان
ولد الإمام المحصور فى جبرين ، قال : وسبب ذلك أن اليعاربة وأهل
الرسثاق أضمروا العداوة للإمام ، مهنا وللقاضى عدى بن سليمان ومن
معهما من المسلمين بسبب ما وقع عند بيعة مهنا ، أى جعلوا ذلك ضغناً
وحقداً فى قلوبهم ، وظلوا يتحينون الفرصة لهذا الصدد ، وهنا فتح لهم
الشیطان الباب الذى يدخلون منه على الإمام •

قلت : وأنا أعتقد أن ذلك لسوء سياسة عدى بن سليمان ومن معه ،
حيث رأوا تعصب السواد الأعظم لسيف بن سلطان ، ونادوا به إماماً
وأطلقوا المدافع ، وجاءت القبائل تلتقى إليهم إذعانها ، وبعد ذلك ما شعروا
وهم على ما هم عليه ، وإذا بمدافع القلعة تطلق معلنة إمامة مهنا ، وهذا

مما يدعو الى التحاقد والتاغض والتنافر ، وعلى كل حال إن السواد الأعظم هو البلاء الأكبر على المسلمين ، ولذلك ترى الأمر كما أشرنا اليه •

قال : فلم يزالوا يكتابون يعرب بن بلعرب ، ويحرضونه على القيام بأمر سيف المخدول بحسب ما في نفوسهم ، وعلى الخروج على مهنا حتى خرج المذكور ، فسار مختفيا الى مسقط ، فدخل الكوت الشرقي أى الحصن الجلالى ، قال : ووالى مسقط يومئذ الشيخ محمد بن مسعود الصارمى المقدم ذكره فى حروب الإمام سلطان ، قال فلم يشعر إلا ويعرب قد دخل الحصن قال : ولعل أهلها لم يخلوا من خيانة •

قلت : لو لم تكن خيانة كيف يدخل ، واذا دخل كيف يستقر قراره والحال أنه معتدى •

قال : وكان الإمام خارجا الى فلج البزيلي من أرض الجو ، فبلغه الخبر فرجع الى الرستاق ، وقام وشمر عن ساق الجد ، ورام النهوض على هذا الثائر الذى لم يدخل الأمر من بابه ، وطلب من أهل الرستاق للنصرة فخذلوه ، وهذا الداء العقيم فى الأمة تراهم يقومون به مع من يهون بالمال والرجال فى رغبة ونشاط ، وحينما تراهم يخلدون الى الأرض ، ولم يكف أهل الرستاق أنهم خذلوه فقط ، بل ناصبوه الحرب حتى ضاق ذرعه ، ولم يكن بالقلعة استعداد كاف ، فطلب الأمان على العهد والميثاق أن ينزل من القلعة فأعطوه عهد الله وميثاقه على نفسه وماله ومن معه ، ففكر فى أمره ، فرأى أنه مخدول إذ لم يقم له مناصر ومسقط قد خرجت عنه وهو بقلعة الرستاق محصور ، ولم يكن له مناصر يدافع عنه المحيطين به فقتين له الخذلان من أهل عمان ، فأجابهم الى

ما أعطوه من الأمان فنزل من القلعة فزال ذلك إمامته • قال : فأخذوه وحبسوه هو وواحد من عمومته وبعض أصحابه ، وبعد ذلك خشبوه في قيد وخشبة هو ومن معه وأذلوه ذلا لا مزيد عليه ثم لم يكتفوا بذلك بل جاء خدامهم فذبحوه في خشبته هو وأصحابه كما يذبح الخروف ، لا حيلة لهم ولا أى حركة يستطيعون •

قال : واستقام الأمر ليعرب بن بلعرب بن سلطان ، قال : ولم يكن يدعى الإمامة لنفسه ، وإنما يدعيها لسيف بن سلطان الصغير الذى نادوا بإمامته أولا ، وكان يعرب المذكور قائم بأمره ، وشاد لأزره وسلمت لهم جميع حصون عمان وقبائلها ، قال : كان هذا في سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف فلبث على ذلك حولا ، ثم انقلبوا اليه وبايعوه إماما بعد ما كان محافظا لأمر سيف بن سلطان ، فهاتان اثنتان كل واحدة أكبر من أختها الأولى خروج سيف بن سلطان على بلعرب وحصره له في حصن جبرين حتى مات غما •

والثانية هذه التى فعلوها في مهنا وأصحابه وإنما لفعلة منكرة لا يرضى بها من له أدنى مروءة في عدوه فضلا عن أخيه وابن عمه ، هنا بدأ الملك العضوض لهذه الدولة العلية التى تحدثنا عنها ، وكان كما علمت خرج على الإمام مهنا باغيا • قال : فتاب من بغيه ورد الأمر الى القاضى عدى بن سليمان الذهلى زعيم العلماء إذ ذاك ، قال : فاستتابه من جميع أفعاله ومن بغيه على المسلمين ، وتعديه على مهنا بن سلطان واغتصابه لدولة المسلمين •

قال الإمام السالى رحمه الله : قالوا : وكان يعرب مستحلا في خروجه هذا لأنه يظن أن الإمامة لسيف ، وأنها قد غصبت منه • قال : فلم ير الشيخ عدى عليه ضمان ما تلف لشبهة الاستحلال والمستحل لا يلزمه غرم ما أتلف فقبلوا توبته من غير غرم ، هذا ، ما أورده المؤرخون العمانيون ونقله الإمام عنهم في هذا المقام •

إمامة يعرب بن بلعرب بن سلطان بن سيف

قال أمير البيان : وتولى يعرب في البداية باسم سيف بن سلطان الصغير ، قال : ثم جعل نفسه إماما أصيلا ، قال : وأخذ حكما شرعيا من قاضى ذلك الوقت بأنه أحرز الإمامة بحق ، وأنه ليس بعاص ولا خارج ولا غاصب ، حتى إن الأموال التي اغتصبها هي حل له ، بحجة أن التوبة تكفى عن الذنب ، وكانت البيعة سنة أربع وثلاثين ومائة وألف ، فاستقام له الأمر وسلمت له حصون عمان ، ولبت في الرستاق أياما يسيرة ، ثم سار الى نزوى فدخلها يوم تسعة وعشرين من شعبان من هذه السنة .

قال الإمام : فلم يرض إمامته أهل الرستاق فتنصبوا لسيف بن سلطان الصغير ، فكاتبوا يعرب بن ناصر اليعربى وهو خال سيف بن سلطان ، وكان بنزوى مع سيف المذكور ، قال فما زالوا به حتى خرج بعد ما نفخوا في دماغه ، فخرج من نزوى متكتما عن الإمام سيف الذى هو منه بتلك الحال ، وكان خروجه من نزوى لست ليال مضت من شوال من نفس السنة ، قال : وقصد بلاد سبت فحالف بنى هناه على القيام معه طمعا فى الرئاسة وتلاعبا بالأمر ، وطمعا فى الدنيا ، وتعهد لبنى هناه أن يطلق لهم ما حجره عليهم الإمام الولى ناصر بن مرشد ، وكان الإمام المذكور رحمه الله حجر على بنى هناه حمل السلاح ، ومنعهم من المبانى المخوفة وأشياء أخرى منعهم منها نظرا منه رضى الله عنه ، فما تجاسر أحد أن يفك ما حجره ذلك الإمام ، ولم يقدر بنو هناه أن يحلوا شيئا منه وأعطاهم يعرب بن ناصر عطايا ضخمة ، فقاموا معه الى الرستاق ، فهذا تراه طامعا فى الأمر .

ومن هنا بدأ بالاستجاشة على رأى الداعين له ، ولما وصلوا الرستاق أعلنوا الحرب وأحاطوا بالحصن ، وشدوا عليه من كل جانب حتى أحرقوا باب الحصن بالنار ، فخرج الوالى منها راغما ، وبسبب ذلك الحريق احترق وجه الحصن والباب وتصدع جداره ، فظهر بالحريق المذكور مال عظيم مخزون فيه ، إذ كان الحريق عظيما مخطرا ، واحترق فيه رؤساء بنى هناة ورؤساء بنى عدى المجتهدون فى الأمر ، وكثير من الناس ، فقيل : إن جملة المحترقين خمسون ومائة رجل ، فكانوا طعمة الفتح المشار إليه ، واتصل الحريق بداخل الحصن واحترقت منه مكتبة الحصن ، وذهبت بذلك الحريق كتب جليلة فقهية وغير فقهية من أمثال بيان الشرع والمصنف وغيرها من الكتب القيمة الثمينة ، ومنها كتاب الاستقامة •

قال الإمام : واحترقت كتب كثيرة لم يكن لها نظير بعمان ، وأسفرت القضية عن خسائر كبيرة يرثى لها فى عمان ، وقام أمر يعرب ابن ناصر ، فلما بلغ الأمر الإمام وعلم ما صنع أهل الرستاق مع الخارجين عليه ، جهز سرية أمر عليها صالح بن محمد بن خلف السليمى وأمره بالمسير الى الرستاق ، فسار حتى وصل العوابى فرأى أن لا قدرة له على دخول الرستاق ، لما بلغه من احتدام الأمر وشدة الزيغ عن الحق ، فرجع صالح بن محمد بمن معه الى نزوى ، وإذ ذاك قام يعرب بن ناصر ، وكتب الى والى مسقط أن يسلم البلاد لهم ، وكان الوالى بها الشيخ حمير بن منير بن سليمان الريامى الأزكوى من أهل حارة الرحنى فسلمها الى عمان يعرب •

وفي هذه الأثناء سلمت نخل لرجل يعرب بغير حرب ، ثم قام المذكور وأخرج سرية ولى عليها مالك بن سيف بن ماجد اليعربي ، فوصلت السرية الى هدفها وهو سمائل ، فسلمت لهم سمائل بغير حرب ، وتوجهت السرية في صدها وخرج معها بنو رواحة وجاءت الى أذكي ، فأذعنت لهم تباعا لمن قبلها وخرج الوالي منها في شهر ذي القعدة من هذه السنة .

الإمام يعرب يخرج الى جرنان

لما كانت أزكى تعد من أبواب نزوى في الجانب الشرقي ، وهي كما عرفها التاريخ ، اهتم الإمام بالخروج ليتأكد من أمرها ، هل هي معه أم عليه ؟ فإن أمر اليعاربة الآن تتقاذفه الأمواج ولا يدرى أين ترمى به ، خرج الإمام يعرب بمن معه من الرجال خصوصا أهل نزوى وبنى ريام ، والشيخ عدى بن سليمان الذهلي ، ووصل الى أزكى وخرج اليه مشايخ أهل أزكى يتلقونه بالكرامة ، وقدموا له الضيافة والطعام له ولدوا به ، وقد رأى منهم حالا حسنا ، وتفاهم معهم في الأمر ، فقالوا له : نحن معك فمكث بها يكاتب مالك بن سيف ليخرج من الحصن ، فلم يخرج فنصب له الإمام الحرب • وأطلق عليه طلقتى مدفع فلم يصغ ولعله كانت بينه وبين بنى هناة مفاهمات سرية •

فإنه في هذه الأثناء وصلت كتيبة من بنى هناة مناصرة للملك بن سيف يقدمهم رئيسهم على بن محمد العنبورى من فرق بنى هناة ، ولما وصل المذكور فر عن الإمام جنوده ، وتفرق رجاله وركبهم بنو هناة بالسيف يقتلونهم حتى قتل منهم خلق كثير ، وكان من الصدف الغريبة أن رصاصة مدفع أطلقت من جانب خصوم الإمام ، فدخلت في فم مدفع الإمام وألجمته فاخترت ، فكان دليلا على سوء حظ المذكور ، ولما رأى الفشل ينزل عليه كر راجعا الى نزوى ، وأما القاضى الشيخ الذهلي توجه الى الرستاق فقبض عليه قوم يعرب بن ناصر ، ومعه سليمان بن خلفان ، ولم أعرفه من أى القبائل فصلبوها ، وجاء أعوان يعرب بن ناصر ، ولعله عن أمره فقتل القاضى وهو فى القيد والصلب ، وقتل سليمان بن خلفان ، وعاملوهما معاملة لم يعمد أن عامل بها جبابرة عمان أحدا من

أهل عمان أو من غيرهم ، فإنهم أمروا بسحبهما في الطرق كما تسحب الفرائس ، وذلك في يوم الحج الأكبر من هذه السنة ، ولم يحترموا على الأقل العلم ، وقد قتلوهما فما الداعي على سحبهما ، ولو كانا مجرمين فإن قطع رؤوسهما أهون من سحبهما في سلك الرستاق . ولكن أسباب الانحطاط هذا من أعمالها ، فإن الدور اليعربي يمشى في هذه الآونة في الهبوط وقد اشتغل أهل عمان بأهل عمان فتخلص ظل الدولة وسار يتبع عروب شمسهم والله الأمر .

قال أمير البيان وهو ينقل التاريخ العماني عن الأجانب : كان لسيف أشياع وأنصار لم يخضعوا لهذه الثورة ، وهو يشير الى ثورة يعرب بن بلعرب . قال : فقام بلعرب بن ناصر بأمر سيف الصغير ، وزحف الى الرستاق ففر يعرب ، أي الإمام ، الى نزوى وقتل القاضي عدى بن سليمان ، وطيف بجثته في الأسواق ، قال : وتفاقت الفتنة فتوسط أناس في الأمر ، قال : فتحول يعرب أي الإمام الى بيرين وأقام بقلعتها ، وأقيم سيف بن سلطان إماما بكفالة عمه بلعرب ، والصواب هو خاله . قال أمير البيان : وقيل إنه لما جاءت وفود القبائل تهنيء الإمام الجديد بالملك أساء بلعرب هذا مقابلة محمد بن ناصر زعيم بني غافر ، وقيل : إنه توعد فأنصرف هذا مغاصبا وداخل يعرب في الاتفاق على سيف وعمه بلعرب ، ثم انتقض محمد بن ناصر على الإمام ظاهرا أي تظاهر بالخلاف ، واستولى على الرستاق ثم أسر الإمام واستبقاه رهنا في قبضته ، وما زال أمره يقوى حتى دخلت جميع عمان في حوزته ما عدا مسقط وقلعة برقة ، أي « بركا » .

قال : ومات في أثناء ذلك يعرب الذي كان محمد بن ناصر يحارب من أجله ويقاتل باسمه ، فلم يبق رئيس في وجه محمد بن ناصر إلا خلف

ابن مبارك المسمى بالقصير بالتصغير المشدد ، فوقعت الحرب بينهما والتجأ القصير الى حصن برقة أى بركا ، فحاصره محمد بن ناصر فلم يقدر عليه وفي كشف الغمة مضى العنبورى الى نزوى ، وجعل يكاذب الإمام وهو فى قلعة نزوى ، ودخل عليه أناس من أهل نزوى فسألوه الخروج منها حقنا للدماء ، فلم يزالوا به حتى أعطاهم ذلك على أن يتركوه فى حصن بيرين ، ولا يتعرضوا له بسوء فأعطوه العهد على ذلك ، وخرج من نزوى فزالت إمامته بذلك ، ومضى الى جبرين ، ودخل العنبورى قلعه نزوى وضرب جميع مدافعها ، ونادى بالإمامة لسيف بن سلطان فخلعت له جميع حصون عمان وسلمت لهم كافة القبائل والبلدان .

محمد بن ناصر الغافرى يعيد الحرب سيرتها الاولى

لما كان محمد بن ناصر من الرؤساء المتبوعين ، ومن أهل الأرهاط الناشطة يرى له بذلك المقام الموقر والمحل المحترم ، (ولولا رهطك لرجمناك) فقد تأثر محمد بن ناصر من تهديد يعرب بن ناصر الذى جاء مهنتاً كغيره للإمام ، فرجع محمد بن ناصر وناز حقه تتقد : ومرجل وعيه يغلى كغلى الحميم ، وثناء القدر أن يتسع خرق الشقاق على الراقع ، ويطول مدى الشر لقتنهار المملكة العمانية من أساسها ، ويستقل الولاية فى الخارج مستغلين ولاياتهم ، جعل محمد بن ناصر يكتب يعرب ابن بلعرب المخذول آنفا الذى أخرجه خلف بن مبارك العنبورى من قلعة نزوى ، ويكتب أهل بهلى ، فإنهم من جملة من هددهم يعرب بن ناصر ليقوموا بالحرب التى سيقوم بها فهياًهم •

ثم ركب الى البدو العمانيين بالظفرة وبنى نعيم وبنى قتب وغيرهم من طعام الناس ، وهم بحرب المهديين له حتى يتشفى منهم عما صار عليه ، ويعلو أفق الزعامة التى يتزعما ، وعند ذلك علم يعرب بن ناصر بنوايا محمد بن ناصر الغافرى ، فكاتب أهل نزوى أن يصلوا اليه فجاءوه فتظاهر لهم بكرامة بارزة ، ورأو منه التقاتا ، وأمرهم بالبيعة لسيف ابن سلطان وقصده التفاف (أهل نزوى) المشار إليهم تحت رايته ليتوصل بهم للدفاع عندما يصبح محمد بن ناصر مناوئاً له ، وكان متمركزاً بقلعة الرستاق ، وإذ ذاك سرى سرية الى يعرب بن بلعرب لتأتيه به الى الرستاق ، وجعل أخاه سليمان بن ناصر قائدها ، فخرجت السرية على طريق وادى سمائل •

وقعد أهل نزوى عنده بعد ما طلب منهم الخروج مع السرية ، فظلوا يتعللون له بعلات ، وأخيرا تشفعوا بأعيان أهل الرستاق فتركهم ، ولما نزلت بلدة فرق للمبيت ، بعث لهم أهل نزوى طعاما لدوابهم وعشاء لهم ، فبينما هم كذلك قبل أن يناموا في مناخهم ، سمعوا ضرب المدافع في قلعة نزوى ، فسألوا عن الخبر ففيل لهم إن يعرب بن بلعرب ، دخل القلعة ، ومعنى دخول القلعة ملك نزي ، لأن العادة عند العمانيين مالوفة بأن قابض حصن البلد هو المالك مهما كان ، وكيف كان فلما تحققوا سقط في أيديهم ورأوا الرجوع الى الرستاق أولى ، فأشار من أشار على سليمان بن ناصر بقبض حصن أزكى ، فقبضه بعد رجوعه من فرق وتمركز فيه بقواته ، ومكث بأزكى •

وكان يعرب بن ناصر الرئيس سرى أيضا سرية أخرى الى يعرب ابن بلعرب ، ووجههم إليه من جهة الظاهرة ، ولعله كان أراد أن تلتقى عليه السريتان كل واحدة من جهة ، فلما وصلت هذه السرية المشار إليها بهلى ، تصارخ عليهم أهل بهلى من كل جهة ، وتمكنوا منهم فقبضوا عليهم وأودعهم السجن •

وكان أيضا بعث سرية أخرى الى وادى بنى غافر غازية ، فأصيبت ثم رجعت الى الرستاق ، وأما يعرب بن بلعرب الإمام الحالى ، فإنه بعث سرية الى أزكى لإخراج سليمان بن ناصر منها وزودها بمدفعين ، فلما وصلوا الى أزكى هاجموا حالا الحصن ، ودارت رحى الحرب بينهم فانهمزوا ، وقتل منهم ناس ورجعوا الى نزوى ، ثم سرى سرية أخرى الى أزكى فتمركزوا بالجنى الغربيات ، ولم يستطيعوا الدخول ، ورجعوا من ليلتهم إذ رأوا أن البلاد محصنة تماما ولم يجدوا مستطاعا لإعلان

الحرب ، ثم جهز الإمام سرية أخرى ، ووصلت أزكى أى نفس المكان الذى وصله من قبلهم ، ولم يستطيعوا الدخول ، بل ظلوا يطلقون مدافعهم على الحصن من هناك ، وبقوا فى ذلك المحل قدر خمسة عشر يوما على ذلك الحال .

وفى هذه الأثناء وصل أزكى مالك بن ناصر من الرستاق مددا لسليمان ابن ناصر ، ولما قر قراره بالحصن قرر الهجوم على قوم يعرب بن بلعرب فى مركزهم المعروف ، فانهزموا ورجعوا الى الحصن وعند ذلك أغارت البدو من قوم يعرب بن بلعرب على سدى ، وحارة الرحى من أزكى ، ولعلهم رأوا أنهم أنصار سليمان ومن معه ، فعاث البدو فى ضواحي أزكى ، ونهبوا من لقوا وأحرقوا منازل عديدة من بينها منزل الشيخ حمير بن منير الريامى خارج حارة الرحى ، ثم جاءت فرقة أخرى فهاجمت اليمن من أزكى ولم يتمكنوا ، وقتل منهم ناس من بينهم أمير السرية محمد بن سعيد بن زياد البهلوى ، ولما بلغ مالك بن ناصر أن أهل النزار خرجوا مع سرية يعرب بن بلعرب ، وركضوا على اليمن ، أرسل الى مشايخ النزار وقيدهم بالجامع من أزكى .

ثم استجاش أهل الشرقية فجاءته منهم رجال كثيرون ، وجاءه أيضا بنو هناة ومعهم جمع كبير من رجال الغربية ، واجتمع الكل بأزكى ، وتراحمت الكتائب ليكبر الضغن بين أهل عمان من بعضهم على بعضهم لتتهار صروح الزعامة العمانية وتندك مباني الدولة اليعربية ، إذ خرجت كل سرية مع زعيمها ، وكل فرقة خرجت من جهة ، ودقت الطبول ، وبنفخ الشيطان بينهم فى أبواق الكل منهم من جاء من جهة المنزلية ، ومنهم من

جاء من ناحية العتب يوم الجمعة عند زوال الشمس ، والتقى الكل على غير هدى من الله ، بل على نزعات الشيطان ، فتواقعوا ذلك الوقت ، ودلرت رحى المعركة ، واشتد القتال .

وظل الحال إذ ذاك لا تسمع إلا البغادق كالرعد ، ولا ترى إلا السيوف كبروق الصيف فانكشفت الوقعة عن انهزام جمع الإمام ، وقد وقع فيهم قتل كثير ، وصار جملة القتلى من الفريقين قدر ثلاثمائة رجل .

مالك بن ناصر يثير حربا بغير هدى من الله

لما رأى مالك بن ناصر اليعربى أن بيده سلطة من الزعامة اليعربية ، وأنه أحد الرجال الذين تقف العيون دونهم ، خرج بمن معه ممن أطاعه من الطغام الذين معه ليفسدوا فى الأرض ، ويعيثوا فى الأمة ، خرج الى بلدة منح بقومه ، وانتشروا فى البلاد ينيهون ويسلبون ، وأغارت شردمة على فلج وادى الحجر الذين هم لا فى العير ولا فى النفير ، فقتلوا من وجدوا على حين غفلة منهم ، ونهبوا ما وجدوه فى تلك البلدة الحقيرة ، وأفسدوا الزروع وأحرقوا السكاكر ، وخرجوا مخرجهم ذلك الى نزوى ، وظلوا محاصرين لها ، وضربوا معسكرهم فى بلد فرق عند مسجد المخاض منها ، وأحرقوا المقامات التى فيها وهى منازل الأهالى وقت القيظ ، وعاثوا فى الأرض فسادا ، وتبدل الوضع من حرب دولية الى قبائلية بغير حق ، ولما رأى أهل نزوى ما هم عليه تأمروا فيما بينهم ، ورأوا أن الشر أحاط بهم فخرجوا بمن معهم من عساكر يعرب بن بلعرب ، والتقوا فى أطراف نزوى فوقتت الحرب ، وقتل من قتل •

ثم رجع كل الى مكانه وبقوا على هذا الحال بينهم الغارات والغزوات ، حتى كثر القتل والجراح ، واشتد على أهل نزوى البلاء ، وبقوا فى خوف محقق بهم لا كاشف له إلا السيف ، فتجمعوا وزحفوا على عدوهم فى أطراف نزوى ، فوقتت بينهم معركة حامية ، وقضى الله فيها على رجال عدة ، وكاد أهل نزوى أن ينتصروا على عدوهم ، وكاد جند مالك بن ناصر أن ينيهزموا ، إلا أنهم رأوا أن الرجال أحاطت بهم من كل جانب وأنهم لا مناصر لهم من القتل ولا مخلص لهم من العدو ،

وراموا للهرب إلا أنهم لم يجدوا له سبيلا ، فصبروا صبر المستميت بعد ما فر منهم من وجد للفرار سبيلا ، وبقي القتل بين الطرفين مستمرا .
والحرب مازالت رحاها دائرة ، فصبروا رغم الأنوف .

ولما رأى أهل نزوى أن القوم فى ضعف ، وقد أحيط بهم اشتغلوا بالنهب والسلب ، وراحوا يلتقطون سلاح الهاربين وأثاثهم ، وهم مستوثقون من عدوهم أنه هالك لإحاطتهم به ، وعند ذلك صال عليهم عدوهم ومالوا عليهم بالسلاح الأبيض والأسود ، فهزموهم وأكثروا القتل فيهم ، وأثخنوا الجراح وطردوهم الى جنور الخوصة من نزوى قريبا من جناة العقر ، وانكشفت حربهم هذه عن قتلى كثيرة .

ورجع قوم مالك بن ناصر الى معسكرهم ، ولم تنزل الحرب بينهم قائمة كل يوم على البغى والظلم ، وفى هذه الأثناء زحف مالك بن ناصر بقومه ، وساق كافة أصحابه معه إلا قليلا منهم تركهم حفاظا لمعسكرهم وهاجم نزوى حتى وصل جناة العقر ، وأراد أن يحاصر أهل نزوى فى بستان مويخ ، وقام بثقب جدرانها لمرامى البنادق فيرمى منها العدو ، فثار عليه أهل نزوى ، ودارت رحى الحرب ليقضى الله أمرا كان مفعولا .

فقتل فيها مالك بن ناصر وانهزم قومه ، فرجعوا الى معسكرهم وأقاموا هنالك يديرون الآراء ويكتابون من يعلمون أنه من أنصارهم ، ولكن بطبيعة الحال اذا قتل الزعيم هوت الرايات ، وتأخرت الجماعات ، وضعفت القوات ، ولكن لم يزالوا حربا لنزوى ورماة لها يقتلون من يجدون ، وبقيت الغزوات مستمرة والحرب بينهم قائمة حتى وصل الصنديد الكبير محمد بن ناصر الغافرى بجيش سحبه من الغربية ، فتلقتة

أعداؤه في عدة مكانات كلما جاء الى بلد لها شرف في عدوه اعترضه رجالها وتواقفوا عدة وقعتات •

قال المؤرخون العمانيون وغيرهم : جاء محمد بن ناصر بجيش من الغربية بعد حروب كثيرة ، وكانت بها وقعتات عظيمة منها بوادي ضنك ، ومنها بوادي الصقل ، ومنها بالجو ومنها بالغبي ، قالوا فلما وصل محمد بن ناصر أمر بحرب الباقيين ، من قوم مالك بن ناصر المحاصرين لنزوى ، وحالا أحاطوا بهم إحاطة السوار بالزند ، والخاتم بالأصبع ومازالوا طول ليلتهم في قتال ، وتزاحف من بعضهم حتى استشعر أولئك المذكورون العجز ، وكان قد علم محمد بن ناصر أنهم يرومون الفرار والنجاة ، فأمر أن يترك لهم الجانب الشرقي ، فرأوا ارتحال عدوهم من ذلك الجانب فاغتموها فرصة للهرب ، فأصبحوا ولم يبق بمعسكرهم أحد ، وذهبوا على غير وجه ، وانطلت أزمتههم وانكشف جانبهم ، فدخل محمد بن ناصر نزوى ، وكان يعرب بن بلعرب الإمام مريضا في هذه الأثناء في قلعة نزوى ، فأقام محمد بن ناصر بنزوى أياما قلائل •

وكان الحصار الذي وقعه مالك بن ناصر على نزوى قدر شهرين إلا ستة أيام ، وفي هذه الأثناء توجه محمد بن ناصر الى الرستاق بجيش جرار وجحفل ضخم ، فدخلها ونزل بفلج الشراة وأراد أن يهاجم البومة التي فيها على بن محمّد العنبورى ، وهى المرصد المحكم فى عرف أهل عمان ، قالوا : وسرعان ما جاءهم العنبورى كالأسد الصائل ، فتلقاه قوم محمد بن ناصر ، فدارت رحى الحرب فكان العنبورى وسط المعركة قتيلا ، وقتل من قومه الكثير وانهمز الباقيون ، ورجع محمد بن ناصر الى معسكره بفلج الشراة •

وفي اليوم الثاني انتقل الى فلج المدري ، فجاءه يعرب بن ناصر مدعنا متقادا ناسجا حيلة له أن توفق لتنفيذها ، ذلك أنه صالح محمد ابن ناصر على تسليم قلعة الرستاق ، ويكون منه في أمان ، فوافق على ذلك ، وكان قصد يعرب بن ناصر أن يدخل محمد بن ناصر القلعة فيقبض عليه ويقضى على حياته ، لكن الرجل أحذر من غراب ، لا سيما اذا كان الأجل نائيا ، أما اذا دنى الأجل فلا تتفع الحيلة كيف كانت ، فدخل محمد بن ناصر قلعة الرستاق بقومه ، وقبضها بيد من حديد ، ولما قبض محمد بن ناصر القلعة انطلق قومه في البلد ينيهون ويسلبون بدعوى أنهم أنصار يعرب بن ناصر ، الذي أثار هذه الحرب ، ولاسيما أن القوم الذين عند محمد بن ناصر كلهم شلاعة نهاية ما جاءوا إلا ليحتطبوا لأنفسهم من يابس العمانيين ورطبهم ، وقد مروا على ديار الغربية من عمان ، فأكلوا مالاقوا .

قال الإمام رحمه الله : وسبوا الذراري ونهبوا الأموال ، قال : حتى بيعت أي ذراري أهل عمان في الأسواق خارج عمان ، وذلك بما كسبت أيديهم جزاء بما كانوا يعملون ، وبما فعلوا في الشيخ العالم عدوى بن سليمان ، والقاضي سليمان بن خلف ، وربما فعلوا في إمامهم مهنا ، وبما فعلوا في أفاضل المسلمين والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، عاهدوا إمامهم على النزول من القلعة ، فنزل على العهد والميثاق فقيده وذبحوه في قيده وخشبتة ، وطافوا بجثة عالمهم في الأسواق والسلك ، وهذه أفعال تؤذن بالנקمة التي تعم وتمحق الأمن والشرف وتسحق الدين والمروءة .

وفي هذه الأثناء مات الإمام يعرب بن بلعرب بنزوى ، ومحمد بن

ناصر في الرستاق ، وذلك لثلاث عشرة خلت من جمادى الآخرة من سنة خمس وثلاثين ومائة وألف ، قال : وكنتم أهل نزوى موته خيفة أن يقوى عليهم عدوهم نحووا من خمسين يوما ، لأن محمد بن ناصر لا يزال بالرستاق •

ولما قبض محمد بن ناصر على يعرب بن ناصر أودعه القيد ، وقبض منه الأمر بتخليص حصون عمان التي يرجع أمرها إليه ، ولم يبق إلا مسقط وبركا في أيدي بنى هناة ، وفي كوت مسقط جاعد بن مرشد بن عدى اليعربى بصفته واليا لها ، فاحتالوه وأخرجوه من مسقط على أن يولوه نخل ، وأقام محمد بن ناصر بالرستاق ، وأشاع أن الإمام سيف بن سلطان ، وهو مع ذلك كله غير بالغ الحلم •

قلت : يتذرعون به في أوجه السواد الأعظم الذين اذا قيل لهم جمل قالوا جمل ، واذا قيل لهم جبل قالوا جبل ، وامتلات الرستاق خوفا من قوم محمد بن ناصر فوق الحد حتى خرجت الأهالي والذراري خوف البدو ، أن يحملوهم فيبيعونهم في الأسواق بيع العبيد ، وحل بالرستاق من الهوان مالا مزيد عليه •

قال الإمام : وتفرق أهل الرستاق في الجبال والأودية ، فقيل إنه وجد في كهف كلاة بلدة المهاليل مائة نفس من صبيان ونساء ميتين من العطش ، خافوا القرار بالرستاق ، ثم خافوا الرجوع إليها فيحملهم البدو فيبيعونهم ، وهذه مأساة عظيمة أرسلها الله عليهم ، وفي هذه الأثناء ومحمد بن ناصر مخيم على عرش قلعة الرستاق ، جاءت كتيبة من بدو الغربية بعد قبضه الرستاق بثلاثة أيام خمسمائة رجل وألف

رجل من بنى قليب وبنى كعب وأصحابهم ، يحملون السلاح الأسود والأبيض ، ثم لحقهم بعد ذلك رحمة بن مطر بن رحمة الهولبي ، ومعه قدر خمسة آلاف رجل من بدو وحضر •

قلت : بل كلهم بدو لا حضر فيهم • قال الإمام : وفيهم من لا يعرف العربية ولا يعرف صديقا من عدو •

قلت : نعم جاءوا لإشعال الشر الذي يتقد هنا وليأخذوا نصيبهم منه وليفعلوا بما يقابلهم في عدوهم •

محمد بن ناصر وخلف بن مبارك يقتتلان في عمان بأهل عمان

لما رأى محمد بن ناصر أنه له السلطة الكبيرة ، وله النفوذ الفعال في عمان ، ورأى جيوشه تترى في البلاد ، وعلم أنه السيد المطاع أرسل الى حصون مسقط يطلب تسليمها له ، لأن حصون عمان كلها سلمت له وبقيت مسقط وبركا في أيدي بني هناة ، أرسل إليهم محمد بن علي الخروصي وجماعته ، ليكون واليا لحصن بركا ، فتناوله بنو هناة فقتلوه هو ومن معه إلا من تمكن من الفرار الى محمد بن ناصر ، فأخبروه بالواقع فأمر محمد بن ناصر على الجيش بالمسير الى بركا ، فخرج القائد الأكبر رحمة بن مطر بن رحمة بقومه ، وخرج القائد الثاني حمزة بن حماد القليلي بقومه ، والقائد الثالث أحمد بن علي الغافري بقومه في عسكر ضخم ، والقائد الرابع محمد بن عدي بن سليمان الذهلي ولد الشيخ المقتول ، الذي طيف بجثته في سلك الرستاق بقوم جاء بهم من الصير لأخذ ثأر أبيه ، والقائد الخامس محمد بن ناصر الخراسي بجماعته ، سار هؤلاء الأبطال كل واحد منهم قائدا لرهطه إلا الذهلي ، فإنهم ليسوا رهطه ، لكنهم ملين دعوة الزعيم الأكبر محمد بن ناصر ، نزل هذا الجيش المصنعة غربي بركا .

ولا شك أن بني هناة يتوقعون الزحف عليهم لما فعلوه ولما تأصل من العداوة بينهم وخصمهم ، ونزل الكل المصنعة كما ذكرنا لتكون لهم منطلقا لحصار بركا ، وبعد جاءهم كتاب من قرع الدرمكي من بني هناة وكان قرع أحد القواد لبني هناة ومن صناديدهم ، يقول فيه لرحمة بن مطر : لا تصلنا نحن نصلكم تهديدا لهم ، فلما قرأه رحمة أمر

بالمسير للملاقات قرع الدرملكى ، وقد مر أمامه عيوناً يكشفون الحقائق ، وإذ بقرع المذكور مقبل بقومه عليهم ، فالتقاهم أولاً رحمة المذكور بموضع وادى القاسم من بركا ، وانطلق فى أوجههم من قومه قضيب الهولى على فرس ، والقوم يتخابون وراءه ، فقتل رحمة عشرة رجال وانهزم قرع بقومه ، وجرح قضيب المذكور جرحاً غير كبير ، وسار رحمة مشرقاً فى أثر المنهزمين حتى نزل بالحفرى التى للجبور فى بركا ، لكى يستريحوا ويأكلوا وقد قدم العيون أمامه ليعلم ما وراءه القوم ، ورجع العيون مخبرين عن خلف بن مبارك القصير مقبلاً بجنوده ليناصر قومه الذين ببركا .

وكان خلف جاء بجيش بحرى وجيش برى فوق الكثرة ، جمعهم من عدة قبائل ومن أجناس مختلفة ، وكان عدد جيش محمد بن ناصر يبلغ خمسة عشر ألفاً من بدو وحضر من سائر القبائل الذين سبق ذكرهم ، فالتقوا غربى بركا إذ جاء المذكور ليحيط بجيش محمد بن ناصر من جهاته ، ولكن لم يكن النصر حليفه ، فدارت رحى الحرب بينهم ، ونادى منادى الطعن والضرب .

وكان عند أصحاب رحمة مدافع يسحبونها ليضربوا بها حصن بركا ، فضربوا بها السفن التى فى البحر ، فأغرزت ونجت بمن فيها ، وانهزم خلف بن مبارك وأصحابه ، وركب ناقته وفر وخلف المعركة ونارها تشتعل ، وانهزم قومه وراءه فتبعهم أصحاب محمد بن ناصر ، يقتلون ويأسرون ، ووجدوا جيش محمد بن ناصر محيطاً بهم ، فتهافتوا الى السفن وهى قد فرت من ضرب المدافع فلم يجدوا ملجأ من القتل ، وكانوا يدخلون البحر ليتخلصوا من المراكب ، فأغرزت بحراً فلم ينالوها ، والقوم من البر تطلق عليهم النار فهلكوا جميعاً ، وأخذ أصحاب محمد بن ناصر بسلبهم ومواد حربهم وجميع ما معهم .

قال الإمام السالمى رحمه الله ، نقلًا عن ابن رزيق : إن القتلى الذين لفظهم البحر اثنا عشر ألفا واثنا عشر رجلا ، قال : ولم يزالوا يتبعونهم حتى دخلوا حصن بركا ، أى باقيهم التجأ بالحصن ، وانتقل محمد بن ناصر بجيشه لضرب معسكره ناحية السوادى قرب الجبل ، وحاصروا الحصن ، فأقام على ذلك أربعة أيام ، ثم إن أهل الحصن خرجوا منه فى المواكب المذكورة الواقعة فى البحر ، ولعل خروجهم كان ليلا ، وراحوا الى مسقط ولم يبق فى الحصن إلا القليل ، ولم يبق فى البلد أحد منهم ولا من غيرهم خوفا من معرفة الجيش ، إذ قد علموا ما صار فى الرستاق ، وإذ ذاك أرخص محمد بن ناصر لقومه بالعودة الى الرستاق ، ورخص لرحمة بن مطر بالعودة الى وطنه ، ورجع محمد بن ناصر أيضا الى الرستاق .

وفى هذه الأثناء أصيب بمرض الجدري واشتد عليه حتى أشرف على الموت ، ثم عوفى منه وأمر بالمسير الى ينقل ، وجعل فى الرستاق واليا محمد بن ناصر الحراسى ، وعنده أصحاب بهلى وزعيمهم سنان بن محمد ابن سنان المحذور الغافرى فى قلعة الرستاق كعقيد للعسكر ، وخرج محمد بن ناصر واصطحب معه سيف بن سلطان ، وحمل معه كافة اليعاربة وهم ذرية غير كثيرة ، وترك يعرب بن ناصر مقيدا وكانت إقامته بالرستاق بعد الرجوع من حرب بركا قدر شهرين ، ونزل مقنيات وأرسل الى قبائل الظاهرة وعمان يستمدهم ، والى بنى ياس أيضا فجاءه قوم يبلغون اثنى عشر ألف رجل ، وكان معسكره بفلج المناذرة من ينقل ، وإذ ذاك أرسل الى أهل البلد أن يدخلوا فى طاعته ويسلموا له الأمر ويتخلوا عن الحصن ، فأبوا بل لم يردوا له جوابا وصباح يومه تحرك يريد الانتقال الى الجانب الأعلى على شريعة فلج المحدث من البطحاء ، فالتقاء بنو

على بمن معهم من أهل ينقل ، فدارت رحى الحرب تطحن الرجال ، وقتل من بنى على قوم كثيرون ، ومن بينهم ابن شيخهم سليمان بن سالم ، وقتل من أصحاب محمد بن ناصر سالم بن زياد الغافري ، وسيف بن ناصر الشكيلي ، وأحد من الجرحى ، ثم إنه نزل شريعة المحيذ وهو المحل الذى أراد النزول فيه من الجانب الأعلى ، وحصر ينقل وضربها بالبنادق ، وأطلق عليها مدفعا ، وتلاقى الطرفان على الأبيض ، فانكسفت الحرب عن قتلى كثيرة وقتل من أصحاب محمد بن ناصر الوالى محمد بن خلف القيوضى واحد من بنى عمه ، ثم إنهم كسروا عنهم الفلج فلم يبق معهم ماء يشربونه ، وإذ ذلك أذعنوا بتسليم الحصن راغمين ، وتولاه محمد بن ناصر .

وفى هذه الحال جاء الى محمد بن ناصر الخبر أن سعيد بن جويد دخل حلة السليف مع الصواوفة من بنى هناة بقومه ، فأمر محمد بن ناصر الجيش بالمسير الى السليف ، فتوجه ذلك الجحفل الجرار ، ولما وصلها حالا أرسل الى سعيد بن جويد وأهل السليف أن يؤدوا له الطاعة ، فأبوا ووصل إليه الصواوفة من أهل ننعم مؤدين له الطاعة خوفا أن ينحال عليهم ، ولما رأى إصرار القوم وجه الجيش بالزحف على حصن المراشيد من السليف ، فاخطفه الجيش فهدمه على من فيه من رجال ونساء وأولاد ، وسقط فى يد سعيد بن جويد ، ورأى أنه رهن إشارة محمد بن ناصر ، فطلب منه التسيار الى بلده هو وأصحابه فسيرهم محمد بن ناصر كما زودهم بما يحتاجون ، وبقي بالسليف حصن الصواوفة وحصن المنادرة ، ووقع فى أفكار المناذرة مما رأوا مما حل بحصن المراشيد ، وما وقع فيه سعيد بن جويد رأوا أن لا محالة من الخضوع لمحمد بن ناصر والإذعان له ، وقد أخذوا الدرس من أصحابهم ،

وذكروا ينظروا بعقله لا بعينه ، فأدوا الطاعة لمحمد بن ناصر وسلموا الأمر إليه ، فسلموا أنفسهم وساسوا الحاضر ، ولم يصروا إصرارا يردهم على ورائهم ويقضى عليهم ، فلم يصبهم بأس وأقرهم مكانهم •

وأما الصواوفة لم يخضعوا لمحمد بن ناصر حتى تدور رحى الحرب وتأخذ حظها • فأقام محمد بن ناصر يقطع نخل الصواوفة ، وسرى القتل فيهم كل يوم •

قال الإمام نقلا عن التاريخ العماني : وفسح محمد بن ناصر للبدو من أصحابه إلا بنى ياس وقبائل الحضر ، ودام الحصار شهرين ، ولما رأى الصواوفة العجز صالحوا محمد بن ناصر على هدم حصنهم بأيديهم فهدموه ، وهذا من سوء السياسة ، ومحمد بن ناصر تعود لا يهزم له جيش ، ولا تنتكس له راية ، ولا يفيل له سيف كما سمعت وكما ستسمع فيما أقبل من حروبه حتى آخر ذرة من حياته •

خلف بن مبارك يحاصر الرستاق

لما رأى خلف بن مبارك أن محمد بن ناصر مشغول بحرب السليف زحف على الرستاق ، وأحاط بحصنها وحاصرها ، ولم يكفه ليعتبر بمن قتل من قومه ببركا ، والغريب من القوم الذين يتبعونه وهو على هزيمة تلو هزيمة ، ولا يثبت لمواقعة محمد بن ناصر ، قام خلف بن مبارك لحصار الرستاق ، وقتل الزعيم الذى ولاءه محمد بن ناصر قلعة الرستاق ، وهو سنان بن محمد بن سنان الغافرى ، وأخرج الوالى محمد بن ناصر الحراسى من الحصن ، فدخل خلف بن مبارك الحصن وخلصت له الرستاق ، وكان سباع العنبورى قد أخذ صحار ، وبلغت الأخبار الى محمد بن ناصر ولم يلتفت الى شىء منها حتى انتهى أمر السليف حتى لا يقوى عليه أمر عدوه .

وكانت سياسته مبنية على القوة ، وأنه يرى لو ترك السليف قبل النهاية ، وذهب الى الرستاق فكأنه لم يعمل شيئا ، وإذ ذاك وخلف بن مبارك يزحف على حصن الحزم ليضيفه الى حصن الرستاق ، وكان الوالى فيه عمر بن صالح بن محمد الغافرى ، فحاصره خلف وأحال الفلج عنه وأرسل الى الوالى المذكور أن يخرج من الحصن هو وأصحابه بأمان ، فأبى وكتب الى محمد بن ناصر يخبره بالحال ، وأنهم لم يبق معهم ماء إلا بركة قليلة ، فتوجه محمد بن ناصر الى الحزم بعدما صالح أهل السليف ، وهدم حصونهم بجيش عظيم لا يعلم عدده إلا الله .

فلما وصل الحزم صال على أصحاب خلف فقتل من قتل منهم
وولوا هارين وتركوا آلة حربهم من مواد عديدة بارودا ورسا صا
وطعاما ، وهذا حال خلف بن مبارك في حروبه مع محمد بن ناصر ،
وهذه أحدى غير لائحة بالحر في كل مرة ينهزم ويفر بل الموت أولى من
أحدثة كهذه •

محمد بن ناصر يزحف على بلاد سبت

لما رأى محمد بن ناصر أن خصمه الألد خلف بن مبارك ، وأنه لا يزال يجاذبه الحبل وغير تاركه على حال ، وكانت بلاد سبت بلاد بنى هناة بل هي عاصمتهم ، ودبوان أمرهم ، ومركز ندوتهم ، كان محمد ابن ناصر أراد أن يوقع بها كسرا لقوتهم وانتقاما منهم ، فإنه لما فرغ من أمر الحزم توجه الى الظاهرة ليجمع الجموع لحرب بلاد سبت .

قال الإمام السالمى رحمه الله : خرج محمد بن ناصر من الحزم الى الظاهرة ، ولم يمر بالرسناق لأنه كان قصده بلاد سبت ، قال : وحشر من البدو والحضر ، واجتمع عنده عسكر كثير ، وسار من الظاهرة الى بلاد سبت ، ولما وصلها أرسل إليهم أن يؤديوا له الطاعة فأبوا ، فحاصروهم وأمر القوم بالهجوم عليهم فهجموهم ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، ثم هجموا على العارض وكانت لبني عدى فأخذوها منهم ، وأخذوا أيضا غمر وخضعت له بلدان بنى هناة كلها ، ولم يبق فيها أحد منهم ، فالذى قتل قتل والذي طلب التسيار سيره بأمان .

قال الإمام : وقتل من أصحاب محمد بن ناصر في أول الهجوم على باب بلاد سبت قدر عشرة رجال وجرح أناس ، وانتهى أمر بلاد سبت وتوابعها وخرج عنها محمد بن ناصر وهذا حالها .

عودة محمد بن ناصر الى نزوى للنظر في الاحوال

وصل محمد بن ناصر نزوى بعد حرب بلاد سبت ليدبر أموره في صدده ، وأقام بها ستة أشهر في أيام الشتاء ، وتأكد من عدوه وصديقه ، وقد أصبح الحال في عمان ولا زعامة لأحد إلا لمحمد بن ناصر ، ويجاذبه الحبل خلف بن مبارك ، وإذ ذاك أرسل الى أهل منح خصوصا أهل حجرة البلاد أن يدخلوا في طاعته ، فأبوا وامتنعوا ، فجهز لهم جيشا فأحاط بهم ولا منقذ لهم ولا معين ، فقطع الجيش نخيلهم من الفيقين وجر على ، حتى اذا رأوا أنهم مغلوبون لا محالة خضعوا وأذعنوا بعدما ذهبت أموالهم ، فخرج عنهم متوجها الى الظاهرة ، ونزل الغبي وأخذ في جمع له جحفل ضخم بدوا وحضرا ، وأمر بحمل التمر من الظاهرة الى الحزم ، وصحبهم أهل وادى بنى غافر ، ومن هو من أصحابهم وتوجه بنفسه شرقا يريد حرب العوامر ، لأنهم ناصروا سابقا خلف بن مبارك هم والحبوس وآل وهيبة وكثير من قبائل الشرقية ، ومعهم بنو هناة ، لأن بنى هناة جاءوا الى العوامر مناصرين لهم لما بلغهم أن محمد بن ناصر يريد حربهم •

وكان محمد بن ناصر وخلف بن مبارك ، بل مطلق بنى غافر ومطلق بنى هناة اشتدت العداوة بينهم لهذه الحروب والفتن التى يخوضونها على الرئاسة والزعامة ، والدم أكبر مثير للظنن وأعظم مورث للحقد والعداوة ، سحب محمد بن ناصر جيشه على بلدان العوامر ، فالتقتهم الجموع من العوامر وآل وهيبة وبنى هناة ، فدارت رحى الحرب بينهم ، وعظم الخطب وعمل السيف عمله ، وزهقت أرواح •

قال المؤرخون العمانيون وفيهم الإمام رحمه الله : وقعت بينهم حرب عظيمة ، حتى كاد أن تكون الهزيمة على أصحاب محمد بن ناصر ومن معه ، ثم إنهم ثبتوا وتراجعوا ، فوقعت الهزيمة على بنى هناة ، وقتل منهم خلق كثير فولوا الأدبار هاربين ، وأصحاب محمد بن ناصر خلفهم ، حتى أدخلوهم حجرة العاقل ، فرجع محمد بن ناصر ومن معه غالبا مظفرا ، وكان سيف بن سلطان معه ، فتوجه جبرين ولكنه لم يقر قراره لنشوة النصر حتى صار أشهى شيء إليه الحرب ، فإنه مالبت في جبرين إلا قليلا ، ثم توجه الظاهرة ليجمع جيشا ، وعلى كل حال إن المنتصر يزداد نشاطا وقوة وتميل النفوس إليه عادة أيا كان ، فلذلك تراه كلما توجه الى قوم لبوا أمره ، ويظهر أنه كان مبدالا للمال ، فاجتمع معه جيش كبير خرج به الى نزوى ، وجمع معه أهل نزوى وأهل أركى وأهل بهلى أيضا ، وبنى ريام وسار بهم الى سيفم ، وكل يظن أن الجيش قاصد إليه ، وفي سيفم أرسل الى سعيد بن جويد الهنائي ومن معه من أهل العتير والغافات ، ليدخلوا في طاعته ، فأبوا ، وأظهروا عتوا ، وكأنه لم يكف ابن جويد الدرس المتقدم ، ولم يجعله معتبرا • ويرى قوة خصمه متوافرة ، لكن اذا ضلت العقول على علم لم تقدر النصائح ، فأمر محمد بن ناصر بحصار القوم •

وفي أثناء الحصار خرج سعيد بن جويد خفية متسللا ليستجيش من يظن يرجو نصرته ، فمر على الظاهرة الى صحار ، فجمع قوما من صحار وينقل ، لأن ينقل نكتت الصالح الواقع بينها وبين محمد بن ناصر ، فاجتمع عند سعيد بن جويد الهنائي جيش ، وجاء الى عملى وضم وجمع معه بقية بنى هناة ومن شف منهم وأرادتهم ، وكذلك أهل وادي العلا

وجميع بلدانهم ، وكان ذلك في ظرف سبعة أيام ، لأنه يعهد أصحابه محاطا بهم ومحصورين •

ولا شك أن يقظة محمد بن ناصر تقيل معهم وتبيت ، وقد تحقق أمر ابن جويد عند محمد بن ناصر تماما ، فاستعد للملاقاة ، حتى اذا نزل سعيد بن جويد العبشى أراد الهجوم على حمد بن ناصر وأصحابه مباغتاً لهم ، فالتقوهم في صدر الغافات ، فدارت المعركة بين الطرفين ، فوقع ابن جويد قتيلا وقتل معه زعيم بنى على غصن ، وقتل جملة في هذه المعركة ، وأثر عليهم قتل سعيد بن جويد وغصن العلوى ، وأعيان رجالهم وانهمز الباقون شر هزيمة ، واهتز محمد بن ناصر نشاطا •

قال الإمام : وأمر محمد بن ناصر بالغزوة في كل بلد ملكها من بهلى ونزوى وبلدان الظاهرة ، لإظهار الناموس •

قلت : لم أعرف معنى إظهار الناموس إلا أن يكون القوة • قال : وسحب أصحاب محمد بن ناصر سعيد بن جويد الى الغافات ، وفيها حصنه وفي الحصن عياله وأهله وأولاده وقومه ، لينظروه ويخضعوا بالطاعة لمحمد بن ناصر ، فأبوا وأصروا ، ف ضرب عليهم الحصار ، وبقى محاصرا لهم قدر شهرين حتى فرغ ما عندهم من الزاد ، حتى أكلوا الأنعام وأفنوا ما لديهم من الطعام •

وكان القائد لهذه الحرب من جهة محمد بن ناصر مبارك بن سعيد ابن بدر الغافرى ، وكان محمد بن ناصر بعد قتل ابن جويد وهزيمة قومه عهد بالأمر الى مبارك بن سعيد والى جبرين ، ولما رأى آل سعيد بن جويد أن لا مناص من الخروج حين نفذ ما عندهم ، وقتل من قتل من قومه ، وبعد ذهاب أموالهم بالاستهلاك نخلا وحروثا وحيوانا ، صالحوا

على هدم حصنهم ، أى على أن يهدموه بأنفسهم فهدموه بأيديهم ،
ووصلوهم بأمان وبقي حصن العقير محاربا ، ولعله ينتظر العقير وإلا فقد
رأى أمامه دروسا يحسن السكوت عليها ، ولكن بعض النفوس لا تهتدى
حتى لصلاحها •

وفي هذه الأثناء عزل محمد بن ناصر مبارك بن سعيد بن بدر ، وجعل
مكانه راشد بن سعيد بن راشد الغافرى ، وأقام هذا محاصرا لحصن
العقير المشار اليه ومعه جيش كبير من أهل بهلى ونزوى وأزكى والظاهرة
وبنو عافر وبنو ريام ، وداروا بالحصن كالخاتم بالأصبع وطوقوه
بالحصار ، فلا يخرج منه خارج ولا يدخله داخل حتى أكلوا ما عندهم ،
ورأوا أنهم فى ذل قاهر لهم ، وإذ ذاك طلبوا الصلح على أن يهدموا
حصنهم بأيديهم فوافقهم القائد فهدموه ، فكانوا كما يقول الله عز وجل :
(يخربون بيوتهم بأيديهم) وذلك بعدما خربت بلدانهم ، وقطعت نخيلهم ،
ودمرت أوطانهم ، ولم تبق لهم نخلة ولا فلعج يجرى على وجه الأرض ،
ورجع الأتوام كل الى وطنه •

خلف بن مبارك يزحف لحرب نخل

ولما رأى خلف بن مبارك أن محمد بن ناصر مشتغلا بحروب الداخلية ، خرج من مسقط الى بركا واستجاش من قدر عليه ومن خف معه ، وجاء الى وادى المعاول واستجاش المعاول وطلب منهم حرب نخل فأجابوه • قال ابن رزيق والإمام أيضا : أما خلف بن مبارك فإنه جمع جمعا ونزل وادى المعاول ، وانتقل بهم الى نخل فحاصرها ، وكان فيها مرشد بن عدى اليعربى ، قال : فمكث أربعة أيام ، ثم خرج مرشد من الحصن ، وكأنه كان على غير استعداد فيه ، قال : فأحرقوه وهددوا منه ما قدروا عليه ، ومع ذلك صالحه أهل حجرة الجيمى •

قال : ثم عقب عليهم من عقب ، ودخل على حين غفلة من أهلها ، قال : هرب أهلها الى سمائل ، وبعضهم التجأ فى حجرة الجناة مع بنى مهلك ، قال : ثم إن الذين بقوا عند بنى مهلك أرسلوا الى أهل نخل أن يجيئوا من جانب الحمام ، أى من أعلى البلد ، فجاءوا بقوم من حيث لا يدرى بهم آل مهلك ، فدخلوا عليهم على حين غفلة منهم ، وقتلوا من قتلوا فخرجوا الى وادى المعاول حتى إن المعاول نصرهم ودمروا لهم الحرب الى حجرة الجناة ، وكان بنى مهلك هم من عصبة المعاول •

قال : فمكثوا يحاربونهم ثلاثة عشر يوما لا يهدأ ضرب البنادق حتى انهزموا من الحجرة ، وكثر فيهم القتل وتخيبيوا ، ثم إن المعاول قالوا لا نبغى حجرة فى الجناة فهدموها ، وكان عناية نخل هى تابعة للمعاول ، وتخربت نخل وتشوه وجهها وساعت حالها •

قال الإمام : ومكثت نخل مدة من الزمان لم يوجد فيها من الإنس إلا الكلاب والسباع على القتلى ، وبعد ذلك قسم بنو هناة نخل على بنى هناة ، ومكثوا فيها — أى بنو هناة — الى أن ملك سيف بن سلطان أى أخذوا فيها مدة كما سوف تراه وهذه من الخطأ^(١) حيث تؤخذ أموال أهل القبلة فتغنم بغير حق ، ويتولى المسلمون أموال إخوانهم يأكلونها بغير حق ، وعضوا عليها بالنواجذ الى أن ملك سيف بن سلطان بعد ما بلغ الحلم ، وأقيم إماما فعند ذلك سلموها لهم وذلك أوان تخليج النخل ، فصاروا يتوسلون بالقاضى ناصر بن سليمان المدادى فى نزوى ، فجاءوا بكتاب الى المعاول فسلموها لهم وتراجع أهلها الذين فروا منها والذين اختفوا فى جوارها •

(١) أى حيث استحلوا أموال أهل القبلة من غير حق ولكن الجهل والبغى لا يبقيان ديننا والعياذ بالله .

محمد بن ناصر يجهز الجيوش لحرب الحبوس

لما كان متوقعا عند الحبوس أن محمد بن ناصر لابد وأن يغزوهم يوما ما حيث تظاهروا بحربه مع عدوه خلف بن مبارك ، وكان خلف بن مبارك يرى أن لا مناص من حرب محمد بن ناصر للحبوسى ، بقى هو وإياهم يتراسلون فى أمر محمد بن ناصر ، ويتقاهمون وكأنه من المقرر لديهم ذلك •

قال التاريخ العمانى : وأما محمد بن ناصر فجهز جيشا من البدو والحضر ، فقصده به بلدان الحبوس من الشرقية من المضيبي والروضة ، ولما علم خلف بن مبارك صحة ذلك تجهز لمناصرة الحبوس ، فخرج بجيش مسقط والباطنة ومن معه من جماعته ، وكان الالتقاء بالمضيبي لأكثر الله هذه اللقاءات على هذا الحال •

قال الإمام رحمه الله : والتقى — أى محمد بن ناصر — بجيش خلف بن مبارك ، بالقصير والحبوس وغيرهم من بنى هناة بالمضيبي ، فوقعت الحرب وجلت المعركة • قال الإمام : فوقع بينهم حرب عظيمة وانكسر خلف بن مبارك ، وتحصل فى حجرة المضيبي فحاصرهم محمد بن ناصر وقطع نخلهم وخشاها ، ولما استشعروا العجز عن دفاعه طلبوا الصلح والأمان ، فأمنهم محمد بن ناصر وأدوا له الطاعة ، ولم يعلم محمد بن ناصر أن خلف بن مبارك معهم فى حجرتهم ، ثم شاع الخبر بوجود خلف معهم ، وأنه متحصل فى حجرتهم فلم يستحسن محمد بن ناصر أن ينكث العهد الذى عاهدهم به ، وأن ينقض صلحه الذى صالحهم إياه ، ثم خرج خلف هاربا الى إبراء عند آل الحارث ، فاتبعه محمد بن ناصر بجيشه حتى وصلا إبراء ، ودخل خلف إبراء ولم يظن أن محمد بن

ناصر يتبعه ، فأقام مع آل الحارث فأرسل اليهم محمد بن ناصر أن يؤدوا له الطاعة ويخرجوا خلفا من عندهم ، فأبوا ورأوه صعبا عليهم أن زعيما التجأ بهم فيسلموه لخصمه ، فأعلن محمد بن ناصر حربهم ، وما كان خلف بن مبارك إلا جارا لهم بلاء أراد أن يغمسهم فيه ، ولعله كان يراهم من أنصاره ، فأقام محمد بن ناصر يقطع نخيلهم ويدمر أنهارهم ، ولم يقدرُوا على دفعه حتى رأوا لابد من إخراج خلف من بينهم ، وأن البلاء بوجوده بينهم لا يزال مستمرا عليهم ، وماذا عسى أن ينفعهم وهو لا يزال في سأم الهزيمة ، ومحمد بن ناصر في نشاط النصر والظفر ، فبين الحالين فرق كبير •

قال الإمام رحمه الله : فأخرجوا خلفا ، وكان خلف رئيس بنى هناة كافة ، وكان مقرة مسكد وهي مسقط ولا تزال في يده • قال : ثم إنهم صالحوا محمد بن ناصر من بعد خروج خلف من عندهم وقبل منهم محمد بن ناصر وأعطاهم الأمان على العهد والميثاق ، ورجع عنهم وأقام ببيرين ، وكان أكثر إقامته بها ، ثم إنه لم يطل المقام بها بل خرج الى الظاهرة •

محمد بن ناصر يتجهز لحرب الرستاق

لما تبين لمحمد بن ناصر أن أهل الرستاق لهم ميل إلى خلف بن مبارك • وأنهم ظاهروه لما زحف إلى الرستاق في حال دخوله عندما كان محمد بن ناصر مشغولا بحرب بني هناة ، فأكن لهم سوءا يتحين له الفرصة ، وكل ذلك عقوبة من الله لأهل الرستاق على ما فعلوه في الإمام مهنا ، وما فعلوه في القاضي عدى بن سليمان وزميله ، والفتنة اذا جاءت يعم شرها الأمة صالحها وطلحها •

خرج محمد بن ناصر من جبرين إلى الظاهرة ليجمع جيشه منها ، وكان أكثر ما يستجيش أهل الظاهرة لقساوتهم وغلظ أكبادهم وعدم مبالاتهم بما يلاقون ، فجمع من الظاهرة جيشا ضخما وغرب بهم ، ولم يعلم به أحد من قومه أين يريد ، فمر ببلدان بني نعيم وجمع ناسا من بني ياس وبني نعيم أيضا وغيرهم من القبائل ، وسار بهم على طريق وادى الجزى ، ومر على بلدان بني قليب ، فصحبه من رجالهم من صحبه ومضى على خط الباطنة يسحب جيشا أرعن ، فخاف منه أهل صحار فلم يغشهم ، ثم أخذ في الشرق سائرا فخافه أهل فلج الحواسنة أن يدمر واديههم ، وأصحابه يأخذون كل ما يجدون من إبل وغنم ، وفيهم من لا يعرف الصديق من العدو ، وارتاعت القبائل في الباطنة ، كل يظنه قاصده ، وكان المذكور يروم حرب الرستاق ، فالتقاه خلف بن مبارك بمن معه من قومه عند أفلاج عرعر من الرستاق ، فالتحم القوم قتالا ، وأحاط محمد بن ناصر بجيش خلف ، وليت خلفا تأخر عن هذه الأمور التي تجلب له عار الهزيمة في كل مرة •

قال الإمام : ولى أصحاب خلف هاربين منهزمين ، ودخل خلف في بيت هناك ، واختفى فيه واتبعه محمد بن ناصر بقومه ، ولم يعلم أنه هناك مختفيا . مالك يا خلف في كل مرة تنهزم ثم تختفى ، أبرز لمحمد بن ناصر الذي جئت للملاقاة المرات العديدة ، قال : وظن خلف أن محمداً تركه بعد القدرة عليه ، فدخل محمد بن ناصر الرستاق ، ولا تسل عن خوف أهل الرستاق لما رأوه منه في المرة الأولى حيث خرجوا من البلاد فتأهوا في الفلا ، وماتوا جوعا وعطشا ، فقام محمد بن ناصر يدمر أفلاج الرستاق ويقطع النخيل ويرأسلهم أن يذعنوا بالطاعة ، وهم يأبون خوف العاقبة التي لا يدرون فيها مصيرهم فدمر فلج الميسر وهو أكبر أفلاج الرستاق ، ودمر فلج أبو ثعلب وفلج الحمام ، وقطع نخلا .

ولم يكن لأهل الرستاق قدرة على الخروج لحربه ومنعه ، ولما رأوا العجز ورأوا أن الرجل غير تاركهم ، وقد رأوا منه وسمعوا وهموا بالخضوع فساعدهم القدر إذ جاءت الرسل من الظاهرة تخبره أن راشد بن سعيد الغافري أخذ حصن مقنيات ، والوالى فيه مبارك بن سعيد بن بدر حسداً منه لمبارك المذكور ، لأنه رأى محمد بن ناصر يقدمه ، فأمر محمد بن ناصر بترك الرستاق على حالها ذلك ، ونهض تاركاً لها بعدما دمر أنهارها .

وكان على بن ناصر بن حمد الكلبانى أحد زعماء بنى كلبان ، قام لراشد بن سعيد وناصره وخوفه سطوة محمد بن ناصر ونقمته التي لا يقدر لها راشد ، ومن كان مثله وسلم له الحصن بعد ما ضمن له من محمد بن ناصر ألا تصيبه منه عقوبة ، وكان محمد بن ناصر يعرف أقدار الرجال ، وكانت حربه على قانون الحروب الصحيحة ، لا على غطرسة

الباقيين ، فقبض على بن ناصر الحصن الى أن وصله محمد بن ناصر ، فترك فيه مباركا واليا ، وترك معه الحواتم — فرقة من بنى غافر — وسار قاصدا الى بيريين وكانت هذه القضية رحمة لأهل الرستاق حيث استنهضت محمد بن ناصر من بلادهم ، وإن كان قد قضى وطره منهم ودمر أنهارهم ، إلا أنه لا يعرف ماذا يفعل بعد ذلك فيهم ، وأقام بييرين مدة ، ثم انتقل بجيشه الى نزوى وتمركز بها وهو الحاكم القوي في عمان الداخلية كلها ، وله الحول والطول في عمان ، والله يعز من يشاء ويذل من يشاء .

كان محمد بن ناصر من رؤوس القبائل العمانية ، ومن الزعماء المعروفين ، فأصبح الآن يطلب الزعامة الكبرى للسلطنة أو الإمامة ، ولكنه كان بطلا صنديدا لا يعرف للموت ولا للذعر أبدا ، وإذا كان من العلم ما يقوم به أوده كان حقيقا بالزعامة الكبرى ، لأن الزعيم اذا لم يكن شجاعا جريئا لا يصلح أن يكون قائد أمة ، كما قيل : اذا كان القائد ثعلبا كانت أسود الأمة ثعلاب ، واذا كان قائد الأمة أسدا كانت ثعلبها أسودا وهكذا .

ومحمد بن ناصر في وقته أقوى رجل عرفه التاريخ ، فإنك كما قرأت عنه ستقرأ أنه ما خرج من حرب إلا قام لمثلها ولا رجع من غزوة إلا خرج لمثلها وهكذا أيامه بغير ملك ، ولا خوف ولا سامة ، ولا تحدته نفسه إلا بالنصر والواقع هو كذلك ، فإنه لم تعرف له هزيمة أبدا .

إمامة محمد بن ناصر الغافري

نسبه : محمد بن ناصر بن عامر بن رمثة بن خميس الغافري ،
قال الإمام : نسبة الى غافر جد له ، قال : ووجدت أنه من سامة بن
لؤى بن غالب القرشي •

قلت : وقضية سامة بن لؤى بن غالب المذكور ذكرناها في « العنوان »
وسبب خروجه الى عمان وصحة نسبه الى لؤى بن غالب ، وإن دفعه
بعض نسابة قريش •

قال الإمام : وسبب ذلك أى سبب إمامته أن محمد بن ناصر
لما كان منه لما ذكرنا من الحروب ، أى وتوجهه الى نزوى بعدما
قضى أعظم مهماته ، وصل نزوى بمن معه ، وأرسل الى رؤوس القبائل
وأهل العلم من غرب عمان وشرقها ، فاجتمعت إليه جموع كثيرة ولما
اجتمعوا طلب منهم أن يبرأ من الإقامة بالحرب وبأمر المسلمين ، وأن
يقيموا من أرادوا مع سيف بن سلطان ، واعتذر إليهم فلم يعذره القاضي
ناصر بن سليمان بن ممداد ، ومن حضر من المشايخ من رؤساء القبائل ،
ولم يزالوا في معالجة هذا الأمر ، وغلقت أبواب حصن نزوى والعقر ،
فلا يدخل داخل ولا يخرج خارج اهتماما بهذا الأمر الجال الذي يريد
محمد بن ناصر أن يتخلى عنه ، وهم لا يرون له أحدا إلا محمد بن ناصر
الذي لم يعرف له أنهزام في حرب ، ولا لسبقه نبوة عند الضرب ، ولا لسهمه
التواء عند الطعن ، ولم تعرف له خفقة في حروبه التي مرت على
القاريء •

الإمام السالمى يناقش القضية

قال الإمام رحمه الله : وانظر فى مبايعتهم له بعد تلك الأحداث المنكرة والأمور المهولة ، قال : وفى كشف الغمة أنهم بايعوه تقية ، قال الإمام : قلت : ولا يسوغ ذلك لقضاة المسلمين وعلماهم ، وكان الإمام ، رحمه الله وعفا عنه ، ينظر الى الأحوال الواقعة فى حروبه من فعل جيوشه من حمل أولاد الناس ، وبيعهم فى الأسواق ، وانتهاهم لأموال عباد الله ، ولا يردعهم ولا يزجرهم ، وإن منصب الإمامة منزه عن مثل هذه الأحوال ، وأن الإمام من شرطه أن يكون من خيار أهل الإيمان والتقوى مع العلم الذى يجب لحامل هذا المنصب ، وأن محمد بن ناصر من الرجال الذين يقاتلون من أجل الدنيا .

قال الإمام : غير أن الأمر يحتمل شيئين ، أما الأول أن يكون محمد ابن ناصر محقا عندهم فى حروبه السابقة ، لأن يعرب بن ناصر وأشياعه كانوا بغاة على المسلمين ، وعلى هذا الاحتمال ، فيقال إن تلك الأحداث إنما كانت من معرة الجيش ، ومن أحداث بعض السفهاء كما وقع بعض الأحداث فى جيوش أهل العدل ، وهم لم يرضوا بذلك ولا صوبوا فاعله قال : ... والاحتمال الثانى أن يقال إن تلك البيعة كانت على سبيل الدفاع حتى تضع الحرب أوزارها ، وللمسلمين أن يقدموا فى الدفاع إذا غشاهم العدو من لا ولاية له عندهم ، إذا رأوا صلاحيته ، وأن غيره لا يقوم مقامه ، فثبتت إمامته عليهم على هذا الشرط الذى شرطوه عليه وتجب عليهم طاعته إذا دعاهم لدفع عدوهم على حسب ما بايعوه .

قال : وإنما جازت الإمامة ها هنا لمن لا ولاية له ، لأن الدافع واجب على الكل ، فهم إنما قلدوه واجبا عليه رجوا أن يقوم به ، وأن يكون لهم به الظفر ولا تزيد هذه الإمامة إن لم يصلح منزلة فوق منزلته !

وجوب الطاعة في الدفاع ، وذلك إن لم يصلح حاله ، فإن صلح فلعله درجات مما عملوا ، ورب إمام بويع على الدفاع أولا ، ثم ترقى أمره حتى صار في منزلة الظهور ، وأكثر الأئمة من بعد مهنا بن سلطان إنما بويعوا على الدفاع فيما يظهر من حالهم •

قال : وإذا نظرت الى فعل المسلمين في أول ظهور أمرهم بعمان ، وفي تقديمهم لمحمد بن أبي عفان على ما قيل فيه سهل عليك الأمر ، واتضح السبيل ، وبرح الخفا ، وعلمت أن الدين سهل يسر •

قلت : لما بويع محمد بن ناصر بالإمامة أصبح منتوجا تاج الفخر والشرف ، وعظم بذلك قدره وشاع في الناس ذكره ، وعلا صيته وارتفع قدره ، وعند ذلك ثار حسد أعدائه وزاد حنقهم ، وغلت مراجل حساده في عمان ، فقاموا يتظاهرون لمعاداته حسدا من عند أنفسهم •

الحسد عنصر الشر

لما علم أعداء محمد بن ناصر ما صار اليه من العز والشرف ، وما رقى اليه من المجد ، قاموا يتعسفون فسادا في الأرض ، وأخذوا في التتحم على الأمور بغير هدى ، وراموا أمورا تركسهم في الباطل على هاماتهم ، ولا يخلفون وراءهم إلا سوء الأحدثوة ، ومع ذلك يشاهدون أحوال هذا البطل القوى ، ويعلمون عنه ما يكفي لإرشاد أهل الأفكار ، ولكن اذا عمى السمع والبصر لا يكون للانسان إلا العثار ، فإن محمد بن ناصر لما تقرر عقد البيعة له بالإمامة ، وانتهت الأمور على هذا الحال ، بقى في نزوى حتى صلى الجمعة ، ثم توجه الى جبرين وفسح للأقوام المتجمعة معه إلا القليل منهم ، وأقام بجبرين مدة يسيرة ، ريثما يصلح أحواله ويرتب أعماله ويهيئ عماله ، بلغه أن مانع بن خميس العيزي هجم على الغبي ، وقهر حصنها ونهب سوقها ، وأفسد فيها ، وأغار مهنا بن عدى اليعربى ، وعامر بن سليمان بن بلعرب الريامى ، وسليمان ابن حمير بن على اليعربى على خزانة التركة وأخذوا ما فيها ، واتصلت أخبار هذه الحوادث الى الإمام محمد بن ناصر .

فقام متوجها إليهم ، وأرسل الى القاضى ناصر بن سليمان بن محمد ابن مداد ، والوالى عبد الله بن محمد ليلحقوه بالقوة الذين دعاهم لهذه البادرة الحاضرة ، والمتجمعون بنزوى وهو يسير أمامهم لأنه لم يمر نزوى ، بل جاء عن طريق خميلة ولم يكن عنده من العسكر إلا القليل ، لكنه عنده جيش من عزمه لم يتعود الانهزام ولا الذعر ، وبذلك هجم على أهل البركة الذين احتلوا ذخيرة الدولة ، واغتموا بغيا وبطرا على أهل الحق ، وكان الهجوم وقت الضحى حين ترى العين أختها ، ولم يرد

قتالهم ، بل ناصحهم على الرجوع عن مثل هذه الأحوال ، وعلى رد ما أخذوا من غالة بيت المال ، فأبوا وأصروا على حربه وقتاله ، وسرعان ما صنعوا لهم مرصداً على مسجد الشريعة ، وهو الذى يسميه أهل عمان بومة ، وهذه التسمية أصلها غير عربية ، وقبضوا الجبل الشرقى ، وكسروا فلج البركة واشتدوا فى أمرهم ، فصنع الإمام بومة تقابل العدو بالمسجد الأسفل من شريعة البركة والجبل الأسفل كذلك ، وبقي بين الطرفين إطلاق النار ، وقذف الرصاص •

قتل منه بعض غزابة الركاب من أصحاب محمد بن ناصر ، وجرح كذلك ، فصالت بعد ذلك رجال محمد ناصر البواسل كالأسد الكاسرة ، فهرب القوم منهزمين ، وإذ ذاك قبض رجال محمد بن ناصر على ناصر بن بلعرب الريامى ، وعلى بن صالح من أهالى كمة بفتح الكاف والميم آخره هاء ساكنة ، بلدة بأعلى نزوى على سفح الجبل الأخضر ، وكان هذا الهجوم من محمد بن ناصر قبل أن يصله أحد من المدد ، بل كان ذلك بالذين كانوا مع الإمام أول ما وصل كما ذكرنا ، وانسحق شر القوم ، وانمضى كما يمحى الماء المداد •

وأمر الإمام بحمل التمر الباقى فى خزانة البركة الى بيرين ، ورجع الإمام الى نزوى ونزل بمسجد الغنتق ، لأن ذلك المكان أوسع له ولم يدخل نفسه خوف من عدوه ، ولو كان خائفاً لتغلغل بالحصن وقلعته الحصينة ، وكان فى هذه الآونة أراد حرب أهل تنوف ، لأنهم صاروا أعوان العدو فى البغى على الناس ، ولكن توسط بين الطرفين رجال من الأعيان ، فتركهم بعد ما قرر تخريب تنوف عن آخرها لما كان منهم ، فأذعنوا له وواجهوه وعاهدوه ألا يخونوه ، وكان عفواً اذا أذعن المجرم

غير متأثر مما فعل ، موفقا في مساعيه ، منصورا في إقدامه لا يثبت له
عدوه في ميدان الحرب ، ولما رأى الانقياد من أهل تنوف طابت نفسه عليهم
وعفا عنهم ، وبعد ذلك توجه الى الغبي ومعه ستة رجال ، فلم يشعر
أهل الغبي إلا ومحمد بن ناصر يقتحم سور الحصن ، ويدخل عليهم
برجاله الستة .

وكان في الحصن مانع العزيزي كما سبق الكلام عليه معاديا لمحمد
ابن ناصر ، وكان يظن أن محمد بن ناصر سيأتيه في جيش ، واذا به
يحتل ذلك الحصن الذي تولاه عدوه بستة رجال هو سابعهم ، إنها
لبسالة يضرب بها المثل الرائع ، فخرج العزيزي ذليلا هاربا من الحصن
تولاه وسيطر عليه فكان الخوف والرعب من محمد بن ناصر أقوى من
جيشه ، وخرج القوم الذين معه هربا لا يلوون على شيء ما أبدا ، بل
فرارا من الخطر الدايم هو محمد بن ناصر ، فكان روعهم منه كفيلا
بطردهم عنه ، وقتل خادم لمانع المذكور .

وتولى الحصن وولى عليه واليا ورجع هو الى بيرين مقره
المعروف ، ثم انتقل الى نزوى وطلب حضور القبائل اليه ، فحضرته
جموع كثيرة وخرج بتلك الجموع يريد ضنك إرجاع الوحاشا بضم الواو
وحاء مهملة وشين بعدها ، قوم من أهالي ضنك ويردهم الى بلادهم ،
فإنه أخرجهم منها صاغرين ، ودمر حصنهم ، وكسر قوتهم ، حين عادوه .

والآن لما خضعوا وأذعنوا وقهرت عليهم يده ورجعوا عن مظاهرة
خلف بن مبارك ، فإنهم ناصروا المذكور ، وصاروا في طاعته ، فغزاهم
محمد بن ناصر قبل إمامته ، فدك صرحهم وقضى على نعرتهم ، فلم يقدر

خلف بن مبارك أن يرد عنهم ، وبذلك لاموا أنفسهم وعرفوا حقيقة الأمر .

ولما شاع هذا الحال وأن محمد بن ناصر جاء لهذا الصدد ، تبرم آل عزيز أهل ضنك ، ولم يرضوا أن يبنى الآن عزيز حصنهم ، ولا أن يرجعوا الى وطنهم ، وبذلك دخلوا على بعض طعام مظاهرة ، فلقوا لفيفا منهم ، وجمعوا جمعهم ، وراموا حرب محمد بن ناصر ، فجمعوا بجمعهم والتقاهم محمد بن ناصر بطل الحرب في ضنك نفسها ، فسرعان ما تمزق شملهم وفرق جمعهم ، وانهمزوا تماما وحينئذ تحققوا أن لا طاقة لهم بحربه ، وعمل محمد بن ناصر في ضنك ما شاء أن يعمل في مضاء لا يعرقله أى شيء .

مانع بن خميس يلتجىء بالنعيم

لما خرج مانع بن خميس العزيزى من حصن الغبى هاربا بعد ما عاث فى ذلك البلد هو ومن وازره ، لم ير له ملجأ يلتجىء به ، وكادت الأرض تضيق به ، وفعل السوء لا يكون منه إلا اللوبال لراكبه ، قصد مانع بن خميس السنينة ليحتمى بحماها الذى لا يحميه من محد بن ناصر كما لم يحمه حصن الغبى من بطل الحرب ، فكيف بالسنينة ، ولكن من لم يفكر فى أموره لا يزال حائرا ذليلا ، فلما علم محمد بن ناصر بوجهة مانع المذكور ، خرج فى إثره طالبا له فى شردمة من الرجال قليلة أصحاب خيل وإبل ، فلم يشعروا به إلا وهو معهم فقبض مانع بن خميس أسرا ، ورجع به قائدا له برغم أنفه ، وجاء الى ضنك حيث لمانع القوة والرهط ، وهل يتحرك أحد من قومه مناصرا له ، فلم يكر ثم توجه الغبى فمر على أفلاج بدو آل عزيز جماعة مانع المذكور الذين نهبوا سوق الغبى بالأمس مع مانعهم ، فنزل محمد بن ناصر على أفلاجهم فدمرها ، ورجع الى الغبى وأقام سوقها ولبث ما شاء الله أن يلبث ، ثم حشد من جانبيها من قبائل الظاهرة ما شاء الله ، وتوجه الى جبرين وأقام بها أياما قلائل ، ثم توجه لنزوى فنزل ببيت المزرع ليجمع رجالا من نزوى ، ثم مضى الى أزكى وأخذ منها رجالا ، وأرسل الى الشرقية فلباه أهلها ولا يعلم أحد أين يريد ، وبقي عدوه فى كل بلدة خائفا يقول هذا الجيش على •

وهكذا فسرت بذلك هيئته فى أرجاء البلاد •

الإمام محمد بن ناصر يهاجم أهل علوية سمائل

كان في سمائل إذ ذاك أناس تمردوا كما يقول أحد كتاب الإفرنج ، ومنهم البكريون في سمائل وأهل فلج الحيلي ، وقوم عكاشة وبنى ربيعة وأولاد سعد أمجو على ، وأفسد في سمائل آل عمير أيضا قبلهم ، فجاء هذا البطل لتطهير البلاد من السوء الذي بها ، والتمرد على الحق ، وكانت جموعه التي جمعها كما ذكرها •

قال الإمام رحمه الله : فخافت منه بنو رواحة أى لعلاقتهم بأهل العلوية ، فلم يلتفت الى بنى رواحة بشيء حتى أتى سمائل ، فأول شيء عمله ألقى نصحه للبكرين •

قال الإمام : فلم يزل يناصرهم وأهل الحيلي وقوم عكاشة ، ولكن يا للأسف لم يبين التاريخ عماذا يناصرهم ؟ وما هى الأعمال التى ارتكبوها ؟ وكأنها أمور لها أهمية كبرى ، حيث اجتاحت الى هذه الحركة الكبرى •

قال الإمام : فأما أهل الحيلي وأصحاب عكاشة فصالحوه وأدوا الطاعة ، فأرسلهم الى البكرين ليناصحوه فلم يقدرُوا عليهم ، وكانهم أصروا على خلافهم ، فأمر بالركضة عليهم في ليلة باردة شاتية مطيرة مظلمة ذات رعد وبرق ، فلم يشعروا به إلا هو في أعلى السور مع الحارس يقول له : عن تحرس ؟ فقال : مخافة أن يهجم علينا محمد بن ناصر ، فقال له : هذا محمد بن ناصر عندك ، فسقط في يده ، وانخذل حالا وانخذل أهل الحجره كلهم لما نادى محمد بن ناصر على رأسها •

وطلب أكثرهم الخروج بأمان فأمّنهم ، ولم يبق من الحجره شيء

إلا برج واحد وشيء من الغرف فيها بكر وأولاده وبنو عمه ، فأطلقوا عليهم النار حتى قتلوا عن آخرهم ، وقتل من قوم الإمام أربعة رجال فيهم مملوك للإمام اسمه بخيت ، كان قدمه على جميع الخدام ، فجاءته رصاصة فقتضت عليه ، وهدمت الحجرة كلها ، وأقبل على أولاد سعد أمبو على فأودعهم القيد ، وهدم المهمل من حجرتهم ، ولأجل البيان فإن عرف العمانيين أن الحجرة في البيوت الملتفة على بعضها بعضا ، تحيط بها أسوار وأبواب ، فهي كالحصون في معناها •

قال الإمام : وسلمت له سمائل زكاة ثلاث سنين ، ومنه نتبين أن الخلاف بينهم والإمام محمد بن ناصر من جملة امتناع زكاتهم ، فكانت تلك العاقبة ، قال : وكان آل عمير قد أفسدوا في سمائل ، وجازوا جميع أموال الأغنياء ، فرد محمد بن ناصر كل مال لأهله ورد الأمور على القرار الصحيح ، وأجراها في مجاريها والرجل غير متعطر كما تشهد له أعماله ، والأفعال دالة على ما في نفس الفاعل •

محمد بن ناصر يلاقى خلف بن مبارك في حيل العوامر

بلغ محمد بن ناصر وهو في سماءل أن خلف بن مبارك يروم الخروج من مسقط لحرب الرستاق ، حين علم أن محمد بن ناصر مشغول بأمور ساءل ، فتجهز له محمد بن ناصر ليلاقيه في حيل العوامر من السيب ، فيلتقيه قبل قصده فوصل الباطنة وكان خلف بن مبارك في مسقط ، وكان محمد بن ناصر يخرج من معسكره بالحيل الى غيره بوشر لعله يلتقى بخلف في هذه البيئة ، فلم يخرج خلف بل بقى خائفا هجومه على مسقط ، فما رأى له إمكان الخروج كان محمد بن ناصر يخرج هو ومملوك له اثنان فقط ، وهو يعلم أن خلف بن مبارك اذا خرج لا يخرج إلا بجيش ، فهنا يتجلى ما يقوله الناس إن محمد بن ناصر عنده أسرار .

يدلك على ذلك أنه لم يهزم مرة واحدة ، ولم يصب برمية واحدة في كل تلك الحروب التي خاضها ، مع أنه يباشر الحرب بنفسه قبل أن يصل الجيش فيقتحم الأسوار ، ويباشر بصدرة خطوط النار ، ولم يتعثر بأى شىء يعرف ، وهذا هو هنا يتلقى خلف بن مبارك ومعه مملوك من خدمه فقط وهذا أكبر دليل على ما قيل ، فإننا ما قرأنا في التاريخ عبقرية من الرجال يغامر بنفسه كهذه المغامرة ، ويرتكب هذه المراكب الصعبة ، ولا بأس عليه ولا خوف ، والله في خلقه أسرار .

وإذا تتبعنا أحوال محمد بن ناصر في حروبه أيقنا أن الرجل اوتى شيئا فوق العقل ، فإن وقائعه مع أعدائه لها أهميتها البالغة ، فإن الحرب في جميع الأمم تكون سجالاتا الا حرب محمد بن ناصر لم تكن سجالاتا ، بل

هي انتصار محض ، وهذه المحررات التاريخية من شك ، فليتبع ذلك
يجده كما قلنا ، فإن أبطال الحرب معروفون جاهلية وإسلاما ، ولم يعرف
لواحد منهم نصر محض في كل موقعة ، وكذلك لم تكن لهم سلامة نفسية ،
ومما يدل على أنه ذو خصائص سرية لما كان عند آخر ذرة من حياته في
صحار ، إذ جاءه الخبر أن خلف بن مبارك أقبل في جيش كثيف ، قال :
إنا لله وإنا إليه راجعون ، هذه ساعة لا لنا ولا علينا ، ما ندرى ماذا
يقضى الله فيها ، فقضى الله فيها بقتل الرجلين كما سوف يأتي إن شاء الله
في محله .

ولازال خلف بن مبارك خائفا من محمد بن ناصر في مسقط ، وقد سد
الأبواب ، وأقام الحرس على الطرق ، ولم يقصده محمد بن ناصر قصداً
خاصاً في مسقط ، ولو قصده لم تكن لتمنعه أكثر من بقية حصون عمان
وقلاعها ، ولأن العادة قاضية بينهما بانهزام خلف بن مبارك ونصرة محمد
ابن ناصر ، وقد أقام محمد بن ناصر في حيل السيب قدر نصف شهر
منتظراً خروج خلف ولم يخرج من مسقط .

محمد بن ناصر والمعاول

لما أيس محمد بن ناصر من خروج خلف بن مبارك من مسقط رجع الى سمائل ، وكان المعاول أنصارا لخلف بن مبارك ، كما أنهم هم الذين قادوه على حرب نخل كما سبق ، ثم وقع بينه وإياهم شرهة وعتاب رأوا أن يهاجموا حصن بركا ، فاحتالوه على دخوله فدخلوه بصفة الاحتيال ، فتولوه ليعلم خلف بن مبارك أنهم ينفعونهم ويضرونه ، ويؤثرون عليه إذا لم يتراجع عن سياسته التي هو عليها في جانبهم ، وإذ ذاك أرسلوا لمحمد بن ناصر في سمائل يخبرونه عما فعلوا •

وكأنهم يتخوفون من خلف أن يهاجمهم ، فجاء محمد بن ناصر الى المسيب والتقاء المعاول ، وعاهدوه على حرب خلف بن مبارك ، وعلى تخريب مسقط ولم يجز كلام في حصن بركاء من الطرفين ، بل هو في يد المعاول ، والمذكورون هم بعهدهم مع محمد بن ناصر • ولما افترقوا غرب محمد بن ناصر فظن المعاول أن محمد بن ناصر توجه لقبض الحصن ، فلحقوا به ونزل هو الحرادي من بركا ، ونزل المعاول في مناخه وعند غروب الشمس ، فرشوا على ركابهم يرومون التوجه إلى بلدانهم ، ولكن أرادوا أن يصلوا المغرب فنزلوا الساحل أفرادا ، ومن هناك يتسابقون الى الحصن ، وقالوا لطناف الركاب سر بركابك في خفية حتى تدخل بهن وادي المعاول ، وسرعان ما نكثوا العهد ، فلما تحقق محمد بن ناصر أمرهم أرسل إليهم ما بقي من متاعهم في مناخه ، وتوجه راجعاً إلى سمائل وكان أهله بها فحمل أهله منها وتوجه إلى جبرين •

محمد بن ناصر يهاجم بغاة البدو من عامر بن ربيعة

لا يخفى أن البدو أفسدو خلق الله من أول يوم عرف فيه التاريخ ، ذلك لأنهم أشد كفرا ونفاقا ، وأجدر ألا يعلموا ما أنزل الله ، وقد عاشوا على الغزو والنهب ما لم تصرفهم عنه قرينة هي بريق السيف ورمصاص البنادق ، ولما كان محمد بن ناصر قد برز بسيفه في الميدان يقطع رؤوس البغى ، ويرد الطاغى عن هواه برغم أنفه ، فإنه لما رجع من الباطنة ورأى من المعاول خلاف ما عاهدوه عليه ، أحب ابقاءهم على ما هم عليه إرغاما لخلف بن مبارك .

ولما قفل من سمائل قصد البدو من عامر بن ربيعة وآل سعلى ، ومن اشتمل عليهم ومن واطأهم من سكان الباطنة ، وهجم عليهم في باديتهم ، وتوجه أولا الى ركابهم فظل يعرقبها ويعقرها ، لأنها قوتهم التي يفسدون بها في الأرض ، وهرب منه الرجال فقتل إبلا كثيرة تمكن من قتلها ، وكان راكبا على فرس ، وبيده كتارة أمضى من عزمه ، ومعها رمح طويل ، فكان يضرب الإبل يمينا وشمالا يقطع أعناقها ، ويعرقب أرجلها ، ولم يسمح لأحد يأخذ شيئا ، ذلك لأن يبيح كسر قوة الباغى ، ولا يحل ماله لعصمته بالتوحيد ، عمد بالنص الموارد عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقتل خيل الباغى وإبله وبغاله وحميره ، وتخشى أمواله نخله وشجره ، وتهدم قصوره وحصونه ، ويقتل عندما يتمكن المسلمون منه ، أما غنم أمواله فلا أبدا ، ويستعان بسلاحه وآلة حربته على قتاله ، وهذا هو عمل المسلمين منذ عهد الخلفاء الراشدين .

قال الإمام نقلا عن التاريخ العماني : ووصل الى فريق من فرقانهم فقتل رجالهم ، فصاحت نسائهم بالأمان يا خلف بن مبارك إنا في طاعتك ،

يظنونه خلفا • قال : فأكثر فيهم القتل ، وهو إمام القوم لم يلحقه إلا أهل الخيل والإبل السيارة • قال : وسيف بن سلطان معه لا يفارقه في جميع حروبه وغزواته حتى قضى غرضه من هؤلاء البدو البغاة المفسدين في الأرض ، ثم رجع الى الحزم فأقام بها أياما قلائل ، ورجع الى بلدة سنى بكسر السين المهملة ، وبكسر النون مخففة بعدها ياء ساكنة لا يظهر عليها الإعراب ، وهي في وادي بنى غافر •

قال : فأقام بها أياما ثم رجع الى يبيرين ، قال : وكان إقامته بها ، وكانت البدو من عمان قد أفسدوا الطريق ينهبون ويقتلون فلا يقدر أحد أن يسافر الى مكان إلا بجماعة كثيرة •

قلت : وهذا شأن البدو في كل الأجيال ، وهنا وجدوا الباب مفتوحا لمخالفة خلف بن مبارك ، ومحمد بن ناصر ، وكثرت الصيال والقتال والغارات المتواليات ، فأظلمت الطرق ، وتخوف الناس ، وتعطل السعاة ، وتوقفت الحركات التجارية إلا ما شاء الله ، وأصبح الناس تأخذ منهم مأخذها •

محمد بن ناصر يسوق زعماء وهيبة لواحة جبرين

لما كان آل وهيبة أكثر البدو نهبا وسلبا لاسيما كونهم أنصار خلف ابن مبارك ، وقد استأذت الناس من بطشهم ، وكان لهم رئيس يقال له بوخرق ، لأن البدو غالبا يستعملون الألقاب ولا يتبرمون منها كهذا اللقب وكخرق الفضة وأمثالها ، قال : وخاصة آل وهيبة .

قال الإمام رحمه الله : فحشدهم أي محمد بن ناصر بجميع أهلهم وإيلهم وغنمهم ، وأمرهم بالنزول حوالى جبرين ، قال : وذلك قهر منه لهم حتى ماتت إيلهم وأغنمهم ، وضعف حالهم ، ولم يقدرُوا على مخالفته ، فلما كانت ليلة أحد عشر من شهر الحج ، خرج محمد بن ناصر بمن معه من القوم قاصدا منازل آل وهيبة ، وهاجم بلدهم السديرة ودمرها ، وقتل من وجد فيها منهم . قال : فكانوا يهربون إلى الرمل من أسافل عمان وخرابها ، أى من جهة الجنوب ، وكل موضع ليس فيه ماء يظنون أنه لا يتوصل إليهم لقللة اهتداء الحضر لتلك الأماكن ، وقلة داللتهم بمواردها .

قال : فمضى إليهم أى تابعا لهم ليقطع عروق الفساد ، ويستأصل شأفة القوم ، قال : فقتل منهم ستة وثلاثين رجلا من أكابرههم ، وأسر خمسة وتسعين رجلا ، وقتل إيلهم وأغنمهم وحمل الأسارى إلى يبرين مربوطين فى الحبال ، قال : وأما بوخرق فإنه قصد مسكد أى مسقط ودخل مع بنى هناة ، قال : وقيد محمد بن ناصر الأسارى فى يبرين شهرا وأرسل بوخرق إلى الإمام أنه يعاهده لا يضر أحدا ، ولا يفسد .

قال الإمام : وأمنت الطرق . قلت : كيف لا تأمن الطرق وسيف

الإمام لا يزال على أعناق البغاة لا يقى منه واقى ولا يرده راد ، ويقول
الشاعر العربي الحكيم :

بسفك الدما يا جارتا تحقن الدما
وبالقتل تتجو كل نفس من القتل

ولا شك أن أهل البغي والفساد لا يردعهم إلا القوة الغالبة ، ومحمد
ابن ناصر أقوى رجل في عهده ، فإن آل وهية أنشط قبيلة وأقوى في
بادية عمان فجمعهم حول جبرين رغم أنوفهم ، ويهوى على بقيتهم في
سديرتهم ، فيهب تلك السديرة هذا روع أهلها فيرتلون هارين عنها الى
الرملة النائي ، ثم يتبعهم الى تلك الأماكن ، فيقتل الرجال ويؤسر الباقي
في الحبال ، كما تقاد الأغنام للبيع إنها لخطوة لا يستطيع مثلها قادة الدول
الكبرى الذين عرفهم التاريخ من العهد البعيد ، فقله در تلك الشخصية
انبارزة ملء عيون عهدها إنها لخصيصة قل أن يوجد مثلها خلق الله للحروب
رجالا ، ورجالا لقصعة من ثريد ، سبحان من يمنح من يشاء من عباده
خصالا عديمة المثال ، ويرفع أقدار بعض الرجال حتى يظهر بهم من
سلطانه ما شاء ،

ينقل تظهر الخلف لمحمد بن ناصر وتعرض للهجوم

لقد سبق أن أهل ينقل رفضوا ما بينهم ومحمد بن ناصر ، وتداعوا لحربه • قال الإمام ، وابن رزيق ، والمعنيون بالتاريخ العماني : إن محمد بن ناصر أمر بالحشد إليه بييرين ، أى طلب اجتماع جنوده المطيعين له فى عمان من شرقها وغربها ، فاجتمعت إليه فى بييرين جموع عظيمة لا يعلم عددهم إلا الله ، وأرسل الى بنى هناة من بلدان وادى العلا والحيل ، وضم وعملى ، فأطاعته جميع بنى هناة ولم يعصه أحد •

هذه عبارتهم بنصها ، وهى تدل على قهره الباهر وسلطانه القاهر ، قال : وسار بهم قاصداً ينقل ، ونزل فى أعلى البلد وأرسل إليهم ليخلصوا له الحصن ، فأبوا وشدوا الحرب •

قلت : هذا جنون سافر حيث عرفوا حق الرجل ، وعلموا العلم اليقين عيانا وسماعا ، وجربوه فلم يعصونه ؟ فإذا صال عليهم لم يقفوا له فى كل معركة بيتدعونها ويهربون آخرها ، أليس لهم عقول يهتدون ؟ أليس لهم رؤوس تنصحهم ؟ أليس لهم أصدقاء تبين ؟ ! وقد داس محمد بن ناصر وهاجم القلاع بالقلعة من الرجال ، وكيف وقد سحب عليهم الجحفل الوفير •

قال الإمام : فخرج ذات ليلة رجل من أهل ينقل يقال له عصام ، فصالح الإمام محمد بن ناصر إلا أن البلد ليست فى يده •

قلت : ليس ممن يصلح ، بل هذا ممن يخضع ليد يريدها عند محمد بن ناصر •

قال الإمام : فقال له محمد بن ناصر : جماعتك لأجل حقن الدماء ،
قال : يتبعوه ، والمعنى ناصحهم فلم يقبلوا منه •

قلت لو قبلوا منه لكان أعز لهم وأكرم ، ولكن الله سلب عقولهم ،
قال ، وأقاموا الحرب غير مفكرين فيما يكون ، قال : وكان بيت عصام
على السور ، فأدخل محمد بن ناصر ومن معه البلد ، فلما دخل محمد
ابن ناصر البلد ، أطلق للسيف حده وأعطاه عند ذلك زنده ، فلم يزل
يعمل الملازم الملقى على عاتقه حتى طلبوا الأمان فأمنهم ، وهذا غاية
أمرهم ، أليس كان الأمان في أول الأمر وقبل انكشاف العجز والاعتراف
بالذل وطلب الأمان فيمن به عليهم •

قال الإمام : فقيدهم أشياخهم ، وحملوا الى يبرين مصفدين في الحديد ،
قال : وترك فيهم واليا وادت له الطاعة والمعنى خضعت له راغمة •

نهاية المزاولة بين محمد بن ناصر وخلف بن مبارك والصراع المرير

لما كان لكل شيء نهاية ، ولكل قائم غاية ، وهذا حكم الله في عباده وإن بلغوا ما بلغوا ، وفعلوا ما فعلوا ، وعاشوا في هذه الحياة ما عاشوا ، فإن محمد بن ناصر ، لما فرغ من أعمال ينقل ، ورتب أمورهما توجه لصحار وقدم أمامه من رؤساء جيشه ربيعة بن حمد الوحشى ليناصح بنى عمه القابضين لحصن من طرف خلف بن مبارك بل باسمه ، ليهبطوا من الحصن ، فلما وصلهم قال : شدوا الحرب إذ كان ميله نحو خلف بن مبارك ، وإنما كان مع محمد بن ناصر بالقهر ، وأما محمد بن ناصر فكان من الرجال الذين اذا تولوا يتولون بخالص ضمائرهم ، واذا خاصموا كانوا بتلك الضمائر .

قال الإمام ، وابن رزيق ، وابن سرحان وغيرهم من مؤرخى عمان : لما دخل محمد بن ناصر صحار التقتة بنو هناة الذين مع خلف بن مبارك ، وقامت الحرب على ساقها بين الطرفين ، وهم بحصن صحار ، فوقع القتل فيهم ، فقتل منهم جملة ، وجرح ربيعة بن حمد الذى قدمه محمد بن ناصر ليناصح قومه عن الحرب وأخذ أسيرا جزاء خيانتة ، وانكسر بنو هناة كما هي العادة التى يمشى فيها محمد بن ناصر ، فسبحان الذى يعز من يشاء ، ويذل من يشاء .

وتراجع بنو هناة الى الحصن بعد الهزيمة ، ونزل القوم بالجامع الكبير ، ونزل محمد بن ناصر فى بيت ابن محمود أحد أعيان صحار

إذ ذاك ، وطلب إحضار ربيعة بن حمد ، فلما حضر ، قال له : إن شئت أن تقم معنا فعليك الأمان ، أى لا تخاف لأجل ما فعلت ، وهذا من الحلم بمكان ، قل أن يوجد مثله ، وإن أردت أن تسير الى أصحابك بالحصن سيرناك بأمان ، فأراد المسير الى الحصن فسيره ، وكان لمحمد ابن ناصر اثنتا عشر فرسا ، كانت وظيفتها كشف الأحوال ، واستطلاع العدو ، يبعثها عيوننا تطالع المشرق ، تراقب خلف بن مبارك ، هل له نهوض الى صحار عندما شاع خبر مسير محمد بن ناصر إليها ، وكان بلغه أن خلف بن مبارك جمع بنى هناة من الرستاق ومسكد ، ومن شف معه من القبائل ، وأنه نزل بحصن ضخم ، وكان محمد بن ناصر قد استخلص جميع صحار وسلمت له رعاياها ، ونادى مناديه فيها بالأمان لكل أحد .

قال الإمام : وأمن أهلها من جميع الطوائف ، فلم يؤخذ على أحد منهم شئ ، وكانت عنده البدو من بنى ياس والنعيم ومن اشتمل عليهم ، والحضر أيضا كذلك ، فأصبحت ليلة من الليالي قد خرب زرع دخن من طوى فى البلد ، فجاء صاحبها الى الإمام شاكيا فسأله من خرب زرعك ؟ فقال : بنو ياس والنعيم والبدو الذين معك ، فقال له : كم غرامة زرعك ؟ خذ مائتى محمديّة ، إذ كانت العملة المتداولة فى ذلك العهد ، فأبى صاحب الزرع أن يقبلها ، فقال له : خذ أربعمائة محمديّة ، فأبى فقال له : خذ خمسمائة محمديّة ، فقال : لا أرضى إلا أن تنصف لى منهم .

قال : فأرسل الى مشايخهم فحضروا عنده ، فأمر بهم فصلبوا ، وما كانت نصفته إلا الجلد فجلدوهم جميعا وهم يستغيثون به ، فلم يغثهم الى أن انقضت النصفه فأطلقهم من الحبال .

قال الإمام : وكانت هذه حيلة من بنى هناة لينفروا عنه البدو ،
قال : وكان هذا من محمد بن ناصر عن جهل بالأحكام ، فإن أمر التعزير
والعقوبات راجع الى نظر الإمام لا الى صاحب الحق ، ولا الى سائر
الرعية وإنما لصاحب الزرع غرم زرعه فقط ، فإن عرض عليه حقه فلم
يقبله فلا حق له ، وقيل يجبر على قبول حقه وليس له أن يتحكم على
الإمام في عقوبة الجاني •

قال : ثم إن البدو خرجوا من عند محمد بن ناصر الى بلدانهم
راجعين ، فعلم خلف بن مبارك بخروجهم ، فزحف عليهم بمن معه من
القوم ، وهجموا عليهم بعد طلوع الشمس قليلا ، فجاء من جاء الى
محمد بن ناصر يخبره أن خلف بن مبارك وصل بمن معه من بنى هناة ،
فقيل إنه قال : « هذه ساعة ليست لنا ولا لهم إلا ما شاء الله » •

قلت : هذا ما أشرنا إليه سابقا أن محمد بن ناصر كان له أسرار
يمشى على ضوءها •

قال الإمام رحمه الله : ثم ركب فرسه وركب أصحاب الخيل معه
والتقوا خلفا ومن معه على باب حصن صحار ، فوقع بينهم القتل وقتل
خلف بن مبارك ، وهو أى محمد بن ناصر يتبعهم ، حتى وصل تحت
جدار الحصن ، فضرب محمد بن ناصر من فوق الحصن ضربة ثقق ،
وأخذ أصحابه فمات ، وقتل من أصحابه قدر خمسة عشر رجلا •

قال الإمام : ودفن خلف بن مبارك داخل الحصن ، ودفن محمد بن
ناصر في بيت غربي الحصن عند حجرة الشيعة ، قال : ومكث بعدها دفن
ثلاثة أيام لم يعلم بموته إلا الخاصة ، قال : وكاد أصحاب الحصن أن

يسلموه ، قال : وقيل والله أعلم إن أحدا بعث محمد بن ناصر من قبره ،
ورمى به خارج البلد ، وذلك بعد أن رجع كل إلى بلاده •

وهنا انتهت مزاوله الرجلين ومناقستهما على هذه الحياة ، ولم
يحصلا على شيء منها كما يقول المتنبي :

تفانى الرجال على حبهما
وما يحصلون على طائل

وقد توافق هذان الزعيمان في عمان بأهل عمان بأكثر من خمس
وقعات التي يباشرها كلا الزعيمين ، أما الحرب التي خاضها محمد بن
ناصر فكان النصر حليفه فيها بعمان •

إمامة سيف بن سلطان بن سيف

نسبه : هو سيف ، الذى كان رؤوس القبائل يريدونه للإمامة ابن سلطان صاحب الحزم ابن سيف قيد الأرض بن سلطان بن مالك بن أبى العرب اليعربى ، الذى كان محمد بن ناصر لا يزال حاملا له فى جميع حروبه وغزواته ، ويتذرع به على الإمامة ليققاد به سواد الأمة ، وآل الأمر على إمامة محمد بن ناصر فقام قياما دوخ القبائل ، وقهر به العتاة ، وأذل به البغاة الى آخر ذرة من حياته •

ولما قضى الله عليه ، وعلى خصمه خلف بن مبارك ، رجع الناس إلى سيف بن سلطان المذكور ، وهذا مقصد الرؤساء الذين أرادوا هذا الأمر للمذكور ، فعاكسهم فيه القدر ، وسلط الله عليهم محمد بن ناصر يقطع الرؤوس ، ويقتل العتاة ، حتى اذا انتهى دوره ، ورجع الأمر الى سيف بن سلطان المذكور ، وكان قد بلغ الحلم وأخذ درس الحرب من ذلك الصنديد الغافرى ، الذى مازال معه فى حله وترحاله •

قال الإمام السامى رحمه الله : سيف بن سلطان الصبى الصغير الذى مات عنه والده صغيرا ، ومالت الى تقديمه غوغاء الناس أهل الشقاق من أكابر الرستاق ، وهذه الجملة من هذه الإمام العلامة ، أشبه بقنبلة ذرية رمى بها ذلك العالم • قال : وكان ذلك سببا للفتنة العظيمة والبلاد الطويل ، (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ، ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ، ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد) ، فكان سبب اختلافهم ما قصصناه وما سنقصه إن شاء الله ، والله الملك الدائم ، وهو الواحد القهار •

قال : وكان سيف بن سلطان هذا لم يفارق محمد بن ناصر ، لأن محمدا كان يحمله معه في جميع حروبه ومواقفه سياسة منه وطمعا في انقياد الناس بسببه ، فلما قتل محمد بن ناصر بصحار ، رجع بنو غافر ومن معهم بسيف بن سلطان الى نزوى ، وذلك حين ما بلغ الحلم . قال : فأقامه القاضى ناصر بن سليمان بن محمد بن مداد إماما للمسلمين يوم الجمعة بعد الزوال في العشر الأوائل من شهر شعبان من سنة أربعين ومائة وألف . قال : وإنما قدموه إماما لتقدم ولايته بسبب ولاية أبيه ، فإن أباه كان إمام المسلمين ، وكانت ولايته على رعيته واجبة وأطفاله تبع له في ذلك حتى يبلغوا الحلم ، ويحدثوا حدثا يخرجهم من الولاية عند المسلمين ، وقيل إن البالغ منهم يكون في الوقوف حتى يعلم منه حال يوالى عليه أو يعادى عليه ، فتمسك القاضى بأحد القولين ، نظرا منه للأمة ، وطلبا للسداد ومحاولة لجمع الشمل ، ولإيراد لقضاء الله ، ولا معقب لحكمه .

قال : فإن سيف بن سلطان لبث ماشاء الله ، ثم أحدث أحداثا لا يرضاها المسلمون ، فعزلوه ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وكان سيف بن سلطان قبل عزله طلب من الشيخ سعيد بن بشير الصبحى ، أن يزيد في الجعل المقرر للإمام لمعاشه في بيت مال المسلمين ، ويعرف في العرف العام بعمان بالفريضة ، أى الشئ المفروض له والمقدر لمعاشه ، طلب سيف المذكور زيادة على من سبق من الأئمة قبله ، وكان أمر المعاش منوطا بنظر المسئولين في الدولة من خيار المسلمين الذين اليهم الحل والعقد منذ عهد الجلندى بن مسعود رحمه الله ، عملا بتقرير عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، لأن الإمام بمنزلة الأجير في بيت مال المسلمين ، ليس له أكثر عن حاجته الخاصة .

وكان المسلمون قد جعلوا للأئمة شيئاً معيناً لا يتجاوزهُ الإمام ، ولما نصب محمد بن ناصر الغافري زاده المسلمون حين رأوا حاجته تتجاوز اللازم الذي يفرضه المسلمون سابقاً ، فزادوه عليه نظراً منهم رحمهم الله ، وأراد سيف بن سلطان أن يجعلوا له مثل ما جعلوه لمحمد ابن ناصر ، وكان الوالى سالم بن راشد البهلوى قد ألح على الشيخ الصبحى فى ذلك ، فقال له : لا بل فريضة آبائه لأن العاقدين للإمامة لجدّه الإمام ناصر بن مرشد رحمه الله ، لم يألوا جهداً ولم يتركوا اجتهاداً ولو جاز لهم ، ووسعهم فوق الألف ، الذى جعلوه لجدّه الإمام ناصر لما بخلوا به ، فرحم الله الإمام الناصر ، كان أزهد القوم وأعلمهم وأتقاهم ، ولم تطل عينه الى ريش الدنيا ، ولم يغرّه حطامها ، ولا طالت إليها عينه بأكثر مما يسد جوعته ويستر عورته ، ويحفظه من العدو ، ويقيه الحر والبرد ، كانوا جعلوا له كل سنة ألف محمدية عملة ذلك العهد .

قال الإمام السالى رحمه الله : ولو جاز لهم أن يزيدوه لما بخلوا عليه حاشاهم ، ولو لكل يوم ألف لو جاز لهم ذلك لجاز للإمام أخذه وقبوله منهم إذ لا غرم عليهم فى أموالهم ، ولا دخل على الإمام فى قبوله منهم إذ صار للعطاء المفروض فى بيت مال الله ، ولو جاز لهم ما اختاروه لجاز للإمام ما فرضوه .

قال الإمام : وأرجو أنهم أخذوا ما فعلوا تأويلاً من قول الله عز وجل : (والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) ، أى وسطاً بين الحالين ، فإن القوام معناه ما تقوم به الحياة .

فقال الشيخ الصبحى للإمام سيف : هذه هى فريضة آبائك ، والله

در آباءه الكرام ، وليته لم يتجاوز خطوهم ولم يخالف سيرتهم ، ولكن الأمر لله عز وعلا وكل ما يفعل العباد يحفظ لهم عند الله جل شأنه ، فخذها سيدنا فريضة هنية وهبة برية لا وبية ، خارجة على حكم التقية ، ولا أعلم أن جدك الإمام سلطان بن سيف ، ولا جدك سيف ، ولا عمك بلعرب ، ولا أباك سلطان طلبوا ولا أخذ أحد منهم زيادة على ما مضى عليه إمامهم الزاهد العبد الصالح ناصر بن مرشد ، وتلك فريضة كافية ، ومات عليها الأسلاف ، ولا أريد لك خلاف ما عليه السلف ، فهذا اختياري ، والجهدة مني ، ولا خفت في أمرك لومة لائم ، بل اخترت لك ما اختاره الله لمثلك من الأئمة ، واختار المسلمون لهم ذلك نظرا ومعونة ، وموافقة لكتاب الله .

قال سالم بن راشد : كيف جعلت فريضة الشيخ محمد بن ناصر أكثر من هذا ؟ قال الشيخ : أخاف أن يكون وقوعها على وجه التقية والحلال أولى في حكم الله وحكم البرية ، وكان هذا نهار ٢١ شعبان سنة ١١٤٥ خمس وأربعين ومائة وألف للهجرة . قال : ثم غير السيرة بعد ذلك ، وعزلوه أى رأوا منه أشياء تخالف سيرة الصالحين قبله ، وهم إنما يريدون أن يحملوه على تلك السيرة الزاهرة والدولة الطاهرة .

قلت : أما أمر المعاش فيختلف باختلاف الأوقات غلاء ورخصا كما قررروه في نفقة من لا يملك أمره ونفقة المرأة على زوجها ، ونفقة الأولاد على أبيهم ، وأن ذلك موكل الى نظر الحاكم الشرعى ، فيجارى فيه حالة الوقت ، فإن الأحوال تتحول من حال الى آخر ، ولكنهم رحمهم الله كانوا على سيرة سلفهم حراصا أشداء ، ولضبط النفس عن الشهوات أشد ، رضوا من الدنيا بقوت الأكل ، رحمهم الله ورضى عنهم .

ولما عزلوا الإمام للأحداث التي عدوها عليه راح الى نخل ، وكان
الوالي فيها جساس بن عمر بن راشد الحراسي ، فأدخلوا بلعرب بن
حمير الحصن وسيف بن سلطان بالبطحاء ، ولم يدروا بدخوله ومنعوا
الحصن من سيف بن سلطان ، ونهض المذكور الى بطحاء وهي من وادي
المعاول ، وأرسل خاله سيف بن ناصر الى مسقط فقبضها ، وأما بلعرب
ابن حمير فأقاموه بنزوى إماما .

إمامة بلعرب بن حمير

لما عزل سيف بن سلطان عن الإمامة ، بويع بعده بلعرب بن حمير ابن سلطان بن سيف بن مالك بن بلعرب اليعربى بنزوى ، وذلك فى سنة ١١٤٥ ، وقام معه فريق من أهل عمان ، وبقي فريق آخر عند سيف بن سلطان متمسكين بإمامته كما أرادوها من أول الأمر ، أى من يوم هو صغير لم يبلغ الحلم . وهنا انقسم أهل عمان فرقتين ، فرقة أشرت للإمام الجديد ، وفرقة بقيت على ولائها لسيف بن سلطان ، فتولى الإمام نزوى وبهلى ، وأزكى وسمائل والشرقية وعمان الداخلية ، وبقي فى يد سيف بن سلطان مسقط والباطنة والرسناق .

الحرب يقيمها الإمام بلعرب على سيف بن سلطان

لما رأى بلعرب أنه الإمام المقبول ، ورأى أن سيف بن سلطان مرفوض من الإمامة لأحداثه لزمه القيام عليه ليرفع يده عن المملكة العمانية ، وليدخل فيما دخل فيه المسلمون ، وهو يرى أنه الإمام المؤيد من أول يوم ، وأنه الأحق بهذا الأمر لما سبق من حاله ، وبيده نصف المملكة العمانية ، فإن مسقط والساحل كله يقوم مقام الداخلية ، وهنا يبتلى الله عباده حيث يخالف الناس أمر ربهم .

جهز الإمام بلعرب جيشا لحرب بني رواحة الذين يناصرون سيف ابن سلطان على الإمام العدل ، ولما علم سيف بن سلطان بذلك جهز جيشا لمناصرة بني رواحة ، وجعل قائده أخاه بلعرب بن سلطان ، والتقى الجيشان واصطدما في وادي بني رواحة ، وانهمز بلعرب بن سلطان وقومه ، وفروا إلا من تحصن منهم في حجرة وبال ، فحاصرهم جيش الإمام بها ، وأمر بقطع نخل بني رواحة ، الى أن رأوا ضرورة الانقياد والخضوع لما لا بد منه ، فأذعنوا ونزلوا على حكمه راغمين ، وبعد ذلك رفع الحرب عنهم وأذن لقومه بالرجوع الى أوطانهم ، وهدم بروجهم ورسم لهم خطة القهر والغلبة ، وأراهم ما يكروهن ، وارتحل عنهم بعد ما تحقق خضوعهم .

الزحف على بنى هناة في بلاد سبت

لما رجع الإمام بلعرب من تدويخ بنى رواحة رأى من المحتوم
الزحف على بنى هناة الذين ما زالوا طيلة تلك الأيام اليعربية منذ عهد
الإمام ناصر بن مرشد ، وهم على حال مغالبة ومطاوله حتى صار عليهم
ما صار ، وتقاتلوا هم ومحمد بن ناصر ، ووقع بينهم وإياه ما وقع ،
وأحاط الإمام بلعرب بن حمير ببلاد سبت ، وقطع نخلها ودمر أفلاجها
وهدم مبانيها حتى أخضعها لسلطانه راغمة ثم خرج عنها .

الزحف على جبرين وفيه بنو هناة

كان سيف بن سلطان لما تولى الأمر أدخل بنى هناة حصن جبرين وولاهم إياه ، فعضوا عليه وظنوا أنها أنشودة أدركوها ، وعزة وصلوا إليها ، وأن هذا الحال من هذا الإمام ضد ما كان عليه محمد بن ناصر فإنه كان يطاردهم ويستمر الصراع بينهم وإياه ، وإذا بهذا الإمام يعكس القضية فيوليهم المقام الذي جعله محمد بن ناصر غابه وعرينه ، فأذلهم هذا الإمام وأخرجهم منه ، وسيرهم بأمان الى أوطانهم مع أهلهم وعيالهم وذرائعهم وأمتعتهم ، أوصلهم الى بلدانهم وأراحهم في الحال ، واستراح منهم وهدأت الحال بينهم وإياه ، والدهر يعمل ما يدق به العصف ويطيل به الخلف وهكذا الأيام نداولها بين الناس •

سيف بن سلطان يجبر الأعداء على عمان

لما رأى سيف بن سلطان أن الأمور تسير في غير صالحه ، طلب من أهل مكران نصره على قومه أهل عمان ، ولم يبالي بما يكون منهم في الوطن والدين ، فجاءه رهط من البلوش أهل بنادق ، والتقاهم ولف جموعه معهم ، وأقبل بهم على طريق الجو ، فالتقاهم بلعرب بجيشه العماني ، ودارت رحى الحرب بينهم لاكثر الله من أدارها على هذا الطريق ، واقتتلوا قتالا شديدا حتى كادت الهزيمة أن تكون على الإمام بلعرب وأصحابه ، ولكنهم صبروا وقاتلوا حتى لان الحديد من حرارة النار ، فانهزم سيف بن سلطان وجنوده ، ومزق الله شملهم وفرق جمعهم ، وركبهم العمانيون قتلا وأسرا وسلبا ، ومنهم من فر على وجهه ومات عطشا وجوعا ، ومنهم من لا يهتدى لطريق فتاه في الأرض فهلك ، وسقط في يد سيف بن سلطان ، ورأى أن عدلوة أهل عمان تتجسم في وجهه وأنه لا وجه له معهم لهذه الأحوال التي اقترفها وهو كذلك يرى أن العداء قد تناهى ، وأنه لا يزيله إلا غلبته عليهم ولا يمحوه إلا أمر يذل العمانيين ويقهرهم فيأتوا اليه خاضعين .

طلب سيف بن سلطان من العجم النصره على اهل عمان

لما رأى سيف بن سلطان سقوط الأمر من يده ، وأن وراء ذلك الذل الذى يرمى به فى الحضيض ، طلب من ملوك العجم وأرسل أعوانه هذا الصدد ، ولا يدرى أن القوم لا يبذلون أرواحهم ، ويسفكون دمائهم لأجل سيف بن سلطان ، لكنهم يريدون ملك عمان إذ تذكرهم الأيام بعهدهم السالف فيها ، ولكنه غير مبال ، ولعله متمذهب بمذهب من يرى الكفر خيرا له من الغلبة والعياذ بالله .

ولما وصل طلبه الى القوم بادروا بسرعة ملموسة لإجابته ، عسى أن يدركوا محو هذه الأرسم العربية من أرضها ، أو اغتقا ما لديها على الأقل ، فجاء جيش العجم ونزل خورفكان آخر ليلة الخميس من شهر ذى الحجة سنة ١١٤٩ تسع وأربعين ومائة وألف للهجرة ، وقصدوا الصير ، فخرج سيف بن سلطان ليلتقاهم وترك فى مسقط عنه واليا ، وعلم بلعرب بن حمير عنه ، فحشد الجموع وخرج من نزوى أول شهر المحرم سنة ١١٥٠ خمسين ومائة وألف للهجرة .

والتقى الجيشان بالسمينى ، واجتمع سيف بن سلطان وبلعرب ابن حمير اليعربيان وأجنادهما فى غرة شهر صفر من نفس السنة المذكورة ، ووقع بينهم تناوش ، فقتل من قوم بلعرب الأكثر حتى آخر ذلك اليوم ، وانهمز بلعرب وقومه ، وأخذ كل مالديهم من عدة ولم يرجع أحد منهم إلا هرب عن الوقعة ، ولم يرجع أحد بشئ مما لديه من سلاح وعتاد وغيره ، وبعضهم ضل الطريق وتاه فى المضيق ، وقتل بعضهم

في الطريق ، لأن المنهزم كل يتعاطاه لتأثير الهزيمة عليه عادة ، وضاع ذلك الجيش الذي قاده بلعرب في هذه المرة بجامع ما لديه من قوة وقدرة وآله حرب ، ولم يرجع أحد بعد الهزيمة فكانت شر هزيمة •

وبذلك استولى سيف بن سلطان على الجو ، أي البريمي وضنك والغبي وأدت له الطاعة وأعلنت له الخضوع القبائل التي بهذه المنطقة الحساسة ، وأدت له هذه القبائل الى الظاهرة الخراج ، وساق له الأموال العظيمة أهلها اتقاء لشر العجم الذين معه والغالب يتشفى من المغلوب كما يشاء ، وانساق العجم على أوجههم حتى دخلوا عبري وأوقعوا بأهلها الشر العظيم ، قتلوا وسلبوا ونهبوا ، وأخذت أموالهم كلها رغم أنوفهم ، وهذا فيمن اكتفوا منه بذلك ، وحملت نساؤهم وصبيانهم وذراريهم •

قال الإمام : وأصابهم ذل وهوان ، ورجعت العجم الى مركزها بالصير بغنائمها من عمان ، قال الإمام : وأما سيف بن سلطان فإنه مر بقومه على بهلى وناوشته الحرب ، ثم خضعت له واصطلحت معه خوفا من عجمه المشار اليهم ، ولما سلمت له الأمر ولى عليها سالم ابن خميس العبري ، ومضى فبات بطيمسا فارتاع منه أهل نزوى حتى الذين في قلعتها ، ففضلوا الهرب منها خوفا من سيف بن سلطان حتى كاد بلعرب بنفسه يخرج من الحصن مرتاعا لما شاع بينهم من الذعر ، إلا أن سيف بن سلطان لم يقصد نزوى ، بل جاء منح ثم أزكى ثم سمائل ،

وأناخ بفلج العد المعروف الآن بالمدرّة أعلى سمائل ، وطلب قبائل وادي
سمائل ، فواجهوه هناك ولبوا دعوته ، ثم توجه لمسكد ولم يتعرض
للحصون بل أعرض عنها سياسة منه ، ثم انتقض أهل الغبي وقام معهم
بنو غافر فاستولى بنو غافر على الغبي ، وخرج الوالي منها ثم جاء أهل
بهلى الى بلعرب بن حمير فأدخلوه واستولى عليها •

سيف بن سلطان يواصل جيوشه من العجم على أهل عمان

لما رأى سيف بن سلطان أن عمان قلته وغير راغبة فيه لهذه الأحوال التي رآها الناس والنوايا التي يتحسسونها منه ، وهو قد خرق حجاب الشرف وكسر جسر الإيمان ولم يبالي بما يلاقى تبعا للملوك الجورة ، وقد رأى محمد بن ناصر وحروبه بعمان ، وهو دائما معه لا يفارقه ولم يره يوما يميل الى أعداء الدين والوطن ، ولكن كان أول اليعاربة خير أول وها هو الآن يريد أن يكون آخرهم شر آخر ، فسبحان الذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي •

فإن سيف بن سلطان طلب من ملك العجم زيادة جنود فأرسل اليه رهطا عديدا من عتاة القوم ، فجاءوا على طريق شيراز • ولما نزلوا الصير انضموا الى أصحابهم وتقوى بعضهم ببعض ، ونشط البغاة الظالمون ، وفي يوم التاسع عشر من شهر شوال من سنة ١١٥٠ خرجوا الى عمان على طريق البريمي والظاهرة ، ووصلوا الى بهلى وتحرك أهل بهلى لحربهم والانتقام أبطالها فدارت رحى الحرب ، فقتل من العجم الكثير ، وكذلك من أهل بهلى بل الأكثر ، وانهزم أهل بهلى ودخلت العجم بهلى في اليوم الثالث عشر من ذي القعدة من نفس سنة ١١٥٠ ، واستولى عليها وهرب أهلها ، وقتل من قتل من الأهل والصبيان والنساء والولدان والأطفال بغير مرحمة ولا بعض عطف حتى على الأطفال الضعاف ، وسلبوا جميع ما في بهلى ، وعلى كاهل سيف بن سلطان جريمتهم يوم القيامة وإن الله ليجزى كلا بعمله والله المستعان على هؤلاء الجورة الذين لا يراعون الحق ولا يشمتزون من الباطل •

العجم يعيثون في نزوى

لما أنهى العجم أمر بهلى خرجوا الى نزوى ليعملوا عملهم الذى جاءوا له ، وقد تركوا حامية فى بهلى ، وكان خروجهم لنزوى أول يوم من شهر الحج من سنة الخمسين ومائة وألف ، وقد ضاق ذرع أهل نزوى من هذا العدو الدايم ، وكان أهل عمان فى تيه بنى اسرائيل لا يهتدون لشيء مما ألم بهم ، ولم يتحركوا لمناصرة إخوانهم ومعاونة أخذانهم ، وقد سمعوا ما حل بجيرانهم ، وأنه لاشك نازل بهم بل غاية أمرهم أن يكونوا مع العدو المهاجم حتى ضاق الحال ببلعرب بن حمير فى قلعتة التى هى الحصن الحصين ، فاستولى الرعب على الكل فهرب بلعرب كما هرب غيره ، وبقيت البلاد ولا مدافع للعجم ولا منازل ، والتجأ بلعرب بوادى بنى غافر •

وكان بالقلعة بنو حراص فثبتوا فيها ، ولم يتزعزعو منها ، وخضع بقية أهل نزوى للعجم وصالحوهم على ما أرادوا منهم ، فلما تمكن العجم من نزوى ، ورأوا أن أهلها استشعروا الذل والخوف ، وضعوا عليهم الخراج وامتصوهم ، ثم عذبوهم أشد العذاب فقتلوا الرجال والنساء والأطفال والكبار والصغار لقصد الإرهاب وبث الروع والخوف فى الأرض •

قال الإمام رحمه الله : وحملوا من النساء من أرادوا حمله ، وفعلوا فى نزوى أفعالا قبيحة ، وأذاقوهم أليم العذاب حتى قيل إنهم قتلوا من أهل نزوى مقدار عشرة آلاف من الرجال والنساء والأطفال •

قال الإمام : ولم يسلم من أهل نزوى إلا من قدر على الهرب وهم

التقليل والله المستعان • قال الإمام : ولسيف بن سلطان من ذلك النصيب الأوفر من الوزر ، حيث قاد اليهم الأعداء ، ونسى ما فعله آباؤه وما وقع فيهم من آبائه الكرام ، وظن أنهم ينصحون له وهم أعداؤه •

قال الإمام : وما ينتج رأى السفية إلا مثل هذه الأفعال القبيحة ، قال ولم تقدر العجم على القلعة •

قلت : لا سيما وهي جديدة العهد ، وليست لديهم التنسافات العصرية ، ومن حسن الحظ لأولئك السادة الأمجاد ، بقاؤها ذكرا لهم بعمان •

قال الإمام : وكذلك الحصن لم يقدروا عليه ، لأن القلعة هي الحامية له ، وقد بلغ العجم أربهم من نزوى حيث لا دافع لهم ، وإنما بقيت القلعة حامية نفسها فقط ، ومازال العجم في نزوى يعيشون في ذلك الحرم الذى يغار عليه كل من في قلبه ذرة من إيمان بعمان ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إن من الناس ناسا مفاتيح للخير مغاليق للشر ، وإن من الناس ناسا مفاتيح للشر مغاليق للخير » • الحديث • فكان سيف بن سلطان مفتاح شر لعمان ، والله الأمر من قبل ومن بعد •

ثم خرج العجم من نزوى يوم ستة عشر من شهر الحج بعدما حجوا في نزوى وقضوا مناسكهم فيها الى أركى ، فصالحهم أهلها وأدوا لهم ما أرادوا منهم ، ثم الى سمائل والى الباطنة بعد خروجهم من أركى لم يقفوا في سمائل ولا في غيرها حتى دخلوا مسكد في اليوم الرابع والعشرين من ذى الحجة من نفس السنة ، واحتلوا على البلد وما فيها ، ولم يبق سوى الحصنين الجلالى والميرانى ، وحاصروهما واحدا وأربعين يوما حتى يوم الخامس من صفر من سنة ١١٥١ واحد وخمسين ومائة وألف للهجرة ، ولم ينجحوا فيهما ، ثم خرجوا من مسكد ومضوا الى بركا وصحار •

قال الإمام : فرد شر سيف بن سلطان عليه ، جاء ليقهر بهم صديقه الذى يزعم أنه عدوه ، فطلبوا قهره بنفسه ، وحاصروا حصونه وهرب هو عنهم فى مراكب فى البحر حتى نزل ببيركا ، وخرج الطو وتلقاه أهلها بالكرامة وصحبوه الى نخل ، ثم توجه الى الظاهرة والتقى هو وبلعرب ابن حمير بوادى بنى غافر ، إذ كان بلعرب هاربا عن العجم من نزوى لما وصلوها الى بنى غافر ، ولم يزل معهم حتى هذا العهد ، وإذ ذاك قام بعض مشايخ بنى غافر ومن معهم من بقية شيوخ القبائل ، وقاموا لبلعرب يستعفونه من الإمامة ويرجعوها لسيف بن سلطان رضاء له ودفعوا لشره وقطعا للمفسدة العظمى ، وإنما كان هذا من رؤساء القبائل وشيوخ البلدان الذين رأوا الأعمال التى سلفت وهو بسببها ولم يشترك معهم أهل العلم والفضل .

قال الإمام : فما بلى أهل عمان بهذا البلاء إلا بمخالفتهم لأهل العلم وأهل الفضل ، فإن أهل العلم يدعون الى الحق والى ما أوجب الله على عبادب ، وأهل الدنيا يدعون الى شهواتهم وما ينالونه من حطام دنياهم ، فإنهم لا يعرفون الحق ، ومن عرفه يفضل وجهة الطمع على وجهة الدين ، وبعضهم يرى أن أمر الدنيا مقدم على أمر الدين ، لأن الدنيا هى كرسى الدين ، ولا بأس اذا كانت الدنيا تأتى من ناحية الدين ، أما إذا كانت تأتى من حضيرة الشيطان ومن شر بنى الانسان فلا خير فيها بل فيها الشر فنعوذ بالله مما لا يرضاه الله .

سيف بن سلطان يتغلب على الأمر بعمان

لما كان سيف بن سلطان لا يبالي بما يأتى وما يذر ، ولا يفكر في حق ولا باطل ، بل غاية ما عنده نيل السلطة مهما كانت وكيف كانت ، ورأى الناس الأحوال خارجة عن نهج الحق ، وأصبح أهل عمان يئنون ويكفون على الواقع فيهم من القتل ومن سبى ذراريهم ونسائهم وولدانهم ، وتدمير منازلهم ونهب أموالهم ، وتبديل حبهم لليعاربة وتوقيعهم إياهم للأعمال التي لاقوها من سيف بن سلطان وعجمه ، إذ قتلوا من أهل نزوى خاصة أكثر من عشرة آلاف قتيل غير المسبيين ، وتبدل الحال الأول بهذا الحال الحالى ، وتأثر الناس بذلك ، لم يعد الحب السابق لهذه العائلة التي هذه أفعالها .

وإذ ذاك اجتمعوا حين رأوا المكروه ولا يدرون ماذا يكون من هذا الذى غير الوضع وكدر الصفو ، وأوقع الناس في المآسى الكبيرة ، وصاروا هنا يبدأ واحدة رغم الواقع ، ورأوا انقطاع العجم الذين خرجوا من مسقط وأصبحوا في بركا وصحار ، وبقيت بقية قابضة على ناصية بهلى ، وانقطعت عنهم أخبار أصحابهم ، بعثوا منهم قدر مائة نفر فرسانا ليأتوهم بخبر أصحابهم ، وأين هم الآن ؟ وماذا الذى اقتضاه نظرهم ؟ فإن هؤلاء في قلب الداخلية .

وكان قصدهم أولا مسكد ليعلموا ما هم عليه هناك ولما نزلوا وادى سمائل ، تلقاهم أهل وادى سمائل ، وحمير بن منير بقومه أول النهار يوم ثامن من شهر صفر ، فقاتلوهم وقتلوا أكثرهم ، ثم صار حمير بن منير بمن معه من العسكر وأهل أزكى وبنو ريام الى بهلى يوم تاسع عشر من صفر ، ودخلوها يوم واحد وعشرين ، واستولوا عليها ،

واحتصن العجم بحصنها فحاصروهم ، ولما اشتد عليهم الحصار خرج فريق منهم ولعلهم يريدون بذلك الخروج التخفيف عن المؤنة التي عندهم ، أو يريدون التسلل شيئا فشيئا ، فلما خرجوا اعترضهم المحاصرون لهم ، فقتلوا أكثرهم وبقى من بقى منهم ، لم يقدرُوا على الخروج من الحصن ، لأنهم يعلمون أنهم بخروجهم مقتولون جزاء ما فعلوا في البلاد ، وبقوا في حصنهم ، وجاء سيف بن سلطان ومن معه فأخرجوهم بسلاحهم ومتاعهم ودوابهم ، وأوصلهم سيف بن سلطان بأمان ، لأنه جاء بهم وهو السبب في مجيئهم ، وأصحابهم مبارك بن مسعود الغافري الى صحار كخفير لهم من طرف الإمام ، لا بارك الله في تلك الإمامة التي هذا عملها .

وفي كلام شكيب : أن سيف بن سلطان التجأ الى نادر شاه صاحب فارس ، وساق العجم لحرب عمان باسمه ، وذكر الحوادث التي ذكرها التاريخ العماني كما هي ، وكانت تلك أعمال سيف بن سلطان في عمان ، وتبدل حال عمان من مجد مشرق بلغ رأس الرجاء الصالح ، ثم أصبح بلاء وبيلا ، عم الصالح والطالح ، وهذه الفروق التي تمتاز بها الرجال وتختلف لديهم الأعمال ، ولكل درجات مما عملوا ، والله يتولى من عباده الصالحين .

قال شكيب : إن سيف بن سلطان مازال يخشى ابن عمه بلعرب ابن حمير ، فاستمد العجم فأنجده بجيش تقدم الى الظاهرة ومعهم سيف ابن سلطان المذكور وجماعته ، قال : فتغلبوا على بلعرب وأفحشوا في القتل والنكاية حتى رجع سيف الى نفسه ، ورأى عداوة ابن عمه أهون عليه من صداقة العجم ، فانحاش الى مسقط كما قدمناه أنه جاء بهلى ، ثم منح وأزكى وسمائلا ، حتى جاء مسقط وذلك حين رأى أن الأمر بيد

العجم لا بيده ، ولا يلتفتون الى أمره ، وهم إنما جاؤوا لغرض الانتصاف ، وأخذ الثأر من أهل عمان لما سلف من الأحوال التى لايزال التاريخ العماني يرتلها عن العهد القديم ، ثم جددته الدولة اليعربية الزهراء ، وقادت الأعداء من أنوفهم راغمين ، إلا أنها لم تفعل شيئاً لم يأمر به الشرع ، حتى جاء دور سيف بن سلطان ، فدمر موارد الشرف المورودة ، ثم قضى على المجد العماني حين ساق له من بيتلعه منه ، وهو يرى ولا قدرة له على أمر ولا نهى ولا حركة ولا سكون ، وأصبح العجم يحتلون الحصون منه برغم رغبته •

قال : ولبث العجم يجتاحون البلاد ، ويوقعون بالأهالى ، حتى قام بنو غافر على بلعرب وأجبروه على التخلي عن دعواه الإمارة ، ومبايعة سيف بن سلطان بدون منازعة ، قال : فلما ثقلت حملة العمانيين باتفاق كلمتهم على العجم ، جلوا عن البلاد إلا الجيش الذى كان أمام صحار ، فإنه بقى يحاصرها وفى هاتيك الأثناء قام رجل فى مدينة نخل اسمه سلطان بن مرشد من بنى يعرب ، فادعى الإمامة سنة ١١٥٠ الموافق سنة ١٧٣٨ ، وانتزع البلاد من يد سيف بن سلطان ومن جعلتها مسقط ، قال : فاستغاث سيف بالعجم ووعدهم بالتخلي لهم عن صحار إن ضمنوا له الاستقلال بالإمامة ، قال : فسرح العجم جيشاً الى مسقط استولى على البلد والحصون ، قال : ولكنهم لم يسلموها الى سيف ، فذهب هذا الى بلدة الحزم ومات بعد ذلك بقليل ، قال : أما سلطان بن مرشد فمات على أثر جراحة فى قتال العجم عن صحار •

هذا كلام أمير البيان شكيب المصرى ، وهو يتلقى الأنباء من بعيد ، وأكثرها من كتب الأجانب ، فإن الحروب التى خاضها سيف بن سلطان أعرف بها أهل عمان ، قالوا : إن العجم الذين انكسروا من مسكد ساروا الى الصير ، وفيها إخوانهم وركب منهم أناس الى بلدانهم ، وبقيت منهم

بقية بالصير ما شاء الله من الزمان ، وسار إليهم سيف بجيش عظيم من البر والبحر ، وسير إليهم المراكب من البحر ، فلما وصل بلدة خت بالخاء المعجمة والتاء المثناة من فوق وهي قرب الصير ، جاءه الخبر أن مركب الملك ، بسكون اللام ، أحد مراكب الدولة اليعربية قد احترق وغرق بمن فيه ، فعزم على الرجوع ، إذ هذه فادحة هامة ، فإن هذا المركب هو الأسطول الضخم في الدولة ، وهو أكبر البواخر المهمة ، وفيه الأموال والرجال والسلاح والعتاد ، فرجع سيف بن سلطان عن العجم إلى عمان ، وبقوا هم بالصير ودانت له جميع حصون عمان ، وأدت له الرعية الطاعة •

فلبث على ذلك الحال مدة ثم ظهرت منه أحداث لم يرضها المسلمون ، قال الإمام : ولا رضوا مبدأ أمره ولا منتهاه ، ووضع الخراج على الرعية ، واتفقوا على غيره فنصبوا سلطان بن مرشد •

إمامة سلطان بن مرشد اليعربي

قال الإمام رحمه الله : هو آخر أئمة اليعاربة فيما انتهى إلينا علمه .

قلت : ... سيأتي بعده بلعرب بن حمير المخلوع لأجل سيف بن سلطان فإنهم بايعوه مرة أخرى فيكون آخر أئمة اليعاربة ، أما سلطان ابن مرشد فإنه بويع بعد أن استعانت الناس والرعية من أحوال سيف ابن سلطان .

قال : فاجتمع من شاء الله من مشايخ العلم من بهلى ونزوى وأزكى ورؤساء القبائل من بني غافر وغيرهم ، وأهل وادي سمائل ومشايخ المعاول ، واجتمعوا في نخل وتناظروا فيما بينهم ، فاتفقوا على إمامة سلطان بن مرشد وعقدوا عليه بعد الاتفاق بجامع نخل ليلة الحج ، أي ليلة عرفة التاسعة من ذي الحجة سنة ١١٥٤ أربع وخمسين ومائة وألف ، فقام بأمر الله واستقام بحمد الله على الحق والعدل ، وخاضت له الحصون ، وهي كما قلنا عنها سابقا يراد بها طاعة البلاد كلها ، لأن الطاعة وعدمها منوطة بالحصون التي هي الحجة في المملكة العمانية إذ ذاك ، بخلاف عهدنا الحالي حيث الأوضاع تغيرت ، وأصبحت ترمى من السماء ، وبذلك أصبحت الحصون غير كبيرة الأهمية حيث لا تحصن من فيها ، بل ربما صارت وبالا على أهلها كما شاهدنا في عهدنا الحالي ، ونحن على رأس القرن الرابع عشر للهجرة ، وقبل هذا كله كان المعول على الحصون وكان التطاحن والتنافس عليها .

فسبحان من يظهر بدائع ملكوته في كل آن وهو على كل شيء قدير .

سيف بن سلطان يستعد لمصادمة الإمام ثم ينهزم

لما علم سيف بن سلطان اجتماع أهل عمان على سلطان بن مرشد ، وقد قلدوه الزعامة الدينية ، ووضعوا على هامته تاج الإمامة ، أيقن أنهم عادوه وبأينوه ، وعلم بل تحقق أنهم قادمون عليه في رستاقه ، تجهز للحرب وضرب معسكره أعلا فلج الميسر من عالية الرستاق ، لأن طريق القادمين من هناك وبقي متأهبا في شدة ، ثم دخله الرعب وتصور في نفسه غلبتهم عليه ، إذ كان اجتماع المسلمين مع إمامهم لله وفي الله ووقع الخوف في نفسه ، واستشعر العجز عن مقاومتهم ، فعند ذلك فضل الهرب عن أصحابه .

فلما جن الليل انسل الرجل من معسكره تاركا فيه كل حاجاته لئلا يعلم أحد من القوم بهزيمته ، ولما وصل الإمام سلطان بن مرشد أعلا الرستاق ، حيث المعسكر المشار إليه صباح الجمعة آخر شهر شعبان ، لم يجد مقاومة وتحقق أن السيف أعمد وكفى الله المسلمين شره ، ودخل الإمام الرستاق على حال هدوء واطمئنان ، وتلقاه أهلها بصفاء القلوب من غير أن يرى من أحدهم شيئا ، وقابلوه بالكرامة ، ودخلها بحال السلامة ، ولما رأوه أهلا للإمامة ، ووازروه وناصروه ، واحتوى على جميع علائق الرستاق ، ولم يبق له معارض إلا حصنها فيه عبيد سيف بن سلطان ووالدته وبعض عياله ، فخطبهم الإمام بالنزول من الحصن ولم يقبلوا ، وفي أنفسهم رجاء لسيف بن سلطان ، فحصرهم الإمام وأحاط الجيش بهم من كل جهة ، ومازالوا على ذلك الحال ، والجيش محاصر لهم ، وبقوا شهرين وعشرة أيام ، ولما لم يروا من سيف بن سلطان حركة ، نزلوا من الحصن وتولاه الإمام .

وانكشف بعد ذلك أن سيف بن سلطان في مسقط ، وكان قد جمع قوما من مسقط ومطرح والسيب وبركا ، وعسكر ببركا وبعث الإمام له بعض قومه ، وأمر عليهم أخاه لأمه سيف بن مهنا اليعربي ، فتوجه بجيشه الى بركا فالتقاهم سيف بن سلطان بجيشه ، ودارت بينهم معركة حامية رهيبية ، أسفرت عن انتصار الإمام على سيف بن سلطان ، وقتل من جيشه القليل ، أما جيش سيف فهلك أكثره ولم ينج منه إلا القليل الذين انهزموا ، أو الذين ألقوا بأيديهم الى الإمام ، وانهزم سيف المذكور الى مسقط ، ورجع سيف بن مهنا الى الرستاق بالنصر المؤزر والظفر الأكبر .

ولما قر قرار سيف بن سلطان بمسقط ، جاءت ثيبة أى جماعة مناصرة له هكذا في العرف العام عند أهل عمان ، وهم بدو من طغام الظاهرة ، فنزلوا الحزم ، ولما علم بنزولهم طلع هو من مسقط وجمع من الباطنة قوما فجاءته جنود كثيرة ، من مرتقة البدو وغوغائهم ، الذين لا يعرفون ديننا ولا يتبعون دليلا من عامر ربيعة ، أجلاف لا خبرة لهم بحرب ، ولا غرض لهم إلا السلب والنهب ، وكان من قدر الله أن وقع بينهم شقاق وتنافس ، أثار الشر بينهم فاقتتلوا فيما بينهم وعمل السلاح عمله فانهزموا عن قتل ذريع فيهم ، ثم تنافروا الى أوطانهم وبقي بدو الظاهرة في الحزم ، ورأوا أنهم على غير طائل من أمرهم ، وبذلك فضلوا الرجوع الى أوطانهم ، ولما تحقق الإمام سلطان بن مرشد سوء أمور سيف بن سلطان ، جمع قوما من الرستاق وتوجه الى نخل ... واستجاش أهلها وصحبه منهم الكثير ، ثم خرج الى بدبد واستجاش أهل وادى سمائل ، ثم وصل أزكى وجمع من رجالها رهطا هاما ، وخرج بهذا الجمع الى مسقط يوم الخميس ثانى ذى الحجة من هذه السنة ،

ولما وصل روى ضرب معسكره فيها ، وكان جيشه ضخما كثير العدد ، وكان نزوله روى ليله رابع ذى الحجة ، ثم خرج بقومه إلا القليل منهم تركهم في روى حفظا للمعسكر ، ثم زحف برجاله على مسكد ليلا فهاجمها تحت ظلام الليل ، فأحدر القابضين للجبال وأنزلهم الى الأرض من ليلته تلك ، وتمكن من جميع مقابض مسقط من بروج وسيران وقلاع .

وتولى الإمام البلد إلا الحوتين الجلالى والميرانى ، وهما الحصنان المانعان وأرسل شردمة من الجيش لحصن مطرح فاحتلته حالا ، وكان من أمر سيف بن سلطان هرب على طريق البحر ، ولما علم به الإمام أرسل في طلبه مراكب إلا أنهم لم يتوقفوا فإن ريحا عاصفا هب عليهم دون ناحية خور فكان فغرقت بالقوم وتلاشى أمرهم وكان قائدهم بجاد ابن سالم ، فرجع بجاد بقومه الى مسكد ، أما سيف بن سلطان فانكسرت دقالة مركبة في حوزة خور فكان قبل الوصول اليها ، فاستأجر سفنا أوصلته الى خور فكان ، ثم توجه بمن معه وهم فقط خمسة رجال ، وقيل ثمانية رجال ، وتوجه من هناك الى العجم الذين بالصير ، ثم منها الى فارس ليعيد البلاء على عمان ، ولما علم العجم الذين هناك تلقوه خيالتهم وحملوه على فرسانهم ، وبقي المركب هناك ، فتولاه أحمد بن سعيد البوسعيدى الذى ورث العرش بعدهم كما سوف يأتى إن شاء الله فى تاريخه ، وخرج سيف بن سلطان الى شيراز .

أحمد بن سعيد بن أحمد البوسعيدي

يبرز في الميدان ليتولى ملك عمان

كانوا يقولون إن أحمد بن سعيد اتصل بسيف بن سلطان في صدر دولته ، وإنه ولاء صحار لأهميتها في ذلك الوقت ، لما رأى فيه من الكفاءة ، ويقول بعضهم إن سيف بن سلطان أراد مثيرا له في أموره بصفة وزيراً يستعين به في مهماته ، وكان أحمد بن سعيد تاجراً جمع ثروة وتحصل على أموال ، فاختره سيف بن سلطان خصيصاً لصدده .

قال شكيب في تعليقه على حاضر العالم الاسلامي : وكان سيف بن سلطان محتاجاً الى مثير يعتمد على رأيه ، فأشار الناس عليه برجل من التجار كان معروفاً بالاستقامة اسمه أحمد بن سعيد من عترة يقال لها البوسعيد ، قال : فتولى هذا مدينة صحار ، قال : وأحسن ادارتها وحمد الناس طريقته ، قال : فحسده سيف بن سلطان على المنزلة التي نالها في قلوب الأهالي ، قال : وأراد أن يقبض عليه إلا أن الناس أصلحوا بينهما .

وفي ابن رزيق قال : وقد عدم سيف بن سلطان الصديق الذي يفرج عنه الكرب ، فقال له رجل من خاصته : لا أرى لك اليوم للمساعدة رجلاً حازماً تقر به عينك إلا أحمد بن سعيد البوسعيدي ، فإنه هو في الرأي الحميد نهاية ، وفي الشجاعة غاية ، فقال : أي سيف بن سلطان ، ومن لى به ؟ فقال له : أنا إن شاء الله آتيك به ، فكان من التوفيق المقرر للتصديق أن الإمام سيف بن سلطان ، قد أزمع المسير من مسقط الى الرستاق ، ثم منها الى نزوى ، وإذا بأحمد بن سعيد مقبلاً على

ناقته ، وكان الإمام سيف بن سلطان لم تسبق له معرفة بأحمد بن سعيد ،
فعرفه به أحد رجاله قائلًا له : هذا أحمد بن سعيد الذي تسمع به .
وكان الإمام على فرس فنزل الى الأرض وترجل كل من معه من رجاله ،
ونزل أحمد بن سعيد أيضا ، فتصافحا باليدين ، وأخذ الإمام بأحمد
فجلسا في ناحية عن القوم يتحدثان فيما بينهما ، ويقول الإمام لأحمد بن
سعيد الى أين تريد ؟ فقال : للمطرح لقضاء أغراض خاصة ، فقال :
امض اليها ، واذا سمعت برجوعي من الرستاق الى مسقط فائتني بمسقط .

فلما رجع الإمام سيف بن سلطان وسمع به أحمد بن سعيد أنه رجع
اليها وفد عليه فأكرم محله ، ثم بعثه الى الحسا لقضاء وطرله ، فمضى
اليها وأتاه بما أراد ، فشكر صنيعه ، وأكرم وأدنى محله الى أن قال :
فلما رآه أهلا للولاية ولاء مدينة صحار وأعمالها ، أي ومن أعمالها الطرف
الشمالي كله ، فتسيطر صحار على ذلك الجانب ، فتولى وتعزل وتبدل
وتغير وتسود ذلك الإقليم العماني الى آخر حدود عمان ، لأن ذلك الحال
كان لها من عهد الجاهلية ، إذ كانت هي كرسى عمان معا ، قال : فأظهر
أحمد بن سعيد العدل والإنصاف بين الرعية ، وفشى إحسانه وكرمه
فيهم ، فأحبوه على ذلك ، وأتته قبائل الشمال والظاهرة أفواجا وفرادى
وأزواجا ، فأكرمهم وأحسن اليهم .

ولا شك أن للكرم تأثيرا في النفوس ، قال : وألان جانبه لهم
وساوى بينهم في المعاملات ، قال : وقصدته شيوخ الجبور من الحفري
والحرادي وحى عاصم ، فرفع منزلتهم وأحسن اليهم ، وسرى صيته
فيهم وعم البلاد وأذغنت له الناس بالانقياد ، وأظهر العدل ، فأثنت

عليه الأمة • قال ، فلما بلغ صنيعه ذلك الى الإمام سيف بن سلطان ، قال لبعض خاصته : والله ما فعل أحمد بن سعيد ذلك إلا لينفر الناس منى ، وليجعلهم اليه ، وأنه يحاول بهذا الشأن ليتولى الأمر عنى ، فإنى إن لم أعزله من ولاية صحار ليشقىنى •

وكلاما مثل هذا مما يدل على تبرمه والحجة عليه أن واجبه هو هذا الحال فلم يعدل عنه ولم يترك الحق ويركن الى غيره ؟ وهو يتسمى بالإمامة وهو أبعد منها بعد الثريا عن الثرى ، وليس أحمد بن سعيد بمجرم ، إنما هو المجرم ، إنما فعل أحمد بن سعيد الواجب وتظاهر بما ينبغى ، فما باله الآن يتأثر بأفعال كان هو حقيقا بها •

قال ابن رزيق : فبعث له كتابا يطلبه فيه بالوصول اليه بمسقط ، فلبى دعوته فجاءه معه خادم يدعى مسعدا وهو لا يدري ما عند سيف بن سلطان ، ولم يعهد أنه صدر منه ما يخالف الحق ، أو يحدث حدثا يوجب تغير الوضع بينه وبين سيف بن سلطان ، واذا بسيف بن سلطان ينوى الانتقام من أحمد بن سعيد ، وكان أمر خاصة عبيدة بقبضه وإيداعه السجن بالكوت الشرقى ، وربما رام قتله •

وكل هذه الأحوال تعسفات من سيف بن سلطان التى لا يبقى له معها عمل مرضى ، واذا كان قد ساءه عمل أحمد بن سعيد ، وأراد عزله فللعزل مناهج صحيحة وطرق لا يتبرم منها عامل ، فبالأمس عاملك واليوم ترميه للنار تأكله ، ليس هذا من الحق فى شىء ، ولكن الأمور عند إدارها ترى الناس العجب فأحمد بن سعيد بالأمس جئت به لتنتصر

به ، وتستعين بآرائه ، واليوم تعامله بسوء المعاملة ، وأنت تتسمى بالإمامة ، ثم إن عهد آبائك نصب عينيك لم تبل سراويلهم ، وقد أبلت أنت سيرتهم وعملت بصد أعمالهم ، أما كنت غنيا عن هذا الحال .

قال ابن رزيق : وكان بيت الإمام سيف بن سلطان هو البيت الذي صار بعده لداود المارديني ، قال : ولما وصل أحمد بن سعيد قرية روى جاء هو وخادمه من عقبة وادي الكبير حتى نزلا على الزبادية من ذلك الجانب ، فأناخا ناقتهما هنالك ، وقصد أحمد بن سعيد يريد الإمام سيف بن سلطان بنفسه فردا يظن أن عند الإمام شيئا من الأمور السرية ، فبتفاهم معه فيها .

قال ابن رزيق : حتى بلغ حذاء بيت جده رزيق بن بخيت بن سعيد بن غسان ، وكان قد تلقى من الإمام ما يريده في أحمد بن سعيد من سوء الفعل ، قال : وكانت بينهما مكاتبات ومراسلات ودية ، فسأله عن قصده فأجابته أنه جاء إجابة لدعوة الإمام له ، فأنذره رزيق وحثه على الرجوع والنجاة بالنفس من الوقوع في الهلكة .

قال ابن رزيق : فقال أحمد بن سعيد لأبن رزيق المذكور : لعله يريد أن يعزلني عن ولاية صحار ؟ فقال ابن رزيق : أجل ويريد أن يقتلك ، ولما تحقق أحمد بن سعيد ذلك من ابن رزيق هذا كر راجعا على أثره ، لأنه رأى صدق مقال ابن رزيق ، لأنه مطلع ودلائل الأحوال تؤيده ، وكان أحمد بن سعيد يرى انهيار صروح الدولة بأعمال سيف بن سلطان ، وقد صار أحمد بن سعيد سيد الطرف الغربي الشمالي بالسيرة الحسنة ، وبإتلاف الناس وتأليفهم ، فخرج من مسقط وعلى

وجبه حلة حنق وفي قلبه حقد على رجل يروم قتله في غير ما جرم ،
وعلى الأقل يروم عزله في غير ما سبب ، بعد ما تألف الناس وألفهم •

ولكن الرجل كان ممن يدرى ويدرى أنه يدرى ، فعمل بالحزم
وأخذ يمد أيديه الى الحجر القوى ، ويأخذ الأثيياء من مظانها
ويتهيأ للأمر الذي هو أكبر وهو الاستيلاء على الأمور بيد من حديد ،
وفتح أبواب السياسة وهياً نفسه للرئاسة ، فاجتلب أهل الباطنة وواثق
أهل الحد والعقد بالعمل المثمر ، وبسط يده لمن رآه من الرجال الذين
يعول عليهم ، وقابل الأمور بلوازمها ، وركز معاملة في ذلك الأفق على
القوى المعتبرة ، وربط الأمور كما ينبغي ، وبقي يخاليل الحوادث
بقلب لا يمل وعزم لا ينثنى ، يرى أن الناس قد اشمأزت من سيف بن
سلطان وأعماله وأنهم نافرون منه مباينون له ، والذين معه إنما
يجارونه نقيية له خوف تعسفه ، والناس يبتلون بمثل هؤلاء الرجال الذين
لم يكونوا للأمر بأهل ، وإنما عندهم إنما أنا ابن الإمام الفلانى أو
السلطان الفلانى •

وهكذا ولا يفهمون أن فلانا صار سلطانا أو إماما بأعماله الحسنة ،
وأن سوء الأعمال يهدم الشرف ويسحق الأثر الجميل ، ويبقى أحدىثة
السخرية ، وباختلاف العقول وتباينها تتباين الأعمال ، وتلك حكمة الله
عز وجل في خلقه ، وبها يتفاضلون وبمقتضاها يمتازون •

وما من شرف يكون في أمة إلا وأصله فيها الصلاح ، وتلك
سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا ، والله يعلم الفساد من المصلح •

وساق ابن رزيق القضية بين أحمد بن سعيد وسيف بن سلطان بلهجة العامة ، وعلى أسلوبها الطويل الفارغ ، ولذلك ترانا نلخص القضية ونضعها في أسلوب المناسب وعبارات لها قيمتها ، وإنما نأخذ من ابن رزيق نفس المعنى ونضعه في قالب صحيح من نوع الوضع العربي المعبر •

ولما تحقق سيف بن سلطان ، أن ابن رزيق جد الشاعر هو أنذر أحمد بن سعيد ، وأعرب له عن نوايا سيف بن سلطان فيه ، ورجع الى صحار وعض عليها بالنواجذ ، وقرر في نفسه ألا يخرج منها إلا إذا أرغمه القدر ، لأن سيف بن سلطان لم يعد يصلح لإدارة ملك أو لقيادة أمة ، لا سيما أن الأمة العمانية قد لفظته لأفعاله السيئة ، وعند ذلك تناول سيف بن رزيق وزج به في السجن بعد ما هدده ، وظل المذكور يتلطف له وينكر إنذاره لأحمد بن سعيد ، وهذه هي في الحقيقة واجبة على ابن رزيق ، حيث علم بقتل رجل مسلم على غير حق ، فبقى في سجن سيف بن سلطان ثلاثة أشهر ، وكان سابقا من المعتمدين عنده والمقربين في أعماله •

ثم طلب سيف بن سلطان أحمد بن سعيد مرة ثانية ، ليأتيه الى مسقط فتعلك له واعتذر بأعذار لا يسلم لها سيف بن سلطان ، لأنه الأمير وأحمد بن سعيد المأمور ، وعلى المأموم أن يتبع إمامه ، ولما تحقق سيف بن سلطان إصرار أحمد بن سعيد على إجابته ، تجهز إليه في أربعة مراكب من مراكب الدولة الكبار منها ، وما يدرى سيف بن سلطان أن الأمور تتحول بمعناها الكلى الى أحمد بن سعيد ، وأن في الغيب مناديا

يناديه لها ، وأن عهد بنى يعرب قد آن انتهاؤه ، ولكل شيء غاية ينتهى اليها ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وأن الله يفعل ما يريد •

وخرج سيف بن سلطان بأساطيله الضخمة المشحونة بالمال والرجال ، والمجهزة بسلاح الوقت حتى أرست بجانب حصن صحار ، وأرسل سيف ابن سلطان الى أحمد بن سعيد بالوصول اليه ، فتوجه اليه في قارب صغير يسير سيرا عنيفا ، وقد وقف الناس ينظرون الى هذا الشخص الذى له عند الإمام هذه الأهمية ، ولما قارب من مركب الإمام ناداه خدام الإمام ارجع الى حيث كنت ، فرجع فأخبر الإمام برجوعه بعدما دنى منهم ، فقال : اتركوه لعله نسى شيئا ذهب لياتى به •

ومن هنا يدرك العاقل معنى الانقلاب من سيف الى أحمد ، حيث أصبح عبيد سيف بن سلطان يصرخون لأحمد بن سعيد بالرجوع الى مقره ، وبقوا فى انتظاره يومهم ذلك الى الغد ، وبقى سيف بن سلطان فى مراكبه ، وأحمد بن سعيد فى حصنه ، ولا يعرف أحد ماذا يكون وكل واحد من الرجلين يدبر أمره ولا يريد أن يتظاهر بالعداء السافر ، وكان سيف بن سلطان كل يوم يرسل الى أحمد بن سعيد يدعوه بالحضور ولا يرد له جوابا •

وشاع الخبر فى البلاد بالأزمة التى وقع فيها الرجلان ، فكان الناس ينثالون الى أحمد بن سعيد ، ويتكاثرون حتى ثار الجبور من الحفرى والحرادى وحي عاصم ، وكانوا كثيرا أعيانا فى بركا ، فجاءوا سيف بن سلطان فى أسطوله ، وتكلموا معه بشأن أحمد بن سعيد ، وأن الرجل متخوف منك ، ولن ينقاد لك وأنت على هذه الحالة ، وإذا اختصمتما

فإما لك وإما عليك ، وما كان أحمد بن سعيد مستحقا منك مثل هذه المعاملة بعد ما صان البلاد وحماها من الأعدى ، وقام بواجبه في حق الأمة ، ونهاية الأمر أصلح الجبور الحال بصالح أحمد بن سعيد ، ولعل ذلك كان عن تعارف بينهم ، فكان الصلح أن يواجه سيف بن سلطان هلال بن أحمد ، وهو أكبر أولاده .

وكا هلال رجلا عاقلا منظورا اليه في الناس ، وهو الذى قاد الحملة العمانية الى البصرة لانقاذها من براثن الفرس ، كما سوف يأتى ذلك في محله إن شاء الله .

فواجه هلال بن أحمد عن أبيه ، وعلى أن يبقى هلال عند سيف بن سلطان نيابة عن أبيه ، وأشاعه الى الناس عن اتفاقهما ، فأكرم سيف ابن سلطان هلال بن أحمد وأجله ، فرجع سيف بن سلطان بأساطيله الى مسقط ، وهلال المذكور معه .

وكان الحال أصبح على هدوء بينهما لا سيما أن عمان الداخلية فيها منافس كبير لسيف بن سلطان ، وهو الإمام سلطان بن مرشد اليعربى ، الذى احتل الداخلية كلها ، فلم ير سيف بن سلطان إلا احترام أحمد بن سعيد ، برغم ما هو فيه ، ورجع الى مسقط ولم يزل هلال كذلك يغدو ويروح عند سيف بن سلطان ، حتى جاءه الخبر أن العجم الذين طلبهم ، وصلوا خورفكان ، ووصلته كتب شاه العجم بذلك ، وإذ ذاك أذن سيف ابن سلطان لهلال بن أحمد أن يعود الى صحار ، فرجع هلال الى أبيه أحمد بن سعيد ، وأخبره عما علم .

ولا شك أن أحمد بن سعيد أصبح فى أزمة أكبر من الأولى ، حيث

قد تخالف هو وسيف بن سلطان ، وأدى الحال بينهما الى ما علم كل
أحد ، وهؤلاء العجم يكونون قوة لسيف بن سلطان ، فلعله يرميه بهم
أحمد بن سعيد ليتشفى منه وهم نهمون الى صحار والى بطلها الكرار ،
إذا ساعدتهم الأقدار ، وكان سيف بن سلطان وعدهم بها وهم يدعونها
من قديم العهد ، ولهم رغبة الى الأخذ بناصيتها ، والتحكم عليها ، ولكن
الأمر في يد القدر والله ولى كل شيء •

العجم ينزلون خورفكان

بناء على طلب سيف بن سلطان النصره من العجم للمرة الثانية ،
جاءوا بجيش عظيم ونزلوا خورفكان ، وكان أحمد بن سعيد في بلدة
العوابى ، فزحفوا على صحار لأن أحمد بن سعيد استعصى على الإمام
وبابنه ، وليس الغرض الحقيقي هذا ، وإنما هو سحق أحمد بن سعيد ،
لأن العجم رأته حجر عثرتها فيما تحاوله ، وأحاطوا بالحصن يضربونه
بالمدافع ، وإذ ذاك سارت الرسل الى أحمد بن سعيد بالعوابى ، فجاء
مسرعا واشتدت شكيمته على العجم ، ووقف لهم وقفه الليث في عرينه ،
وكان زحفهم على صحار حال وصولهم خورفكان ، واغتنموا فرصة غياب
أحمد بن سعيد عنها لاثنتى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ١١٤٩ •

وشاع خبر وصولهم في عمان ، فاستوحش الناس منهم وحشة
لا مزيد عليها ، لما عرفوه منهم في المرة الأولى ، وما فعلوه في عمان
في عهد غير بعيد ، وهذه أفعال سيف بن سلطان المريرة التي تزيد الرجل
بغضا في قلوب الأهالي ، واشمئززا منه ، ومن بقية اليعاربة الذين يمتنون
اليه بصلة ليمحى الشرف اليعربى ، ويهوى الى الحضيض الأسفل ، وكان
العجم وهم على ما يقول ابن رزيق ، ستون ألفا انقسموا قسمين ، قسم
تجرد لحرب صحار ، وقسم توجه بمعية سيف بن سلطان الى عمان عن
طريق البريمي ، فكتب اليه بعض أهل العلم ينصحه عن هذه الأفعال ،
ويؤنبه فيها ويبين له أحوال القوم ، ولم يذكر هذا الناصح باسمه
خوفا من سيف بن سلطان وأعوانه •

ومن جملة ما قاله : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) ،

وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له من الله ، (وإنه لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور) ، هذه مصيبة علينا وعليكم ما أعظمها ، ورزية ما أشأمها ، فإن ظفروا طغوا وليسومونكم سوء العذاب ، يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم ، وفي المثل : إذا أتاك امرؤ أوغرت صدره فلا تأمنن مكره وكيده وغدره ، يشير بذلك الى ما سبق من آباءه الأئمة الكرام حال اصطلامهم لفارس وتوابعها ، قال : أأنت نائم أم يقظان ؟ أم استولى على قلبك الشيطان ؟ أم لك حجة على المسلمين ؟ أم سلطان أتى لك أن تتولى قوما غضب الله عليهم ، وتبعث كتبك ورسلك قاصدة اليهم ، وتدعوهم الى حضرتك ، وترجوهم لنصرتك ؟ إنها لأكبر العبر لمن اعتبر ، أجهلت أم علمت ... فغفلت ما حل منهم في جزيرة البحرين من قتل رجالهم ، وأخذ سفنهم قسرا ، وما صنع بكبيرهم مهرباب سلطان ، ومن معه من عجم وزعاب ، وجرثومتهم محمد ابن عبد الله البحراني ... الى أن قال : والله لو كانت القلوب لها أبواب ، وفتحت لوجدتم نيران العداوة تتقد ، ولظاها يخرج من خياشيمهم الخ ما قال ، ولكن النصح يؤثر ويقبل اذا كان في النفس إيمان ، أما اذا كانت منهارة لا تعول إلا على هواها ، فليس للنصح مجال :

إنما تنجع المقالة في المرء اذا

صادفت هوى في الفؤاد

ولكن نفس سيف بن سلطان زاغت عن الحق واستمرأت السوء .

العجم وحصارها لحصن صحار

رأى العجم أن أحمد بن سعيد هو الخط الذي يجب أن يمحي من صحيفة عمان ، فإنه البطل الذي لخطته جمرة حمراء ، وحية عسراء ، وقد رغب إليها سيف بن سلطان أن تكون صحار لها إذا نصرته لإثبات إمامته التي يحملها بلاء لعمان ، وقد شدد العجم الحصار لصحار ، وضربوا حصنها بالمدفعية التي معهم ، حتى كاد أن يتهدم من شدة ضربهم إياه ، وكانت مدفيعتهم ثقيلة جدا بالنسبة الى عهدهم ، ولما رأوا صموده لهم ووقوفه في أوجههم كالطود ، أقاموا لهم بنيانا محاصرا للحصن ، وليكون ملجأ لهم ومعتصما ، ومن لأحمد بن سعيد ينصره في أزمته ، وعمان الداخلية تتلاقى عليها موجات من سلطان بن مرشد ، وبلعرب بن حمير الذي خلع إرضاء لسيف بن سلطان ، وأن سيفا المذكور عدو أحمد ابن سعيد ، لا سيما أن العجم الذين جاءوا لمناصرته كانوا موعودين بصحار لهم طعمة على مناصرتهم ، وهم لا يزالون عاشقيا من العهد الأول .

قال ابن رزيق : كان عدد المحيطين بصحار ستين ألفا .

قلت : الصحيح عشرون ألفا ، والباقون توجهوا لعمان الداخلية مع سيفهم ليعيدوا له الملك .

قال : وعدد سفنهم خمسمائة سفينة ، قال : ومضت سرية منهم الى وادى المعاول غزاة ، فبلغوا دون مسلمات ، فهزمهم المعاول ، قال : ومضت منهم سرية الى قريات فقتلوا منها خلقا كثيرا ، وأسروا نساء وصبيانا ، فبعثوا بهم الى شيراز .

قال : ومضت منهم سرية الى مسقط ، وفيها سيف بن مهنا اليعربى
والى الإمام سلطان بن مرشد ، فتلقاهم فى سبيح الحرمل الذى هو
الآن مطرح الكبرى ، فدارت رحى الحرب بينهم حتى انكشفت عن ملحمة
عظيمة انهزمت فيها العجم الى روى ، ثم كروا فى اليوم الثانى فقاتلهم
سيف بن مهنا بمن بقى معه من العرب ، فقتل المذكور ، وقتل معه من
اليعاربة ثلاثون رجلا ، ومن سائر قومه خلق كثير ، وقيل إن جملة قتلى
العرب ثمانون رجلا ، ثلاثون من اليعاربة والباقيون من بقية عسكره ،
واحتل العجم مطرح ومسقط ، ثم زحفوا على الحصنين الجلالى
والميرانى ، وقام الصراع على أشده ، فانهزموا ولكنهم بقوا مسيطرين
على البلاد ، والكوتان محصورتان ، حتى وصل اليهم ربعهم المحيطون
بصحار ، فانهزم لم يزعزعوا من صخرة أحمد بن سعيد شيئا أبدا ، وعند
ذلك تركوه وتوجهوا لمسقط عندما بلغهم أنهم فتحوها ، ولما وصل
هؤلاء أعادوا الكرة على الكوتين مرة أخرى ، فاحتلوا وهلك أكثر من
فيهما وعند ذلك تمكنوا من البلاد وعسكروا فيها ، ومن جملة الذين باعهم
العجم أبناء جد حميد المؤرخ •

الإمام سلطان بن مرشد يتوجه لحرب العجم الذين بصحار

لما تحقق الإمام سلطان بن مرشد حصار العجم ، جمع جيشا توجه به لمناجزة العجم في صحار ، لأن أحمد بن سعيد صار ضد سيف ابن سلطان ، وأن سيف المذكور عدو الطرفين ، وأن العجم أعداء الكل ، خرج الإمام المذكور بجيشه مناصرة لصحار ولأميرها أحمد بن سعيد ، الذي لم يتزعزع عن مركزه ولم يخضع لجيش العجم ، إذ كان على استعداد كامل ، ولما وصل الإمام الخابورة بلغه أن العجم بعثوا سرية منهم الى القصير القريب منها ، وأن أهل البلد خرجوا لهم بعدما رأوهم مشتغلين بالنهب ، فإنهم تمكنوا من البلد ، وقاموا ينهاون ما يلاقون ، فحينئذ كر عليهم أهل البلد ، فوضعوا السيف فيهم ، فكشفوهم وقتلوا الأكثر منهم ، ولم يرجع الى صحار منهم إلا القليل .

قال : وأمر أميرهم الخان الخائن بالغاارة على صحم وما حواليتها ، ومنها القصير أيضا ، فصادفوا الإمام سلطان بن مرشد ، فاقتتلوا هم وإياهم ، وسقط في المعركة من فرسانهم الكثير ، ثم توجه الإمام بمن معه الى العجم الذين بصحار ، وعندما وصلوا وجدوا العجم قد تهيأوا لهم في أكمل أهبة ، فقام القتال على أشد ما يعرف ، وكان جيش الإمام الذي وصل به صحار بالنسبة الى جموع العجم الذين بها ، ومن لف معهم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود ، وتعاطى الفريقان كؤوس الحمام ، فسقط من أمراء العجم كلب على ، وقتل من رجالهم المشاهير كثير ، وقتل من العرب رهط الإمام مهنا بن سلطان ، وثلاثون رجلا من اليعاربة وأصاب الإمام أيضا جراحات من العجم ، لأنه باشر الحرب

بنفسه لقلّة الجيش ، فتناولته سيوفهم ورماحهم ولكنه استطاع البقاء عليها حتى دخل حصن صحار الذي جاء لمناصرته عند أحمد بن سعيد ، فبقى في الحصن يوماً واحداً ، وقيل عاش ثلاثة أيام ففضى الله عليه رحمه الله وغفر له وللمسلمين المجاهدين معه •

وكان سيف بن سلطان في هذه الآونة في حصن الحزم ، والعجم تفعل أفاعليها في عمان وأهل عمان ، فاسترسل بطن سيف بن سلطان ، ولم يلبث إلا أياما يسيرة فمات وانتهى أمر الرجلين ، والحرب قائمة بين أحمد بن سعيد والعجم على ساقها ، ولم يروه في يومهم إلا وهو أشد من أمسهم ، وعند ذلك رأوا أنهم لا يقدرّون عليه ، فوهنت عزائمهم وضعفت نفوسهم ، ورأوا أحمد بن سعيد كل يوم يشتد ساعده وتقوى همته ، فطلبوا مسالته وحاولوا النجاة منه ، وفضلوا الارتحال عنه ، فصالح قائدهم أحمد بن سعيد على الارتحال بما معهم ، وقرعوا من الغنيمة منه بالخروج عنه والإياب ، فأجابهم الى ذلك ، وقد استدعى أميرهم ومعه عشرة رجال من أعيانهم ، فأدخلوا الحصن وأكرمهم ، وقدم لهم الطعام ، فلما أكلوا وشربوا واطمأنوا ، طلب أميرهم من أحمد بن سعيد أن يوسع لأصحابهم الذين بمسقط أن يخرجوا بما معهم ، كما وسع لهؤلاء ، فأذن لهم أحمد بن سعيد أن يحملوا ما معهم من آلة حرب وغيرها من أسبابهم التي في أيديهم ، وطلبوا منه أن يحملهم الى بندر عباس فقال إن شاء الله •

كلمة شرطية لا يعرف جراء شرطها ما هو ، وعند ذلك خرجوا عنه ، ولم يملكوا في البلاد أكثر من ثلاثة أيام ، وقيل يومين فقط ، ثم ركبوا سفنهم ومضوا الى بندر عباس •

أحمد بن سعيد يزحف الى بركا ليتولاها

لما ارتحل العجم من صحار ، وصرف الله شرهم ، وغرب نجم
بعيهم ، فلا يعود طالعا إن شاء الله ، خرج أحمد بن سعيد وعلى هامته
تاج شرف يلمع في وجوه الأعداء ، وعليه وقار المجد ، وقد تدرع هيبه
ألفت الأنظار اليه ، ورفعت معنويته فوق ما كان عليه ، وانتخب من
رجال ألقى رجل خرج بهم الى بركا ، وكان حصنها بيد المعاول فسلموه
له ، ولعل تعارفا تقدم بينهم وإياه ، فتولى الحصن المذكور ، وولى عليه
خلفان بن محمد السعيدى المعروف بالمحل ، ورجع هو الى صحار منتظرا
للأمور كيف يكون وضعها ، وهل للعجم عودة فإن صحار أصبحت حديث
السمر عند القوم •

أحمد بن سعيد يستعمر بركا ميناء لعمان بدل مسقط

رأى أحمد بن سعيد أن العجم الذين بمسقط قذى في عينه ، لكن زوال ذلك القذى غير هين في الحال ، ومن سياسته أن يتحين الفرص ، فإذا آن أوانها لم يضيعها ، ورأى الرأى أن يتركهم ومسقطهم الآن حتى تدق ساعة زوالهم منها ، ورأى مما يذلهم استعمار بركا كعاصمة وميناء لتجارة عمان ، فإذا قامت سوقها لم يأت مسقط أحد . وبذلك يظلم أبقها في أوجه العجم ، وتنهار حياتها ، ويانهيارها يصبح العجم في لا شىء طبعاً ، فأقام في بركا كل حاجيات عمان وضرورياتها ، وأن لو تحرك العجم إليها لكانوا في أوهن من بيت العنكبوت ، فإنهم في مسقط في حصن منيع لإحاطة الجبال الشاهقة بها ، ولا سيما إذا سقط العدو المهاجم في بطنها بقى الحصان في منعة ، أما بركا فلا لأن الحصن في يد العرب ، وهى أرض ساحلية مكشوفة .

وكأنه لم يجب أن يتحرش بالعجم ، ولم يبتدئهم بحرب ، فأنحاز الناس الى بركا للبيع والشرى ، وللأخذ والعطا ، وسارت إليها السفن من البحر ، وناقلات الأمتعة من عمان إبلا وحميرا وغيرها .

ففى التاريخ : وأقيمت الموازين في بركا لوزن الأمتعة التى تجلب من الهند ومن عمان ، كما كانت تجلب الى مسقط أيام سيف بن سلطان ، وكان الوالى خلفان بن محمد بن السعيدى المعروف بالمحل ، هو العامل من طرف أحمد بن سعيد ، قال : فاستقامت في بركا سوق راج فيها ما كان يروج في غيرها ، وقصدها الناس لحوائجهم من شتى الجهات ،

وانتقل إليها التجار من عمان ، قال : وانتهى إليها وفود عمان والظاهرة للبيع والشراء ، وحمل ما يحتاجون إليه منها ، وبذلك انقطعت المادة عن مسقط ، وسقط في أيدي القابضين لها ، وضاق ذرعهم فيها ، وضجروا بمقامهم وانقطاع المواد عنهم ، فإن مسقط كما يعلم حالها ، واذ غير ذى زرع تحيط بها الجبال الجرداء ، وهيهات أن يأتيها العمانيون في حالها ذلك ، وزاد في ضعف العجم ارتحال أصحابهم من صحار .

ثم زاد خوفهم أيضا لما بلغهم موت سيف بن سلطان ، الذى جاءوا على اسمه ، فعند ذلك بعثوا رسولا الى الحزم يطلبون أقرب رجل الى سيف بن سلطان يصل إليهم بمسقط ، فلما بلغ أهل الحزم رسول العجم ، أرسلوا إليهم رجلا اسمه ماجد بن سلطان ، فلما وصل إليهم طلبوا منه أن يسير الى شيراز بكتاب منهم ، أن يسلموا اليه البلاد ، ووافقهم فكتبوا له كتابا الى الشاه يخبرونه فيه بموت سيف ابن سلطان ، وأن الواصل بكتابهم هو أقرب الناس الى سيف بن سلطان رحما ، وأنهم بقوا في مسقط ومطرح في أضييق حال ، وقد انقطعت العرب عن مسقط ، وانحصرت المادة ولا شئ في مسقط مما يعتاشون به ، وقالوا لماجد ، أظهر الطاعة للشاه ، أى تطف له وجدد بينك وإياه عهدا ، فإنه إن كتب إلينا بتخليص ما بأيدينا من معاقل مسقط والمطرح إليك نخلصها لك ، فأجابهم ماجد الى ذلك ، وخرج الى شيراز عن طريق بندر عباس .

فلما واجه الشاه وأعطاه الكتاب الذى زوده إياه العجم من مسقط ، وقرأه وفهم ما فيه أقامه في دار الضيافة ثلاثة أيام ، ثم كتب له كتابا الى أصحابه الذين بمسقط يأمرهم فيه بأن يسلموا ما بأيديهم من معاقل

مسقط والمطرح ، ورجع ماجد على الطريق الأولى ، ومن بندر عباس ركب سفينته التي جاء فيها فضربها الريح ، وثار عليها طوفان البحر وهي سفينة صغيرة لا تقدر على مصارعة أمواج البحر ، فقذفتها الأمواج الى صحار ، فمضى الى أحمد بن سعيد في حصن صحار ، وأخبره بما جاء به من عند الشاه ، وأنه أمره تسليم المعادل اليه ، فأخذ أحمد بن سعيد الكتاب منه ، وأرسل به أحد جماعته وهو خميس بن سالم البوسعيدى ، وأمره بقبض المعادل المشار اليها ، وإن يظهر لهم أنه رسول ماجد وأنهم اتفقوا هم وماجد المذكور على حال صلح ولا فرق بينهم ، وإن ماجدا مقيم عند أحمد بن سعيد ، فسار خميس بن سالم ، ومعه أربعمائة رجل من رجال أحمد بن سعيد •

فلما وصل إليهم وعرض عليهم كتاب الشاه ، ظنوا أنه من جماعة ماجد بن سلطان ، وقد بثه ماجد إليهم فسلموا له المعادل كلها ، فترك فيها خميس بن سالم أصحاب أحمد بن سعيد الذين جاء بهم من صحار ، قال : وكتب خميس بن سالم الى أحمد بن سعيد بقبض معادل مسقط ومطرح من العجم • وقد أشار الى قضية ماجد أمير البيان ، حيث قال : إن أحمد بن سعيد هذا لم يكتف بتخليص صحار حتى استولى على بركا ، فحاصر مسقط ، فأرسل الإيرانيون ماجد بن سلطان من أبناء عم سيف ابن سلطان الى الشاه يلتمسون منه الأمر اللازم الى الحامية الفارسية بتسليم الحصون إليه ، فوقع الأمر باتفاق غريب في يد أحمد بن سعيد ، فأبلغه الى الحامية وخرج هؤلاء على أنهم سلموا الأمر والحصون الى أحمد بن سعيد باسم ماجد بن سلطان ، والحقيقة أن أحمد تسلمها بالخديعة •

وقيل : إن أحمد بن سعيد لما رأى سفينة ماجد جاءت على غير قانون سير السفن ، استنكرها فأرسل جنده لها ، وإذا فيها ماجد بن سلطان ومعه كتاب الشاه ، فقبض عليه ثم سجنه ، وتولى منه الكتاب وأرسل به الى العجم ، هذا الذى شاع ، وهذا كله من حظوظ أحمد ابن سعيد ، حيث انساق إليه الإمام سلطان بن مرشد ، فمات فى حصن صحار عند أحمد بن سعيد ، ثم جاء الآن ماجد بن سلطان حاملا استلام مسقط ، فاستلمها أحمد البطل الذى قام ليلتقط شذاذ الملك العماني عند تبعثره .

وبعد ذلك صنع أحمد بن سعيد وليمة عظيمة للإيرانيين فى بركا ، كانت نهايتها أن الأهالى هجموا عليهم وذبحوهم ، ونجا فلهم بالسفن قاصدين ساحل إيران . قال : ولما كان ملاحه السفن هم العرب ، فإنهم أخرجوا السفن لإهلاك الإيرانيين الذين كانوا منهزمين بها الى بلادهم ، وقذفوهم أنفسهم فى اليم ونجوا بسباحة الى الثماطىء ، قال : ومهارة العمانيين فى السباحة واقتحام البحر معلومة ، وهكذا انتهت غزاة الفرس ببلاد عمان .

وفى التاريخ العماني : أن أحمد بن سعيد استدعى العجم بصحبة خلفان بن محمد المطل الى بركا ، وبعث اليه ألفى رجل من رجاله الذين يعتد عليهم من رعايا صحار ، فإنهم أصبحوا أنصاره الخاصين ، وكذلك أهل بركا وطبعا أن والى المنطقة يكون فى أهلها طاعة وانقياد لا سيما اذا كان محسنا إليهم يصير محبوبا فيهم مطاعا لديهم ، وهؤلاء الرجال أرسلهم أحمد بن سعيد الى خميس بن سالم والى مسقط فى هذه الآونة ليتركهم على مقابضها وحصونها عندما يخرج بالعجم الى بركا كما أمر أحمد بن سعيد ، ففعل خميس ما أمره به سيده أحمد بن سعيد ، ولما

وصل بركا ومعه العجم المشار إليهم ضربوا خيامهم بالقرحة لتحل
عليهم قرحة الدمار ، وإذ ذاك بعث إليهم أحمد بن سعيد الضيافة ولخيلهم
بالطعام .

قال ابن رزيق : أخبرني أبي محمد بن رزيق عن أبيه جد حميد وهو
رزيق بن بخيت بن سعيد بن غسان ، والشيخ معروف بن سالم الصائغ ،
والشيخ خاطر بن حميد البداعي ، والشيخ محسن القصاب العجمي ،
وقد دخل كلام بعضهم في بعض .

أحمد بن سعيد يأخذ ثار العمانيين من المعجم

قالوا لما رجع المعجم من مسقط الى بركا في صحبة خميس بن سالم السعيدى ، وفيها يومئذ أحمد بن سعيد ، أى فى بركا ضربوا مخيمهم فى القرحة ، وكان أحمد بن سعيد أعلن لأهل بركا بإكرام المعجم المذكورين إكراما عاما ، وأن يتظاهروا بالرعاية التامة •

قال : فما يمر أحد على حطة من حلل بركا إلا ورأى فيها قدورا تفور بالطعام ضيافة للمعجم من أحمد بن سعيد ، ولا يمر أحد بحلاو - والمراد به صانع الحلوى المعروفة فى عمان - فى سوق بركا ، إلا وهو يصنع الحلوى بأمر أحمد بن سعيد للمعجم ، ولا يمر أحد بزراع إلا ورآه يجز زرعه لخيل المعجم •

قال : وما بات لأحد درهم أو فلس على أحمد بن سعيد ، فضلا عن دينار • قالوا : وكلام الناس على حدة يقولون : إن المعجم لا يستحقون هذا الإكرام ، وإنما يستحقون أن تضرب أعناقهم بالسيف ، قالوا : وبعد ما خيم المعجم ببركا لثلاثة أيام ، خرجت موائد كثيرة للمعجم فى صوانى رحبة ، وهى الجفان التى يوضع فيها طعام الأضياف غالبا • قالوا : ودخل أكابرههم الحصن مع رسول أحمد بن سعيد ، أى خميس ابن سالم ، قالوا : وعدد الداخلين خمسون رجلا وهم أعيانهم ، قالوا : فما كان بعد دخولهم الحصن إلا ساعة من النهار ، حتى ضرب طبل فى الحصن ، ومعه منادى ألا من له وتر فى المعجم فليأخذه منهم •

قال : فما استتم كلامه إلا والصائح يصيح من كل مكان ، فخرج

عليهم الصغير خلف الكبير ، من أهل بركا ، ومن انضاف إليهم من سائر
البلدان ، فوضعوا فيهم السيف ، ففشا فيهم القتل ، وقام لهم كل أحد
من جانبه ، فما بقى إلا قدر مائتى رجل يصيحون الأمان الأمان يا أحمد
ابن سعيد ، فلما بلغ أحمد كلامهم ، وارتفع إليه ضجيجهم نادى
المنادى من الحصن ارفعوا عنهم السيف ، فرفع عنهم وبقوا رهن الذل
والصغار جزاء أعمالهم التى أوقعوها فى العمانيين ، وحصارهم لأحمد
ابن سعيد ، وضربهم إياه بالمدافع ، ولو تمكنوا منه لقتلوه .

وقالوا : وأما أكابرهم الذين دخلوا الحصن فقد ضحى بهم الحصن
فى ضحوتهم تلك ، وتركهم جزر السباع ، فذاقوا وبال أمرهم ، وغسل
بهم أحمد بن سعيد عار العمانيين ، وأخذ بهم الثأر ، فإن ذلك الإكرام
الذى تظاهر لهم به أحمد بن سعيد ، أراد به تسكين نفوسهم وفك
حزمهم ، وتفكك جمعهم ، فلما رأى العجم ذلك منه تناسوا ما فعلوه فيه
وفى قومه ، واطمأنوا الى الهدوء الذى رأوه ، وما دروا أن الدم العماني
غال عند أهله ، وأن أحمد بن سعيد هو الذى يغار عليه عندما أضاعه
سيف بن سلطان ، وكان من سياسته التى امتاز بها فى هذه البادرة أنه
لم يكن منه لهم عهد ولا ميثاق فى اطمئنانهم ، فيقال إنه غدر بهم أبدا ،
بل كان متلفتا ومحترزا مما يسجل عليه وصمة فى هذه الحادثة ،
ولا طلب من أولئك الخمسين الذين دخلوا عليه ، لكنه كان متوقعا ذلك
منهم حين اطمأنوا بين ربوع بركا ، ونسوا فعلهم ، ولم يهتموا بشئ من
أمر العمانيين .

ولا شك أن الحرب خدعة ، ثم إن اللاتذنين به ، الصارخين له ،

لما أُر برفع السيف عنهم ، طلبوا منه التسيار فسيرهم في سفن أهل
بركا الى بندر عباس ، وفي الطريق التي جاءوا منها ، وخرج معهم
العمانيون ، فلما لججوا بهم خرقوا السفن ، وتقاحموا عنها سبحا في
البحر ، فغرقوا جميعا ، وبذلك نال أحمد بن سعيد من العمانيين المكانة
انعالية ، وعظم شأنه فيهم ، وجل سلطانه وطار له صيت ملاء الآفاق
وتتوج هيبة الملوك على الإطلاق .

أحمد بن سعيد يعيد خميس بن سالم لمسقط

لا يخفى أن أهل مسقط لما جاء العجم هربوا منها بذراريهم خوفا منهم ، ولم يبق إلا أعمى أو ضعيف لا يريد ولا يراد ، وتفرقوا في الباطنة جماعات وأفرادا ، وبعضهم في حطاط ، ولما قر قرار الأمن بمحو رسم العجم ، أرسل أحمد بن سعيد خميس بن سالم عائدا لمسقط ليصلح من شأنها ، وأمر أن يصحبه كل من كان يسكن مسط والمطرح .

فلما وصل خميس ومن معه لم يعرفوا حدود بيوت الأهالي الخارجة من السور ، إذ خربتها خيل العجم إذ كانت غالبا مبنية بالسعف والجريد ، فأكلتها خيل العجم ولم تبق منها باقية ، وعاثت فيها إذ كانت مطلقة لا تربط حيث يحيط بها سور من الجبال المنيعة ، وإذا بأرواثها ملء الأماكن ، وقامت الفتنة بين الأهالي وأشهر والسلاح على بعضهم في وجه خميس بن سالم ، ووقع القتل ولم يقدر خميس على منعهم حتى انكسفت الفتنة عن ستين قتيلًا .

وبعد الشقاق واضطراب الأمر ، سكن خميس نارهم بالتعب وال نصب ، وقسم خميس المنازل والأمكنة التي لم تعرف بينهم على التحرى ، وبارى بينهم في الدماء التي سفكت ، وقاموا بعمرانها من جديد ، وخططوها على أهلها . وكان خميس بن سالم هو الوالى ، وتراجع الناس إليها ، وقامت سوقها هي والمطرح ، لأن المطرح وليدتها في الحرب والسلام ، أمرهما واحد وعاد العمانيون إليهما .

أحمد بن سعيد يزحف الى الداخلية

لما اطمأن أحمد بن سعيد من العجم في الحال ، زحف بجيش كثيف الى الداخلية ليضعها في يده كما وضع مسقط العاصمة ، وليجمع شمل الكل في إطار عزيمة ، خرج الى الرستاق فسلمت له ، وكيف لا تسلم له وقد عرفته العبقري الكريم ، ثم مضى الى سمائل ، وأذغنت له تماما غير ناظرة في شيء ما .

ثم ارتفع الى أزكى فألقت اليه مقاليدها راغبة ، فقبضها بغير نزاع ، وإينه للكفو الكريم ، ثم مضى الى نزوى فصافحته بأكفها مصافحة الود والرضا ، ثم توجه لبهلى وهى منتهى القصد ، وقد تأهبت للقياه بإخلاص وصفا ، لم يجد من هذه البلاد كلها إلا الرضا به سيدا كريما ، وهاما عظيما ، وعليه علم العدل يرف ، ويد الإحسان مبسوطة البنان ، والسيف والسنان جمال الميدان ، وكان سليمان بن محمد بن عدى اليعربى واليا بسمد الشان ، فأتاه يحمل الخضوع والإذعان .

وكان قد ولاه إياها الإمام سلطان بن مرشد ، فقبضها أحمد بن سعيد ، وولى سليمان المذكور حصن نخل ، وتعاهد أحمد بن سعيد ، وسليمان بن محمد ألا يخون أحدهما صاحبه ، وتولى أحمد بن سعيد ملك عمان بغير معارض أو منازع ، وأصبح هو الحاكم المطلق في عمان كلها .

قال ابن رزيق : فهذا سبب انتقال الدولة من اليعاربة الى أحمد بن

سعيد البوسعيدى .

أحمد بن سعيد وبلعرب بن حمير

في التاريخ العماني أن بلعرب بويح بالإمامة مرة أخرى ، فإنه انخلع منها أولا على يد مشايخ بنى غافر إرضاء لسيف بن سلطان ، ورجاء لكفاف شره .

قال الإمام السالمى رحمه الله ، وهو أولى بالنقل عنه في مثل هذه النوازل قال : إن سياق التاريخ يقتضى أن بويح له مرتين ، مرة قبل سلطان بن مرشد رحمه الله ، وذلك في سنة ١١٤٥ ، ثم استعفى من هذه الإمامة وترك الأمر لسيف بن سلطان ، حين خافوا العجم على عمان ، بافتراق سيف وبلعرب .

قال : والمرة الثانية بعد ذلك ، لكنه لم يعرف تاريخها أى لم يجد لها تاريخا ، وهو الذى حكم بتفريق أموال سيف بن سلطان ، ومعه الشيخ حبيب بن سالم أمبو سعيدى العقري النزوى ومن معه من المشايخ ، وهذا الشيخ اضطرب حاله مع إمامه المذكور وقيده ، ومن هنالك تكدر الصفو بين الإمام والشيخ ، وعاد الشيخ يعد على الإمام أحداثا ، ورأى خلعه بها إلا أنه لم ينخلع بكلام هذا الشيخ ، بل انخلع بجيش أحمد ابن سعيد فى وقعة فرق ، وذلك بدل أنه عاد الى نزوى وأعلن إمامته ، وقام بدوره فى عهده ، فخرج عليه أحمد بن سعيد برؤوس القبائل من عمان ، واحتج عليه فى نقاش طال بينهما فى بلد فرق ، فإنه خرج ليتلقى أحمد بن سعيد بمن معه ، فاقتتلوا فى فرق وقتل بلعرب وأكثرية جيشه .

وكان النصر حليف أحمد بن سعيد ، وهناك نصائح أوردوها وأحداث

عددوها ، وأقوال دونوها ، وآثارا عولوا على مقتضاها ، والحقيقة كل إنسان له جانب مدح لمحبيه ، وجانب قدح لمنافسيه ، ذلك لأن الكمال لله وحده ، وكان جانب القادحين فيه قويا ، والأخذين عليه لهم مقال محفوظ .

قلت : والمفهوم من سياق التاريخ ، أن بلعرب عاد الى إمامته بالعتد الأول فقط ، ولذلك لم يجد الإمام السالمى رحمه الله ، تاريخا لإمامته الثانية ، فإنه لما مات سلطان بن مرشد بصحار ، ومات بعده سيف بن سلطان بالحزم ، لم يبق منافس لبلعرب هذا ، فجاء بإمامته الى نزوى .

وكان أحمد بن سعيد قد تولى البلاد ، والتف حوله أكثر أهل عمان ساحلا وداخلا ، وأصبح هو صاحب الحل والعقد ، وظهرت قدرته الساحقة للعجم ، ولم يرد العمانيون قائدا لهم غيره لا سيما فى تلك الآونة الحرجة التى لها أثرها الرائع .

قال الإمام : وكان قتله بعد خلعه بسنيات .

قلت : تلك السنيات هى التى مشى فيها سيف بن سلطان مع العجم الأخيرين ، حتى انتهى أمرهم على يد أحمد بن سعيد العبقرى اليقظ الذى تصدى لسحق تلك القوة العجمية المتغلغلة فى مسقط .

قال : خرج عليه أحمد بن سعيد البوسعيدى ، وذلك بعد أن استولى على حصون الباطنة وما حولها ، وخرج الى نزوى وهذا الكلام يوهم أن ذلك فى حال خروج أحمد بن سعيد الى الداخلية ، وليس كذلك ، بل ثبت أنه تولى الحصون أحمد بن سعيد بغير حرب وخرج عنها ، وهى فى يده ، ثم جاء بلعرب الى نزوى ، وأعز إمامته فخرج له أحمد بن سعيد .

قال : وذكر بعضهم أن أحمد بن سعيد التقى بلعرب بن حمير ، وقال له : أنت إمام فوق إمام كيف هذا ؟ أى كيف صح إمامان في حوزة واحدة ، ليس هذا من دين المسلمين ؟ فاحتج بلعرب على أحمد بن سعيد بأن سيف بن سلطان غير السيرة ، وخالف الجماعة ، وسد باب الطاعة ، واختار المسلمون إماما غيره ، فلذلك عزلوه ، ثم اختاروني وعقدوا لى الإمامة ، قال : فقاتله أحمد بن سعيد برؤوس القبائل ، فقتل بلعرب بفرق وخلصت نزوى لأحمد بن سعيد ، وذلك فى سنة ١١٦٧ •

وفى هذا الكلام ما فيه من اعتياض ، لأنهم ذكروا دخول أحمد بن سعيد عمان الداخلية بعد انتهاء أمر العجم فى بركا ، وأنه لم يعارضه أحد من أهل عمان ، حتى انتهى الى بهلى ، ثم جاء الرستاق عن طريق الجبل ، وبذلك انتهى أمر اليعاربة ، وتقلص ظلهم ، وأقبل أمر عمان ينساق الى أحمد بن سعيد كما عرفت متتابعا والله الأمر كله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد •

إن رحمد بن سعيد ممن له فى عمان غيرة كبيرة ، وله بها اهتمام عظيم عرفه التاريخ ، وله صمود وصبر على الحوادث اذا نزلت ، ومن اعتبر فى أعماله ومساعيه عرف منه بطلا عبقرى لا يقعق خلفه بالشنآن ، ولا شك أن الرجال بعزائمها ، فإنه لما كانت عزائم بنى العباس نابعة من العنصر الصحيح ، كانت مفخرة عربية يعتز بها العرب ، حتى اذا جاء الخلف الأخير على منهاج الخلاعة خرت المملكة على وجهها وتبعثر بناؤها ، وتلاعب بها أعداؤها انظر بين المعتصم والمستعصم ترى عجبا •

أحمد بن سعيد في طالع السعيد

كان أحمد بن سعيد من أهالي أدم ، وكان الشيخ خلف بن سنان الغافري معروفا بأسرار إلهية ، زار أدم ولقى أحمد بن سعيد ، وتفرس فيه النجابة التي تؤهله لأن يكون ملك البلاد وسلطانها ، وكان من عنصر زعامة معروفة بعمان ، وكان يقال إن الشيخ خلف من أهل الكشف وهم الذين منحهم الله علما عما يحدث في الكون .

فلما رأى أحمد بن سعيد وكان غلاما صغيرا ، وأحسب أنه أيضا كان يتيما ، تلقاه الشيخ بوقار ، ومسح على رأسه قائلا له : اتق الله في الرعية معربا عنه أنه سيملك أمر عمان ، ونشأ وشب وشاع له ذكر في الوسط من الناس ، حتى اتصل بسيف بن سلطان اليعربي ، واستعمله سيف بن سلطان المذكور ، فوجد منه كفاءة لم يجدها من غيره حتى جعله محل ثقته ، وسيف دولته ، وألقى إليه أهم أموره ، وكانت صحار ولا تزال هدف الغزاة ، ولبعدها عن العرش العماني نزوى .

وكان والى صحار يعتبر بمنزلة حاكم مستقل له حله وعقده في الطرف الشمالي من عمان الى الحسا وما إليها ، وكفاءة أحمد بن سعيد وللأحوال التي تناط بصحار ولاء إياها ، فأداب شئونها إدارة رفعت قدرها وأعلت منارها ، وأصبح علمها منظورا إليه بأعين الإكبار كما قال الإمام ، وجد سيف بن سلطان من أحمد بن سعيد كفاءة لم يجدها من غيره ، فجعله سيف دولته ، وموضع شوكته وصولته ، فوض إليه الأمور كلها .

قلت : ومن هناك جرد الرجل حتى لحظته العيون بالوقار ، وعلا صيته وهو الذي هياه الله أن يكون خليفة المستقبل في عمان ، وعمان إذ ذاك في أرفع مكانة في الجزيرة ، كما أنها كذلك من عهدا الجاهلي الأول .

قال الإمام : إن أحمد بن سعيد هو أول هذه الدولة البوسعيدية ، بل هو رافع بناءها وواضع حجر أساسها ، وهو أبو ملوك العصر ، وأشار الى ما قلناه في التاريخ العماني ، وذكروا في استيلائه على ملك عمان وجهين :

الأول : أن سيف بن سلطان أرسله ليخلص له حصون عمان ، ويقاوم بلعرب بن حمير الذي هو ضد سيف المذكور ، وخرج بجمع كبير من زعمان القبائل حتى انتهى الى نزوى وفيها بلعرب . فقال له أحمد ابن سعيد : أنت إمام فوق إمام ، كيف هذا ؟ أي هذا لا يصح ، وساق القضية التي ذكرناها ، وأن أحمد بن سعيد قاتله حتى قتل في فرق ، وإذ ذاك عقدوا الإمامة لأحمد بن سعيد حين رأوه أهلا لها ، والصحيح عند أهل التاريخ هو ما قدمناه ، وكان أحمد بن سعيد واليا بصحار ، واليعاربة تتهارش في عمان ، فسيف بن سلطان يقول أنا الإمام ، ومعه جانب من أهل عمان ، وسلطان بن مرشد يقول أنا الإمام الصحيح للإمامة ، وبلعرب بن حمير يقول أنا الإمام وهكذا .

وكان أحمد بن سعيد من حزب الإمام سلطان بن مرشد عندما رأى أحوال سيف بن سلطان تجري في غير طريقها ، حتى وقع من سيف بن سلطان ما وقع من انقلابه على أحمد بن سعيد ، وهمه بقتله ،

وأن أحمد بن سعيد اتحد مع سلطان بن مرشد حين رآه على الصراط المستقيم ، وهذه من محامد أحمد بن سعيد ، ولذلك لما أحاط العجم بصحار ، وحصروا أحمد بن سعيد فيها خرج سلطان بن مرشد لمنصرة أحمد بن سعيد ، واعترضه العجم فى الطريق ، فاقتتلوا هم وإياه ، وجرح الإمام المذكور ولجأ الى أحمد بن سعيد ، ثم مات معه فى حصن صحار ، إذ أصابته جراحات من سيوف العجم ، وأن أحمد ابن سعيد لما أصبح العلم المفرد بعد سيف بن سلطان ، وبعد سلطان ابن مرشد ، سلطه الله على العجم فمحا رسمهم من عمان ، ثم خرج الى الداخلية ليتولى ما بقى من ملك عمان كما قدمنا ، حتى صفاله الأفق ، وذرت رياح عزمته غبار أعدائه فى عمان ، ونظرت عزمته الى منافسيه نظرة الحر اليقظ ، وكان على أوفى المرام فى إرساء دعائم الملك ، ولا يزال ينظر الى الأعداء بأعين الحزم ، ويحسب لها حساب من لا يطمئن بالدهر اذا سكن ، فإنه سرعان ما تتقلب أحواله ، ويتغير عن مجراه الطبيعى ، واذا نام الراعى تعاوت الذئاب على الغنم ، وعاث الوحش فى المراعى ، وصعب الأمر على القائد والسائق ، إلا اذا ساعد الحظ .

وأحمد بن سعيد من الرجال الأمذاذ فى عمان ، ومن الملوك الأجلاء الذين هم الشهب اللامعة ، وإنه العبقرى العظيم فى عهده ، ولو لم يكن له من العمل فى عمان إلا سحق العدو الفارسى الذى كان منه بعمان ما تذوب له الأكباد ، وينهصر له وعى العقل ونور الفؤاد ، ومن كأحمد

ابن سعيد صارع العدو عن الوطن ، وكافح الشر حتى سكن ، ودافع
عن البيضة بصدر رجب ، وجد واجتهد حتى جلا السوء عن وجه
عمان ، وأطار في ربوعها طائر اليمن ، فله بذلك الحمد الخالد والشكر
الذي لا ينمحي من سجل التاريخ فله دره من همام والرجال بالأفعال •

أحمد بن سعيد وزعماء بني غافر

لا يخفى أنه لما أصبح أحمد بن سعيد حاكم عمان ، واليه أمرها ،
وبيده الحل والعقد فيها ، وكان بنو غافر بقى في أدمغتهم من عهد محمد
ابن ناصر من نوع ما بقى في نفوس اليعاربة من الادعاء بالملك ، ومن
الانتساب اليه كما هو شأن الأمم غالبا اذا كانت فيها زعامة دينية أو
دنيوية ، ترى طيلة العهد أن لها ما ليس لغيرها ، وهذا أمر معروف في
كل الأجيال ، ألا ترى هرقل لما قام يبحث عن النبي صلى الله عليه وآله
وسلم ، قال : هل كان في أجداده من ملك ؟ فقيل له : لا . . . فقال :
قلت : لو كان في أجداده من ملك لقلت رجل يطلب ملك آبائه .

والمعنى أن دعوى الملك لا تكاد تنمحي من نفوس ذرية الملوك سواء
كان الملك إماما أو سلطانا تبقى دعوى الملك في ذريته ، لذلك بقى في
نفوس ذرية محمد بن ناصر شيء مما ذكرنا ، ولقد قام أحمد بن سعيد
بأمر عمان واحتوى على الساحل والداخل إلا ما كان من أمر الظاهرة ،
فإنه بقى صوت بني غافر صناجا قبيها ، وتبين لأحمد بن سعيد ما يخالف
لأمره ، وما يخشى من وميض رماده ، فخرج على القوم بقوته العسكرية
ليتحسس أحوال القوم ، ويحس نبض عروقهم هل هو ساكن أو متحرك ؟
وإذا به غير ساكن فقيل إنه دس على رؤوس بالقتل ، فقتل جملة منهم .

قال الإمام السالمى : قال ذو الغبرا : لما ملك أحمد بن سعيد
وساد ، ودانت له الخلائق واستقام ملكه ، وخذل عدوه ودلته نفسه
بقتل أكابر بني غافر ، فلما قتلهم مشى الى ديارهم بجيش عظيم ،
فالتقوا بالأخيلة ، فصح عليهم الكسر وهم فئة قليلة ، وفي حديث الشيخ

ناصر بن جاعد أنه جيش عليهم ثلاثين ألفا الى الظاهرة ، وخرج لهم مقدار سبعين رجلا ، وكسروا الجيش كله ، ومات كثير منهم بالجوع والعطش بعد أن ولوا الأدبار ، قال : وكثير منهم لم يتمكن في الهزيمة أن يستريح مقدار نصف ساعة أو ربع ساعة ، ولذلك ماتوا •

قلت : لا يعقل أن ينهزم جيش بلغ ثلاثين ألفا بسبعين رجلا ، إلا أنه يحتمل أن تكون في الجيش خيانة ، ولعل القوم كانوا يرون أن قتل شيوخ بنى غافر كان غير مرضى عندهم ، وهنا خانوا وانقلبوا بالجيش الى الهزيمة المنكرة ، حتى لم يقر لأحد قرار حتى ربع ساعة ، وحتى مات الأكثر بالجوع والعطش ، نعم لو كانت القضية قضية نبوة لقلنا تلك معجزة ، وأما الحال على خلاف ذلك ، فهنا تتبين مؤامرة في الجيش أخفيت وراء الستار ، والله أعلم بما هنالك •

إلا أن لهذه الهزيمة لما شاع خبرها أثر على السواد الأعظم في عمان •

قال ابن رزيق وغيره : إن تلك الحرب وقعت بين أحمد بن سعيد ، وناصر بن محمد بن ناصر الغافري ، وقال : وكان النصر فيها لناصر بن محمد بن ناصر ، وقتل من قوم أحمد بن سعيد اثنا عشر ألفا ، فيستفاد من كلام الشيخين : ناصر بن أبي نبهان ، وخميس بن راشد المعروف بدو الغبرا والد الشيخ ماجد ، أن أحمد بن سعيد قتل مشايخ بنى غافر ، ولا شك أن القتل لا يكون إلا بسبب ، وبقي النظر في السبب هل هو حق أو غير حق ، ولعله ما أشرنا إليه والله أعلم بما هناك •

ولعل قتل شيوخ بنى غافر المذكورين هو الذي وقع على يدي هلال ابن أحمد بن سعيد ، وأن هلالا لم يقل للقاتلين شيئا ، فإنهم لما استجابوا

لداعيه ووصلوا اليه ، وصاروا في ذمته هوى عليهم فريق من قومه فقتلوه عن آخرهم ، وهم الذين يقال لهم أولاد فرخ الرياح من أهل القرطبي ، وكان محمد بن حمير اليعربى وهو الذى جاء بهم الى هلال ، وطلب هلال منهم تسليم حصن القرطى فلم يوافقوا ، وكانوا فى أمان محمد بن حمير أحد أركان ثورة هلال بن أحمد بن سعيد ، وكانوا أخص الخاصة لناصر بن محمد بن ناصر الغافرى الزعيم الكبير فى الظاهرة ، وهو صاحب حصن العينين ، كما سوف يأتى خبره فى محله ، وهؤلاء الشيوخ المقتولون هم شرارة الظاهرة •

ولما بلغ قتلهم أحمد بن سعيد لم يقل شيئا فظن الناس هو الأمر بقتلهم ، والى هذا يشير كلام المشايخ وتحقيق الحق لا يدركه إلا الله عز وجل ، ولذلك على أثر القضية المشار إليها جهز أحمد بن سعيد جيشا ليطفىء به نائرة الظاهرة ، وليريبها أنه القوى على إطفائها ، وله السلطان الذى لا تقدر الظاهرة أن تظهر عليه ، فسحب جيشا أرعن جمع فيه أهل عمان من نزوى الى جعلان ، وأضاف اليه أهل الباطنة فخرج به وهو كما وصف ثلاثون ألفا دخل به الظاهرة من الجهة الغربية ، ولما سمع به بنو غافر تجمعوا له ، وكانت الظاهرة كلها تحت إمرة ناصر بن محمد والجيش الموفد كلهم كانوا غربا ، ونزلهم ساحة القتال فى حال تعب ونصب من الطريق ، إذ كانوا مشاة على الأقدام طيلة طريقهم ، وكان الوقت حارا شديد الحرارة والناس فى أشد التعب لذلك ، ولما دنى بعضهم من بعض سرعان ما انهزموا وبلنهم فريق واحد تعم الهزيمة الكل ، فكان الأمر كما قيل إنهم هلكوا كلهم إلا ما شاء الله •

أخلاق أحمد بن سعيد وصفاته

كان لأحمد بن سعيد أخلاق حسنة عرف بها ، وصفات اتصف بها ، والأخلاق الجميلة في الزعيم أيا كان تضعه على هامة النفوس ، بل على قلوب الرؤوس ، وأى رئيس يكون في الأمة ، ولم تكن له أخلاق حميدة ، سرعان ما تنفض الناس من حوله . قال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام : (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) ، وصفه بصفة كانت مدحا عظيما له ، إذ قال : (وإنك لعلى خلق عظيم) .

قال ابن رزيق : إن امرأة بشرته أنه يكون إمام عمان ، فلما صدقت بشارتها أبقى لها في نفسه ما يرهاها به ، لكنه أدركها ميتة ، فأجرى لذريتها فريضة مكافأة لها ، وكذلك العجوز التي اختفى في بيتها بينقل من الظاهرة أبقى لها مقاما هاما ، وكان أراد أن يعلم ود قومه له ، ومحبتهم له ، فخرج في خفية ولم يعلم به أحد ، وأشيع أنه لا يعرف في أى مكان أو أنه ميت ، فلما بلغه ثورة بلعرب بن حمير ، خرج فأحس من قومه الإصرار على أوامره ، وعلم أنهم ثابتون على ولائه محافظون على زعامته عاضون عليها بالنواجذ ، كما أكر الجبور الذين جاءوا إليه ، حين زحف عليهم سيف بن سلطان في حصن صحار بسفنه لإخراجه منها ، وأصلحو الحال بينهما بجعل ولده هلال بن أحمد ، عند سيف بن سلطان ليطمئن من منافسة أحمد بن سعيد له ، فكان معه حتى وصول العجم الى خورفكان ، ثم أخصه .

وقد صاهر الجبور المذكورين تالفا لهم وتقريبا لهم حين رأى منهم ما سره ، وأكرم صالح بن صباحية من أهل حوائر الوادى من نزوى ،

وجعل له الرئاسة على قومه لأجل ضيافة كانت منه له في نزوى ، وكان يحل الأعيان ويحترمهم ويوقر الصغير والكبير ، أكثر من توقيرهم إياه ، وكان اذا أراد الخروج من الرستاق الى بركا يأمر أن تصنع له حلوى في الرستاق ، ولعلها كانت لها شهرة ، وكان اذا جاء نزل بنعمان فيقيم فيها يومين أو أكثر ، فاذا نزلها جاءه أولاد الفقراء والضعفاء والمساكين ، فيعطيهم من تلك الحلوى ، فيذهبون بها الى أهليهم وهم مسرورون منه وكذلك أهلهم ، وهذا يعم سكان المنطقة من حد حى عاصم في الشرق الى الحفرى في الغرب ، ثم تأتية رعايا بركا للتسليم عليه ، وكذلك أهل السيب الى المصنعة ، فيستقبلهم ببشاشة وطلاقة وجه وحسن التفات ، ويقضى لهم حوائجهم ثم يتوجه الى مسقط ، فاذا جاء روى نزل بها فيمكث فيها يومه ذلك .

وبالصباح الباكر يتوجه الى المطرح فتصطف له أهلها على الطريق من منطقة سيح الحرمل الى ثغر المطرح ، فاذا وصل الى المطرح نزل في بيت بالدكة ، فيأتيه بنو حسن للتسليم عليه أولا ، ثم يتبعهم اللواتيا ، ثم بنو زراف ، أما بنو حسن لكونهم أهل البلد وأما اللواتيا وبنو زراف ، لكونهم تجار البلاد ، فهو يراعيهم لذلك ، ويرعى لهم أحوالهم هنالك ، ثم يتبعهم بقية أهالى المطرح ، فاذا تم أهل المطرح توجه الى مسقط في القوارب التى تجر في البحر .

فاذ وصل الجريزة أطلقت المدفعية طلقات من الصيرتين ومن الكوتين ، ومن المراكب الراسية في البحر ، فلا تسمع إلا دوى المدفعية في جبال مسقط تتردد لها زجل عظيم ، فيبرز للناس في الجريزة فتأتيه الناس زرافات ووحدانا حتى اذا انتهى استقبالهم ومقابلتهم ، دخل بيته بالحريزة ، وكان واسع الصدر كثير البذل ، جم النوال معطاء

مبذالا ، كما يلزم وفوق اللازم ، ذا تواضع وتؤدة وحلم والتفات الى المرعيا ، ويذلك غرس حبه فيهم ، وأطبقوا على تعظيمه ، وتهافتوا على طاعته ، كان صبورا على كيد العدو لا يتأثر من الخلاف والشقاق ، واذا رأى الفرصة لم يضيعها ، شجاعا مقداما لا يبالي بالعدو كيف كان موفقا في غالب أحواله .

وذكر ابن رزيق له أسرار الله أعلم بصحتها ، وكرامات قبل أن يتولى الأمر ، وهى دالة على توليته ، ولقد أحسن إدارة شئون الوطن والبلاد حين أمنت واطمأنت ، وسكنت .

قال الإمام السالمى رحمه الله : كانت أيامه أيام راحة واستراحة بعد الفتن والمحن .

قلت : وكانت له همة عالية فى بناء مجد عمان ، وإعلاء شأنها .

قال ابن رزيق : لقد حاز أحمد بن سعيد قصب السبق فى مكارم الأخلاق ، توفيقا من ربه الخلاق ، فقد ساولى بين الغنى والفقير ، والبصير والضير ، ورعى رعيته بإحسانه ، وأقر أعينهم بمكين مكانه ، فهو فى الكرم آية ، وفى الشجاعة غاية ، لولاه لصارت عمان وأهلها فى حكم العجم ، وأضحوا هم الملوك وأهل عمان لهم خدم ، فجرع أكثرهم كأس الحمام لما أحاطوا بصحار ستين ألفا أو يزيدون فى المقدار ، صالحوه لما رأوا عزمته أحد من السيف البتار ، ورجعوا الى بلادهم أذلة بعد العزة ، وأخرج من كان بمسقط الى بركا ، فقضى عليهم فيها .

وكان ولى خلفان بن محمد بن عبد الله البوسعيدى شئون الخراج

بمسقط ، وولى خميس بن سالم شئون العسكر بمسقط ومطرح ، وولى حسن الصرهنج على مراكز السلطنة ، وولى القضاء بمسقط الشيخ محمد بن عامر بن عريق العدوى المعولى من أهالى حلة المطلع من أفى ، وولى قلم الحسابات رزيق بن بخيت بن سعيد بن غسان ، جد المؤرخ حميد المعروف بابن رزيق ، ورتب أعمال السلطنة أحسن ترتيب ، يتناسب مع العصر ، واشترى العبيد الزوج ألف عبد من الزوج ، وألف عبد من النوبان ، وأسكنهم الرستاق ، وأضاف اليهم من العمانيين ألف جندي ، جعل الجميع بالرستاق إذ جعلها هى العاصمة ، وجمع الخيل والإبل المدودة لمهمات الدولة بالرستاق ، واتخذ أربعة أعلام خاصة به تنتشر على موكبه عندما يتحرك لهم ، اثنان رأسهما من ذهب ، واثنان رأسهما من فضة ، واذا خرج الى مكان خرج بأهل العلم الموجودين معه من مشاهير العلماء .

وكان لا يطيل بمسقط بل كان لا يتم شهرا فيها وفي كل مرة يتفقد حصونها ، وما بها من عدة ، وما يلزم لها من مؤونة ، ثم يمر على الفرضة عند خروجه من الحصون ، وينادى أن كل ما نزل هذا اليوم بالفرضة لا عشور عليه قل أو كثر ، وكان دخل الفرضة التى تعرف الآن بالجمرك قدر ثلاثة لكوك صافى المصاريف كلها ، ويرتفع أحيانا الى خمسة لكوك ، وكان له عسكر كثير فى المراكز المهمة والعثور المنظور إليها رعاية لحفظ المملكة من هجوم العدو المباغت ، فإن الحزم هو الحفاظ وهو سور المملكة ، وكان أكثر عسكره بالرستاق حيث هو بها وهو المقصود بالذات من ناحية الأعداء ، ثم بصحار لأنها فى وجه الغازى ، ثم فى مسقط لأنها الميناء المهم .

قال الإمام : وأعطى الملكة حقها ، وعدل في الرعايا ، قال الأمير شكيب : أحسن التدبير ، وسن للمملكة قوانين مالية وتجارية ، واستبقى لنفسه إمارة الجيش البري ، وعهد الى رجل من خواصه بنظر الأسطول ، ونظم جيشا دائما .

قال الإمام السالمى : أعطى أحمد بن سعيد الملكة حقها ، والمعنى صان البلاد وحماها ، واحتمل على كاهله أهم الأمور ، وهو عداء العجم ، وكان حكيما في أعماله يعلم أن بغض العجم قد تغلغل في قلوب أهل عمان ، وعم ذلك البغض اليعاربة الذين جاءوا بهم الى عمان لغير موجب إلا التنافس الضار ، وما من أحد يجز عدوا على وطنه إلا كان لدماره غارسا لما يقلعه من أرضه ، فإن غرس الشجر لا يكون ظلا لغارسه ، ولا يثمر إلا الذعاف له ، وهذا أمر جربته الأمم قديما وحديثا ، واذا أراد الله أمرا هيا له أسبابا ، وكان أحمد بن سعيد ممن بعثه الله لحفظ الوطن في تلك الأزمنة ، وليلعلم أهل عمان أن الأمر اذا لم يعضده الدين والإيمان سرعان ما ينهار .

فإنه لما كان الإمام ناصر بن مرشد الرجل المؤمن أيده الله وصره وشده عضده ، وقوى عزيمته ، ثم جاء بعده أولاد عمه الذين خلفوه على الأمر يحملون تيجان الإيمان وأعلام الرشاد . أصبح العمانيون يضعون رعوسهم لهم لوقايتهم من الأسواء ، ويفقدونهم بالأرواح . ولما جاء سيف بن سلطان على خلاف ذلك خرج منه كالشعرة من العجين .

أحمد بن سعيد يناصر الدولة العثمانية على العجم بالبصرة

كانت الدولة العثمانية مدت أيديها الى الشرق العربي ، وكانت البصرة من جملة ما تولته تلك الدولة ، فزحف إليها من الإيرانيين جحفل ضخم اصطلمها من أيدي رجال الدولة المشار إليها ، وحيث ذلك الوقت بزغ فيه الطالع السعيد لأحمد بن سعيد ، وشاع له صيت بلغ مسامع الدولة العثمانية ، فطلبت منه المساعدة على الفرس المحتلين للبصرة .

قال أمير ابيان : استولى العجم على البصرة ، فذهب أحمد بن سعيد بعشر سفائن حربية تجر عددا كبيرا من القوارب ، حمل عليها عشرة آلاف مقاتل .

قلت : وفي بعض الروايات ثمانية عشر ألف مقاتل ، وقائد الحملة هو ولده هلال بن أحمد .

قال شكيب : وهزم الإيرانيين ونصر الدولة نصرا مؤزرا ، قال : فسرت الدولة منه وأجرت له راتبا سنويا كان لا يزال يتقاضاه أئمة مسقط الى أواخر القرن التاسع عشر ، قال : ومن جملة أسطوله طراد اسمه الرحمانى ، هو الذى كسر سلسلة الحديد التى وضعها الإيرانيون فى شط العرب لمنع أسطول عمان من الدخول الى البصرة ، فأرسله أحمد ابن سعيد الى مانغالوا فى جنوبى الهند سائلا عن السبب فى حجز مؤونة الأرز التى كانت ترد عمان كل سنة ، قال : فاستقبل تيبو عامل السلطان أعلم من فى مملكة غرناتيك مندوب عمان بكل حفاوة ، وأخبره أن السبب فى ذلك هو من متلصصة البحر الذين هم بساحل المالابار ، قال : فقصدهم الطراد الى ديارهم ، وقتل زعيمهم ، أى وبعد ذلك تأدبوا عن الاعتراض للمارة فلله در أحمد بن سعيد .

الظاهرة وأحمد بن سعيد

كنا قلنا تحت عنوان أحمد بن سعيد وزعماء بنى غافر ، إن بنى غافر لما كانوا عاشوا تحت علم محمد بن ناصر ، وكان محمد بن ناصر بحيث لا يخفى مقامه في وقته ، حتى بلغ درجة الإمامة ، وكانت بمسالته مضرب المثل في عمان ، وكان النصر حليفه في كل وقعة ، وكان يباشر الحرب بنفسه ، ولم تعرف له قط كبوة ، ولا لسيفه نبوه ، حتى عظم قدره وعلا ذكره .

وافترقت عمان بينه وخلف بن مبارك الهنائي ، وتغلغلت العداوة وخصوصا في قلوب المغلوبين ، حتى شاع ذلك وذاع ، ولما مات محمد ابن ناصر ، وخلف بن مبارك قتيلين بصحار ، واعتقل بالأمر من جاء بعدهم بقى في نفوسهم ما بقى مما خلفه المذكور ، ولذلك قاموا ببلعرب ابن حمير حين رأوا أحمد بن سعيد يتقدم على حصون عمان ليتولى ملكها .

ثم كان الأمر على خلاف رغبتهم ، وكانت حركتهم مزيجا من بنى غافر واليعاقيب ، ومن اشتمل عليهم من دروع وظواهر وبنى قتب ، وبنى كليان ومن إليهم الذين كانوا أنصار محمد بن ناصر ، وكذلك النعيم ، وبنى ياس وهؤلاء تألبوا على أحمد بن سعيد ، وباينوه بالعداء وانهمزوا في وقعة فرق ، ورجعوا وقلوبهم حامية حقدا على أحمد بن سعيد ، ولذلك تألبوا عليه من امتلاك حصون الظاهرة ، وقصدهم أحمد بن سعيد ، فلم ينتصر عليهم ، بل انتصروا عليه ، وبذلك نهجوا الى غير عمان ، وتعلقوا بأناس آخرين حتى تبدلت جميع صفاتهم وتركوا قوميتهم الى قومية أناس آخرين ، لأن قلة العلم وغلبة الجهل وإشتعال الحقد في قلوبهم أثمر تغيير أفكارهم ومعتقداتهم وأخذ بهم الى موالة غيرهم

فعم ذلك وبعد حين أكثر قبائل الظاهرة الى ما شاء الله • ولم يزل يسرى فيهم داء الجهل والفوضوية حتى أنه لم يعرف في الظاهرة بعد الدولة اليعربية عالم ولا حتى متعلم أو متخلق بإخلاق المتعلمين • ونتيجة لفوضويتهم وجهلهم أضربوا عداء للسلطات العمانية التي هي جامعتهم ، ولكون الجهل يسرى فقد لحق بأهل الظاهرة أهل جعلان التي خرج منها أول عالم جليل هو ، منير بن النير الجعلاني وبإختلاطهم مع بعض أهل الظاهرة ونفورهم من أبناء خلوتهم ، خيم عليهم الجهل فأصبحوا لا يعرفون من معتقدات الدين الاسلامي شيئاً فأورثهم جهلهم فوضوية مطلقة ، ومع تأكدهم أنهم فقدوا العلم والمعرفة فقد أصروا على ما هم فيه من جهل ونعرات جاهلية ، لذلك فقد تغير الوضع العماني من أقاليمه وأصبح الأفق العماني وعليه غبار الجهل والضلال ، فإنهم أصبحوا أنصار الباطل من أول يوم وقعت فيه حرب بلعرب بن حمير بفرق • ثم قام أحمد بن سعيد فقبض على شيوخهم فزادت النفرة ونأت النفوس الى حد بعيد • ثم زاد الطين بلة ، الواقعة التي وقعت بينهم وأحمد بن سعيد التي لم يخططها تخطيطاً كاملاً • لذلك لم ينتصر فيها أحمد بن سعيد ، فلذلك ابتعدوا عن دولتهم العمانية وبقيت فيهم نخوة بنى غافر ومعرفة النفوس فيها ، وفيمن انضاف إليهم وتفرقت الوحدة الدينية الى مذاهب شتى ، إذ لم يكن بعمان سابقا الى هذا العهد الذي ذكرناه غير وحدة علمية دينية قديمة واحدة • وقد عانت السلطنة العمانية من هؤلاء الفوضويين ذوى النعرات الكثير ، الكثير • وأصبحت الظاهرة بابا لغزاة عمان وأصبح العراك مستمرا بين الغزاة والسلطات العمانية حتى عهد قريب •

قال أمير البيان : وكانت بلاد الظاهرة بمكانتها من الداخلية لم تخضع تماما لأحمد بن سعيد ، وكان علو الكلمة لبنى غافر • قال : فنثار منها أحدهم وهو ناصر بن محمد ، أى ولد الإمام الآنف الذكر • قال : واشتعلت الحرب بينه وأحمد بن سعيد • قال : فساق إليه هذا عساكر

من العمانيين فانكسروا وأخيراً تصالح الفريقان على أن تبقى الظاهرة في يد بني غافر ويعترفوا بالسيادة للإمام أحمد .

ومضى الحال على هذا غير مرضى من الجانبين ، بل كل في نفسه على خصمه . قال ابن رزيق : وسبب حرب الإمام أحمد بن سعيد ، وناصر بن محمد الغافري ، أن ناصر بن محمد كان من دهاة العرب ، وكان صاحب أموال ورثها من آبائه ، وكان له مال جزيل حيث تولى البحرين من الإمام الطيب الذكر سلطان بن سيف اليعربي بعد فتحها من العجم ، كما قدمنا ذكرها في كلام على هذا الإمام ، ولما مات الإمام المذكور رحمه الله ، ووضع النزاع بين اليعاربة بعمان ، اغتتم العجم الفرصة ، فزحفوا على البحرين بجيش ضخم ، أحاطوا بالوالي المذكور وحصلوه ، وظال الحصار ، واستمرت الحرب ، وناصر قابض على الأمر بيد من حديد ، ولا يزال ينتظر نصره الدولة ، فتأتية فتفرج أزمته والدولة أصبح داؤها في جسمها ، ويعالج جروح روحها ، فأنى تكون نصرتها لوالي البحرين

وقد حاول العجم فزول ناصر بن محمد من قلعة عراد التي بناها العمانيون ، ولم يقدروا على ذلك ، وأرسل العجم الى ناصر في صورة الناصح أن الإمام قد مات ، وأن اليعاربة الآن في خلاف ونزاع فيما بينهم ، وأهل عمان منقسمون أيضاً كل مع واحد والاضطراب سار فيهم ، فخذ ما شئت من المال ، ولا عار عليك في ذلك ، فلم يصنع إليهم أولاً ، ولما طال العهد ، رأى أن لا بد من الخروج ، لأنه لا ناصر له من قومه ، فصالح العجم على النزول على ما بيده من المال ، وما يدفعونه له ، وكان قد جمع أموالاً طائلة ، إذ بقى مدة على ولاية البحرين ، وخراج البلاد كله إليه .

فخرج من البحرين وسلمها للعجم ، وجاء الى عمان حتى جاء الغبي ، وكانت هي كرسى الظاهرة ، وبها واجهة أكثرية الظاهرة ، وصار

هو الرئيس عليهم ، فطلب منهم أن يبنى بيتا في العينين على رعوس الأفلاج ليكون لهم حصنا ومرجعا ، وليسيطر به على الغبى وغيرها ، فلم يسمحوا له بذلك ، وبقي يفكر في الطريق الذى يتسنى له به مطلبه ، حتى اذا صار الأمر الى الإمام أحمد بن سعيد ، وزال الأمر عن اليعاربة ، وقع اتصال خاص بين الإمام أحمد ، وناصر بن محمد ، حتى صاهر الإمام ناصرا ، والتحم الصفر والحديد بعضه ببعض .

وبذلك رأى أهالى الظاهرة أن الأمور جاءت منقادا الى ناصر بن محمد ، فإنه ابن الإمام المعروف ، وأنه الغنى الموصوف ، وتلك أهم مؤهلات الزعامة ، وكان ناصر المذكور كما هو معروف من دهاة العرب ، فعند ذلك قال ناصر للإمام : على أى شىء تركت حصن الغبى بيد غيرك ؟ قال له الإمام : أنا لا أحب الفتنة ، فقال ناصر : بينى وبين أهل الظاهرة ، فقال ناصر : وأى فتنة وأنت إمام عمان كلها ، فكيف لا تكون الغبى من حملة ممالك عمان . قال الإمام : لا أحب الفتنة بينى وبينهم ، وبالأخص لما صرت أنت صهرى ، وقدموك عليهم فصرت الرئيس عليهم ، فقال ناصر : أرى أن تقبض حصن الغبى ، فاذا قبضته لم يبق لك عدو يقدر على إظهار عداوته لك من أهل الظاهرة كلها اذا كانت الغبى هى المركز المهم فى الظاهرة ، ولا يهولنك الأمر ، فأنا أقبض الحصن وأقبضه من تريد من الولاة ، فوافق الإمام على ذلك ، فأرسل معه محمد بن عمير البوسعيدى فقبض ناصر حصن الغبى ، وقبضه الوالى المذكور بدون منافس .

وقال ناصر للوالى : لا تهتم من أهالى الظاهرة ، ولا تهتم من أهالى الغبى ، فأنا أكفيك أمرهم وعندى المال والرجال ، وهذا كله مكر

وخداع ، فلما أحس أهل الظاهرة بحر الإنصاف من الوالى المذكور ،
وخصوصا جبابرتهم وعاتتهم الذين تعودوا أن يسيروا كما يهون ، وجاءوا
الى ناصر بن محمد يشكون أمر الوالى ، فقال لهم ناصر بن محمد : والله
ما صنع فيكم غير العدل والإنصاف ، ولكنكم يا أهل الغيبى لا تحبون العدل
بينكم ولا الإنصاف منكم ، وكل من صار لكم محبا صرتم له أعداء ، أردت
أن أبنى بيتا فى العينين بعالى لا بمالككم ، وفى أرضى لا فى أرضكم ، ليكون
معقلا لعزكم ، فأبئتم وأنا حالى حال الإمام أحمد بن سعيد ، فمن أطاعه
منكم فهو محب لى ، ومن عصاه منكم فأنا عدو له .

ولم يزل ناصر بن محمد بن ناصر يتردد على الإمام ويدخل معه
ويكثر المسير اليه ، وقد اصطفاه الإمام وأعلى مقامه عنده ، وهو يدرس
له جبابرة الظاهرة فردا فردا ، ويشير اليه بقيد من يريد له قييدا منهم ،
فلما رأوا تقدمه مع الإمام ، ورأوا تأييد الإمام له ، وكيف لا يؤيده
الإمام وقد تقدم اليه بحصن الغيبى أكبر حصن فى ذلك العهد

فحينئذ تراجع القوم ، وقالوا فى أنفسهم : إن ناصر سيقهرنا قهرا
بالإمام والأولى إرضاءه ، فجاءوه وقد سرى الضعف فيهم فقالوا : ابن
ما شئت أن تبني نحن غلطنا فى منطك حسب المفهوم . فقبل ذلك منهم
وشرع فى البنيان ، ولما أكمله وسكن فيه ، وحط فيه ثقله خرج الى
الإمام ومعه بقية الذين يخشى منهم .

وقال : للإمام ما بقى من يخشى منه الخلاف لك ، ولا بقى خصم
فى الظاهرة إلا هؤلاء القوم الذين جئت بهم إليك ، وأخبره بأسمائهم
واحدا واحدا فاحبسهم وقيدهم ولا تطلقهم حتى يهلكوا فاذا هلكوا

انتقادت لك الظاهرة كلها ، ففعل الإمام ، وكان مستصفا له . واذا به يعمل لنفسه بإهلاك معانديه ، فلما رجع عن الإمام وبلغ الى مكان يسمونه دفع الأودية وهو مضيق بين الجبال قال لجماعته : إن الإمام لا يجب إلا هلاكنا ، فإنه ما احتشمني لما أتيت به ببقية الحسين فلان وفلان وعدد أسماءهم فقيدهم وهربت أنا عنه خوف أن يقهرنى معهم فى غفلة منه ومن رجاله ، والآن عزمت على حربه ، فهو بهذا مكر بجماعته إذ ساقهم الى الإمام ليقيدهم بدسيسته ، ويقضى عليهم انتقاما له حين عارضوه ، ثم مكر بهم هنا قائلا لهم : إن الإمام يريد يهلكنا ليكونوا فى جانبه ، وقد بلغ مراده من الإمام ومنهم .

وهذا من جملة دهاه الذى عرف به ، ولكنه يفكر لعل يوما ما تكشف عن هذا فيكون وبالا عليه من الجانبين ، وقال لهم : إن كان حالكم حالى فابنوا بروج واديكم ، وشنوا الغارات على الرستاق ، فأنا معكم بالمال والحال ، ولقد كفانا ما أتانا منه ، فأجابوه على ذلك ، إذ الظاهر كما يقول والغيب لا يعلمون عنه شيئا ، فبنوا بروج واديهم بغاية السرعة .

ولما رجع الى الغبى قال لأهلها كذلك ، ولما أجابوه على حرب الإمام كتب الى ابن رحمة الهولى بوصوله اليه للمفاهمة ، وأن يجىء بقومه ، ولوح له بإشارات من كيدته ومكره ، فجاء المذكور ومعه قدر خمسمائة رجل ، فعند ذلك أمر أهل الغبى بمناوشة الوالى ، وأن يبينوا له خلاف ما كانوا عليه ، واجتمعوا بالعينين للمشورة على حرب الوالى إن خالفهم ، ولما احس الوالى الخلاف من أهل الغبى ، وكان ناصر هو المتعهد للإمام بمناصرة الوالى ، وبلغ الوالى أنهم مجتمعون بالعينين

سار إليهم لشكوا لهم ما سمع وما رأى ، فدخل عليهم ، واذا بهم على شوكة حرب ولعله ظنهم عليه لا معه .

قال لناصر ما الذى عزمت عليه أنت ، وجماعتك بهذا الاجتماع ؟ قال : لقد عزمت أنا والجماعة على حربك اذا أبيت الخروج من الحصن وتسليمه الى ، فمن أنذر فقد أعذر ، فقال الوالى : أريد منكم المهلة ثلاثة أيام ، إما سلمت إليكم الحصن ، وإما بادرتكم بالحرب ، فقالوا له كلهم عن لسان واحد : ذلك لك . فلما رأى الوالى أن لا طاقة له بحربهم سلم الحصن إليهم ذلك اليوم ، لأنه تحقق ألا يقدر على عمل أى شىء وهو بين ظهورهم ، وإمامه بعيد منه ، فخرج كما دخل ولم يفكر ناصر ابن محمد أن وراء الوالى إماما حاكما قويا ، لكن فى نفس ناصر أنه أقوى من الإمام فى الظاهرة ، وأن الإمام لا يفعل شيئا مهما فى الظاهرة ، فإن قواته التى يقوم بها من عمان وأهل عمان الشرقية لا يهتم منهم أهل الظاهرة لبعد الشقة ، وكون الطرق فى أيدي غافرية الظاهرة ويرون من أصعب الأمور حرب الظاهرة .

أحمد بن سعيد يجهز ولده هلالا لحرب الظاهرة

لما وصل والى الغبى الى الإمام أحمد بن سعيد وأخبره عن
المواقع ، وأن زعيمهم الذى كان الإمام يعتمد عليه أصبح هو عميد
العدلوة ، وأن أهل الظاهرة جعلوه رئيسهم ، استغرب الأمر واستعظمه
حيث لم يكن منه فى حق ناصر أصبح إلا إمضاء رغبته ، وإمتثال أمره ،
وهو الذى طلب من الإمام أن يقبض حصن الغبى ، وهو الذى أشار
على الإمام بقبض أولئك الشيوخ الذين جاء بهم ناصر الى الإمام أحمد
ابن سعيد ، وأشار عليه بقتلهم ، وأنهم هم المحذورون فى الطرف
الظاهرى ، وبصرفهم يستريح من نوازل الظاهرة .

ولما حصل المطلوب وأصبح ناصر معاديا للإمام أحمد بن سعيد بغير
موجب ، ففتين أن له غرضا خاصا ، وليته لما أراد ذلك أبقى صحبة
الإمام قوة له وسندا يعتمد عليها فى سواد الأمة ، وساس الأمور بغير
هذا العداء السافر ، فأين الدهاء الذى عرف به ، ولكن هزة المال تجلب
للنفس العطب .

ولو قال للإمام إن عاملك رأينا لا يصلح لسياسة الحال الحاضر
فى الظاهرة ، ونحن عمالك والحصن نحن سلمناه إليك ، ونحن هنا منك
وإليك وعندما تأمر بأمر فنحن نقوم به إن شاء الله ، ولكن الإمام يقبل منه
ولو تحقق فى الباطن أن الرياح منه والمطر منه ، إلا أن الأحوال تكون
مستورة عن سواد العامة ، وإن كان ظن أن أهل الظاهرة يتهمون به بقتل
الشيوخ الذين سعى هو بقتلهم عند الإمام ، فإن الظاهر يعبر عن الواقع ،
أن الإمام هو الذى قتلهم ، فلا تعلق لهم بناصر بن محمد بن ناصر
المذكور إذ هو بنفسه خرج هاربا من الإمام كما يزعم ، ولكن أبى الله

إلا ينكشف غدر ناصر للإمام والناس ، فعند ذلك جهز الإمام أحمد بن سعيد قوته للزحف على هؤلاء في دفع (١) الأودية أولا ليزيل ما هناك من شوك الشر الذي قام به ناصر بن محمد ، وجعل ولده هلالا القائد لهذا الجيش ، وكتب لمحمد بن سليمان بن عدى اليعربى والى نخل ، أن يذمر له رجالا من نخل ينصافون الى هلال بن أحمد ، ويكون أميرهم محمد ابن حمير اليعربى ، واستدعى أيضا قبائل الشرقية الى جعلان ، وطلب نجدة من بلوش مكران ، ومن الزردجال .

وأثار الإمام الكتائب من جهات عديدة ، ومضى هلال بن أحمد يقود القوات المتجمعة مع الإمام ، حتى أتى دفع الأودية وهو المضيق المهم فلم يقدر بنو غافر على الدفاع (٢) عنها وهرب القابضون لتلك الأبراج التي حصنوا بها ذلك المضيق ، فقبضها وقضى عليها ثم جاء القرطى وهو لبنى شكيل ، وكان بنو شكيل من أنصار ناصر بن محمد بن حمير يناصرهم فانقادوا له ، وأتى بهم الى القائد هلال بن أحمد .

وعندما وصلوا اليه وقد أعطاهم محمد بن حمير الأمان إذ سلموا حصن القرطى الى القائد هلال ، وإذ ذاك وثب عليهم من قتلهم جميعا ، وكانوا اثني عشر رجلا يلقبون أولاد فرخ الرياح ، وكلهم أولاد عم ، وهم أخص الخاصة من بنى شكيل ، وأخص أنصار ناصر بن محمد الغافرى ، فحمل بنو غافر قتلهم على محمد بن حمير اليعربى ، وأضمرُوا العداوة لمحمد بن حمير وأقاربه ، وبقوا في حقد متقد لم يبرد حتى قتلوا سيف ابن مالك بن سيف اليعربى في نفس القرطى .

(١) اسم مكان معروف .

(٢) المثل الشائع يصدق هنا اذا جاء موسى والقى العصا الخ .

وقضى هلال بن أحمد أيضا على حصن القرطى وهذه القضية هي التي يشير اليها الشيخ أبو نبهان ، ورجع هلال بن أحمد الى أبيه منصور وغانما من هذه الحملة ، حيث قضى على القوة رجالا وحصونا ، وكان الإمام أحمد بن سعيد بصحار ، وقد اجتمع معه جحفل ضخم ، وجيش جرار من شرق عمان كلها ، فخرج بهذا الجيش على طريق الظاهرة ، وجاء على طريق السليف ، وكان الوقت حارا شديدا إذ كان وسط القيظ ، فمضى حتى سيح الطيب والقوم في تعب ، إذ أكثرهم مشاة ، فدارت رحى الحرب بينهم ، فانهزم جيش الإمام إلا الزدجال ، وآل وهية والبلوش ، حتى قتل هؤلاء كلهم جميعا ، ولم يفلت منهم أحد .

وهذه الواقعة تعرف بوقعة سيح الطيب ، أفنت رجالا عديدة ، وهلك المنهزمون بالعطش ، لأنهم غرب لا يعهدون الموارد ، وتوجه الإمام وولده منفردين لا ثالث لهما على طريق نجد الحديد الى نزوى ، وتفرق ذلك الجيش كله كما يقولون شغر بغر ، ولم ينج منه إلا من لاذ بالغبى ، فإن ناصر بن محمد أكرمهم وسيرهم الى أوطانهم بحال السلامة .

أحمد بن سعيد يشن الحرب على نخل

كان بنخل محمد بن سليمان اليعربى على اتفاق هو والإمام أحمد بن سعيد ، وتعهدا إلا يخون أحدهما صاحبه ، وكان من أولاد الإمام أحمد بن سعيد سيف وسلطان أرادا أن يتوليا الأمر على أبيهما ، وحاولا حصن بركا .

قال ابن رزيق : كان ولدا الإمام أحمد بن سعيد سيف وسلطان مستكفين عن طاعة والدهما الإمام أحمد بن سعيد ، يحاولان انقياد الرعية إليهما دونه ، فأرادا أن يقبضا عليه حصن بركان ، فمكثا في حصن نعمان أحد حصون بركا وهو محل إقامة الإمام في بركا ، أى يتحينا الفرصة لحصن بركا ، فمكثا في نعمان ثم بعثا الى سيف بن سلطان اليعربى بنخل ، إذ كان نائبا لمحمد بن سليمان في نخل حال غيابه الى وادى بنى خروص طلبا أن يرسل إليهما مائة رجل من أهل نخل ، فلما وصله كتابهما لم ينتظر عودة محمد بن سليمان من وادى بنى خروص ، ولم يشاوره في هذا الصدد ، ولعله ظن أن ذلك عن اتفاق بينهم ، فقام بطلبهما وذمر الرجال ، وجعل القائد عليهم رجلا من أهل حلة العتيك اسمه خنجر بن سعود .

فلما وصل خنجر بن سعود بقومه من أهل نخل ، قام الأميران سيف وسلطان واقتحما بهم حصن بركا ، وما شعر قابضوه إلا والمقوم معهم في الحصن ، ولما علم أهل الحصن أنهما أبناء الإمام لم يكثرتا منهما ، ولعلمهم ظنوا أن الإمام أمرهما بذلك خوف عدو تخشى مباغته هجومه ، وكان أحمد بن سعيد إذ ذاك بالرستاق ، فلما بلغه الخبر استنكر الأمر من ولديه اللذين يرجو أن يكونا له عونا على عدوه ، وإذ بهما يقتحمان

على الأمر منافسين له ، ولعله غرة الشباب وسورة الملك حركتهما ، فإنه
كما قيل لا يلد الأسد إلا أسدا ولا تلد الحية إلا حية •

وعند ذلك توجه الإمام أحمد بن سعيد بوجه حنق على فعل ولديه
المذكورين ، فأحاط بحصن بركا وطوقه بالجيش وحصره حصرا حارا ،
وأطلق عليه مدفعية ثقيلة ، ولم يزل الحصن يتحطم من ضرب المدافع
حتى كاد أن يندك وهما فيه ، ولم يقدر أحد أن يقترب منه لشدتهما ومرارة
صبرهما تحت غبار رصاص المدافع الداوي كالرعد في صعقاته ، حتى
استأذن القضاة الذين صحبوا الإمام من الرستاق ، سألوه الإذن في
الدخول عليها لإلقاء النصح لهما ، فدخلوا عليهما ونصحوهما وبينوا لهما
أن الله لا يرضى عليهما ولا يوفقهما ماداما معادين لأبيهما مخالفين
لأمره ، فأثر نصحهم في الرجلين وامثلا أمر والدهما وخرجا من الحصن
الى أبيهما •

وأخرج أهل نخل الى نخلهم ، وعفا الإمام عن ولديه وأعرض عن
أهل نخل ، ولكنه أضمر العداوة لمحمد بن سليمان واتهمه بالمواطأة لهما ،
واتفاقه معهما أما هما ، فقد قبل منهما عذرهما آملا فيهما عدم العودة
لمثل ذلك ، وأن الحركة التي أقاماها غلطة منهما ، وأما محمد بن سليمان
اعتقد فيه نكث العهد ، وعدم الوفاء بالوعد ، ولما علم محمد بن سليمان
بما كان من أهل نخل بواسطة نائبه ، ولم يملك من الأمر شيئا إذ السهم
ملك قصده ، ولم ير التوجه بعذره الى الإمام ، والحرب قائمة بينه
وبين ولديه على ساقها ، وهو يطلق المدافع على حصن بركا وأهل نخل ،
وبقى حائرا لم يدر ماذا يفعل •

ولما انتهى الأمر بنزول سيف وسلطان ، ورجع الإمام الى الرستاق

قام محمد بن سليمان يكاثبه ويعتذر له في ذلك بأعذار عنده ، فلم يقبل الإمام عذره ، والحقيقة أن طريق العذر غير معبدة ، وصفة العذر غير واضحة ، ولو كان ذلك كما يقول لنزل حالا الى الإمام وألقى ما عنده واعتذر إذ ذاك بما لديه من عذر ، أما كونه بقى ينتظر الأمر لمن يصير فاذا صار لسيف وسلطان فهو معهما بمقدمة رجاله ، أو صار للإمام توجه اليه بعذره أنه غير موجود •

فهذا العذر أو من من بيت العنكبوت ، وكل أحد يفهم العذر المشار اليه أنه واهى ، وقرر الزحف على نخل ، فجمع جيشا ضخما من السند ومن الزدجال ومن الرستاق ومن سائر بلاد عمان داخليا وساحليا ، فاجتمع له جفيل جرار ، وتوجه بهذا لنخل والحقيقة أن سيف بن سلطان هو الذى جر البلاء على نخل في هذه القضية والجاهل لا يبالي وقديما قيل :

وجرم جره سفهاء قوم

فحل بغير جارمه العذاب

فدخل الإمام نخل ولم تقاومه البلد ، إنما قاومه الحصن ، فوجه اليه المدافع ذات القنابل الوارية وقد ضرب الجيش معسكره في نخل كل في مكان ، أما الزدجال فعسكروا في بيت الشريحة الذى لبنى عزان فرقة من أهل نخل ، وبقية القوم انتشروا في نخل الى حوضين ، حتى لا يأتيتهم عدو يباغتهم على طريق عقبة الصخبرى • وكان الشيخ عبد الله بن صالح الرواحى رئيس بنى رواحة ، وشيوخ المعاول غير راضين بحرب نخل ، نظرا الى أن محمد بن سليمان ما أحدث حدثا يجب أن يعامل عليه بسخط •••

قلت : أما في نظر الإمام فإنه حدث هام حيث ساق عامله جيشا
لمنصرة ولدى الإمام أحمد بن سعيد .

قال ابن رزيق : فلما طال الحصار خرج الشيخ عبد الله بن صالح
بجماعته بنى رواحة الى بلدانهم ، وخرج أيضا شيوخ المعاول بقومهم ،
كذلك بغير إذن من أحمد بن سعيد ، وكان هو لما طوق الحصن بالحصار ،
وأمر بضربه بالمدافع وأحكم الرصد عليه توجه الى الرستاق للتدابير
اللازمة ، فكان خروج الذين خرجوا والإمام غير موجود بنخل ، وبقي
باقي الجيش على حاله يعيث في البلاد ، يقطع النخل ويهدم البناء ،
وبقتلع الشجر من أصوله ، وما أبقوا من النخل والشجر إلا قليل ، وأهل
البلاد هاربون منها وأرسل يطلب من زعماء الظاهرة المنصرة ، فلم يتحصل
منهم على مفيد ، ورجع بالخيبة .

ثم توجه الى النعيم وكان زعيمهم إذ ذاك شامس بن محمد بن بيات
الشامسى ، فأجابه بألف رجل من نعيم وبنى قتب ، فمر بهم على طريق
جبرين ثم على طريق وادى بنى رواحة ، وتسللوا في الوادى في حال
خفية وانقسموا جماعات وفي دفعات أيضا ، وتوجهوا للمطرح ليشاغلوا
الإمام في فكره ، وليشوشوا عليه في هذه الجهة المهمة ، وكان دخولهم
المطرح عن طريق عقبة مراح ، وهجموا البلاد ، ونهبوا وسلبوا وعاثوا
في البلاد كلها ، وانتهبوا السوق وحملوا أموالا على الأهالى والتجار ،
وتجهوا الى نخل فاعترضهم المعاول ، ولم يغنوا شيئا ولعلمهم لم يبذلوا
جهدا لأنهم خرجوا عن الجيش هم وعبد الله بن صالح الرواحى .

وكان جيش الإمام خرج من نخل زرافات ووحدانا ، وحل محلهم
قوم جاءوا لنصرة محمد بن سليمان من بنى غافر أعداء الإمام ، وجاء

قوم من بلدة الحزم التي هي تحت الرستاق ، ثم خرج أهل الرستاق ،
وأخيرا خرج الزدجال .

ولعل الإمام ببذل في حرب محمد بن سليمان وكان سيب فشل جيش
الإمام أحمد بن سعيد خروج عبد الله بن صالح والمعاول ، وبخروج هؤلاء
ترزعزع قرار الجيش ، وظل يتملص من نخل خارجا ، ولما وصل
الخارجون من مطرح ووصلت نجدة بنى غافر وأهل الحزم ، تقوى محمد
ابن سليمان وأحاط على الجيش المحاصر لحصن نخل ، فأحاطوا بأهل
الرستاق والزدجال ، ولما ضاق عليهم الحال طلبوا من محمد بن سليمان
أن يسيرهم بما عندهم من السلاح فوافقهم ، فخرجوا من نخل .

قلت : يتبين أن أحمد بن سعيد لم يجتد في هذه الحرب أولا لأنه
خرج وترك الجيش يبعث في البلاد ، ثم لم يعد عليه بعائدة ، ثم بلغه
خروج الخارجين منه ولم يرسل قوما يدلهم ، وعلم عن وصول المنصرين
لهم ولم يتحرك بشيء ما ، ومما يؤيد ما نتجراه أن السعاة لما رأوا
أحمد بن سعيد غير مجتد في حرب محمد بن سليمان ، سعوا بالصلح
بينهم على أن يبقى محمد بن سليمان مكانه ، وألا يخون أحدهما صاحبه ،
وانتهى الأمر في قضية نخل على هذا الحال .

ولعل الإمام أحمد بن سعيد في تراخيه عن حرب نخل خاف استفحال
الخطب بينه وبين المنصرين لمحمد بن سليمان من أهالي الظاهرة ، وكان
لكل عهد سياسة ، وكان أحمد بن سعيد السائس الأكبر المحنك المشهود
له بذلك في أحوال عديدة .

سيف وسلطان ابنا أحمد بن سعيد يحتلان مسقط

لقد سبق أن سيف وسلطان ابني أحمد بن سعيد احتلا حصن بركا بأهل نخل ، وقام والدهما أحمد بن سعيد عليهما ، فأخرجهما من الحصن بعد شدة ، وسلما أمرهما لوالدهما الإمام ، واصطاح الحال بينهما وأبيهما ، وظن الإمام أحمد لا يعودان لمثلها ، وإذا بهما يقتحمان على الحصنين الجلالى والميراني ، فقبض سيف بن أحمد الحصن الجلالى ، وسلطان الميراني ، وبقبضهما قبضا على ناصية مسقط ، واحتلاها وأخرجا من فى الحصنين من جنود أبيهما ومعهما الشيخ جبر بن محمد الجبرى ، وبعض الرجال فواجهما أهل مسقط من تجار وغيرهم وتمكنا من البلاد .

ولعل ذلك كان عن خيانة من القابضين والدراهم تفعل أكثر مما تفعله الجيوش ، ولما بلغ خبرهما أباهما أحمد بن سعيد هبط من الرستاق بجيش لا يزال مرابطا معه معتدا له دائما للحوادث الطارئة ، فلما دخل مسقط هم بضربهما بالمدافع ، وكان معه أخيار الرستاق ، وبالأخص هم الذين أخرجوهما من حصن بركا برضا أبيهما ، فساروا إليهما بصفة الناصح المشفق بالكل ، وصورا صلحا بين الطرفين ، هو أن ينزلا الى أبيهما مذعنين له ، وأن يبقى سيف مع أبيه فى حله وترحاله ، وأن يكون الحصنان فى أيديهما لا ينزعهما منهما ، ولا يرفع أيديهما عنهما ، فقبل الطرفان هذا الصلح والداعى لهما الى ذلك ، كأنهما أحسا بأن أباهما قدم عليهما ولده سعيد ، وتخيلوا ميل الناس اليه ، وقد ظهر هذا الحال بعد أبيهما وبقي الحال على ذلك سنة كاملة .

وبعده هبط الإمام أحمد بن سعيد من نزوى وولده سيف معه ، ولما وصل بدبد قيد ولده سيف وحمله الى مسقط مقيدا ، ولما وصلها هم يضرب الحصنين بالمدافع على من فيهما من العسكر أيا كانوا ، فقام الناس بينهما بالصلح على أن يسلما إليه الحصن الغربى ، ويبقى الحصن الشرقى فى أيديهما ، ويطلق الإمام ابنه سيفاً من القيد ، فأطلق ولا يلزمه ملازمة أبيه ، بل إن شاء سار ، إلا فعلى رغبته متى يريد المسير إليه لمقابلته .

ورجع أحمد بن سعيد من مسقط الى عاصمته الرستاق ورجع ولده الى بركا ، ونزلا حصن نعمان وكانا يقيمان فى نعمان غالبا ، ولم يزالا بعين الإمام ، وهما لم يحاولان أمرا لو نبا السيف دونه لما عيب .

وبناء على ما أشرنا إليه سابقا أنهما لحظا عطف أبيهما على ولده أرادا أن يعملوا به عمل إخوة يوسف بيوسف ، ليخلو لهما وجه أبيهما ، وكان المذكور تأثل أموالا بالبلد حبرى من وادى المعاول ، ولعل ذلك من جملة ما غاظهما ، فسارا إليه بصفة زائرين ، ومكثا معه يومين فقابلهما بكل حفاوة وجميل ، ولعله لم يتصور ما يريدان ، فطلب منه أن يصحبهما الى نعمان بصفة زائر لهما فوافقهما وخرج معهما ، فلما وصلا نعمان قيدها وحملها فى سفينة الى مسقط ونزلا بالحصن الشرقى ، إذ كانت فى أيديهما بالصلح المتقدم .

فلما بلغ خبرهما أحمد بن سعيد قام من الرستاق مغضبا ، ونزل مسقط بجمع كبير فأرسل إليهما أن يطلقا أخاهما المذكور ، فأبيا وأصرا على عدم إطلاقه ، وعند ذلك أمر على قابضى الحصن الغربى بضربهما بالمدافع ، ونصب على الحصن المذكور المراصد ، وهى السيب المحاصرة

له المحيطة به ، وأمر قادة المراكب أن تضرب الحصن بالمدافع من البحر ، فأطلقت النيران على الحصن الجلالى من كل جانب ، فلا تسمع فى مسقط إلا صعقات المدافع بشدة مريعة ، وبقياً فى حصنهما والمدد يصل إليهما من بطانتها ، فإن لهما بطانة ، ولكل أحد بطانة •

فكان أهل طيوى وأهل صور ومن معهم بسحبون لهم المؤونة اللازمة بأنواعها تمورا وأغناما وغيرها مما تدعو إليه حاجتهما ، حتى طالت الحرب بينهما وأبيهما ، فهرب أهل مسقط الى يتي وقريات وغيرها من الساحل خوفا من رصاص المدافع الذى ينتشر فى البلاد ، حتى تكسر جانب كبير من الحصن : فلما حاول الجنود الركضة عليه لم يقدرُوا ، إذ وجدوا رصاصا أحمر يخطفهم ، فقتل منهم رجالا فى حال زحفهم عليه ، وكان الشيخ الجبرى معهم ، فخرج الى الطرف الشمالى يستجيش أهل ذلك الجانب ، وجاء بجيش أميره صقر بن رحمة الهولى •

وكانت سياستهم تقتضى الإحاطة بالرستاق مادام أحمد بن سعيد محيطا بالكوت فى مسقط ، وأنه كان يغار على الرستاق كثيرا ، لأنه اتخذها عاصمة ووطنا ، فأحاطوا بحصنها ، وأرجفوا بها إراجافا شديدا ، فكان من القدر أن خان أحد الخدام فى الجلالى ، وأهبط سعيد بن أحمد الى أبيه بحبل من الكوت يحمله على ظهره •

وكان الخادم قويا ويعرف بابن منح فجاء بسعيد الى أبيه ، ولما أصبح الصباح تحققا هرب أخيهما سعيد والخادم معه ، وكانا جعلاه الحارس الخاص على أخيهما المذكور ، ولما بلغهما إحاطة الهولى بالرستاق ، خافا اجتياحه إياها ، ثم يعود على مسقط فيجتاحتها ، إذ قيل

له إن عنده ثلاثين ألفا ، فأرسلها إلى أبيهما بالخروج من الحصن ،
وواجهها أباهما بالجريزة ، وطابت نفسه عليهما وأعطاهما عطايا ، وحمد
نظرهما وما لا حظه في هذه المبادرة وخرج أبوهما إلى الرستاق وهما
إلى نعمان ، وإلى هذا يشير أمير البيان حيث قال : ولم يكف كون
بني غافر مستقلين بالظاهرة ، واليعاربة مالكين بعض الحصون ،
حيث ثار على أحمد ولداه سيف وسلطان ، واعتصما بقلعة بركا .

ثم ذكر حرب مسقط إلى أن قال : ثم إن أحمد أخذ هذه المسألة
بالتؤدة ، وانتهت بينه وبين ولديه بسلام ، والحقيقة أن أحمد بن
سعيد لم يتأثر من ولديه كل التأثر ، لما للولد في قلب الوالد من الحنو
والعطف ، ومن ناحية الرجلين رأى فيهما الحفاظ على الملك وأنهما
لن يضيعاه ، وأن تلك الحروب التي قاما بها ما هي إلا دروس تعبر
عن المستقبل الذي سوف يعترضهما ، فمن هذه الناحية رأى فيهما العزم
الذي يحبه منهما ، وعرامة الولد في صغره دليل عقله في كبره ، وأن
أحمد بن سعيد في آخر عمره فضل الرفق ، واحتمل عدة أسايا .

ومن ذلك سكوته عن أحاط بالرستاق في حال الحرب بمسقط
بينه وبين ولديه ، وأن ذاك كبير في اعتبار الزعامة العامة ، إلى
آخر ما عرف له من أخلاق واشتهر به من رعاية ، فإنه كما قال الإمام
السالمى رحمه الله : وكان أحمد بن سعيد صاحب همة عالية ، ومطلب
سام ، وجرأة وإقدام ، فصار ملك عمان كله إليه إلا ما شاء الله .

قلت : هذا الذي استثناه الإمام العلامة هو ملك الظاهرة من
عمان كما أشرنا إليه . قال : ودانت له القبائل ، وسكن الحركات ،
وأطفأ كثيرا من الفتن ، وأمر ، ونهى ، وقام بأمر الدولة ، وأعطى المملكة
حقها ، ودافع العجم . قال : واستراحت الرعية وتجدد الملك ا هـ .

مقام أحمد بن سعيد من الناس

إن مقام أحمد بن سعيد من الأمة بعمان بحسب العلوم مقام وطيء ، لا يترزعزع حبه خصوصا أهل الساحل من صحار الى مسقط لهم فيه محبة خاصة ، لأنهم ألفوه أكثر من غيرهم واصطفاهم قبل غيرهم ، فكان يقوم ويقعد بهم ، وجعلوه بمثابة الأب الشفيق عليهم خصوصا في حال أزمة العجم ، وخوف الناس منهم ، وأما أهل عمان الداخلية ، فمقامه عندهم مقام هيبة ، لأنهم علموا منه ما أكبروه عليه في أحوال متعددة ، فأهل الساحل على طول الخط لا يرون لأحد فضلا كفضل يروونه لأحمد ابن سعيد ، فلا تسمع منهم إلا الإمام ، وابن الإمام ، وسوق الإمام ، وبلاد الإمام •

وهكذا حتى رسخ في قلوب الذرية ، وحتى إن بعضهم يلهج بهذا في حوارهِ وحديثه ، ولا يعرف من هو الإمام المعنى بهذا فقرر ذلك في قلوب النشء بعدهم متوارثا حتى الآن ، يجرى ذلك على ألسنتهم وإن كانوا لا يعرفون المعنى به من هو •

ولا شك أن للفضل مقام ، وللزعامة لزام ، وجبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وهو قد أحسن الى أهل الباطنة ليكونوا له أداة صالحة عندما يتجهسون من العدو شيئا أن يكونوا مع الإمام بكل مستطاعهم ، وإذا كان الإمام ذا أخلاق وذا رعاية ، وله شعور حساس ، وله حفاظ صحيح على الأمة ، أنزلته الأمة منزلة التوقير والتعظيم ، وبذلت في صالحه ما عز وما هان ، وإذا كان بخلاف ذلك كان الأمر على العكس ، والله يعلم المفسد من المصلح •

وكان أحمد بن سعيد من صالحى الملوك ، ومن السلاطين المحبوبين فى سواد الأمة ، على المعروف فى الجيل الذى عاش فيه ، وكان أحمد بن سعيد حجر أساس هذه الدولة البوسعيدية ، وواضع دعائم أساسها بالسيف ، وكان البانى لأركانها ، والمشيّد لمعالمها ، والموطد لعرشها ، والمعبد لطريقها ، بحيث يعرف ذلك الكل من أهل عمان ، فإنه لم ينلها بالهويّنا ، ولم تأتّه ميراثا ، وإنما جاءتّه بحد الصارم الذكر ، وببذل المال على الرجال الذين هم الدعاة إليه ، والحماة له ، والرعاة لأوامره ، وبسهر الليالى بين السيف والرمح ، ومن طلب العلا سهر الليالى ، واحتمال الأذى وركوب المشقات قال أبو تمام :

طلب الجد يورث المرء خيلا

وهوما تفضض الحيزوما

فتراه وهو الشجى خيلا

وتراه وهو الصحيح سقيما

ولقد قضى أحمد بن سعيد على الدولة اليعربية حين رآها على الطريق النائى عن الحق ، ورآها تجنح الى الباطل ، وتجمع الى فساد عمان بحر الأجنبيّ إليها بعدما أخرج آباؤه منها الى الأيدى الأثيمة ، حتى قضى على ظلمها وفسادها ، الذى ظم على الأمة ، وغسل أحمد بن سعيد العار عن وجهها ، وأعاد إليها سمعتها ، وكبح جماح عدوها ، بحيث أصبح انتقامه من العدو يغطى ما فعله بعمان ، وعليه فيجب أن يرفع شأنه ، ويعلى مكانه ، وتؤيد زعامته ، فانه البطل الغيور ، والليث المهور ، الذى قام بواجب الوطن .

وفاة أحمد بن سعيد الإمام

وحيث ان كل حى ميت (إنك ميت وإنهم ميتون) وإن ذلك لا بد منه فقد توفى أحمد بن سعيد فى سنة ١١٩٦ بالرسناق وقبره بها غربى الحصن .

قال الإمام السالمى رحمه الله : كانت أيامه أيام راحة واستراحة بعد تلك الفتن والحن ، يعنى الفتن التى قام بها سيف بن سلطان ، والعجم بعمان ، وكانت مدة ملكه بعد العقد تسعا وعشرين سنة ، وقبل العقد منذ أن كان واليا على صحار كذلك ، فكان عهده له أثره الخالد .

قال ابن رزيق : وكانت وفاته فى حصن الرسناق ليلة الخميس من شهر ذى القعدة سنة ١١٨٨ .

قال أمير البيان : كانت مدة ملكه أربعا وثلاثين سنة ، قال : وكان خلاص عمان من العجم على يده .

قلت : وكانت مصيبته على أهل عمان كبرى ، لأنه أصبح السد المنيع لعمان من العدو الأجنبى الذى يحاول فى عمان ما يحاول ، فإن الشر العمانى الفارسى لا يزال من العهد الأول الذى عرفه التاريخ ، ولكن كل شىء يجرى بمشيئة الله عز وجل ، والله يعز من يشاء ويذل من يشاء ، وكل شىء ينتهى إليه ، وتلك هى سنته .

وبموت أحمد بن سعيد وقع الخلاف فيما كان منظورا إليه ، فإن

خلاف أولاد أحمد بن سعيد بزغ فجره في أيام أحمد بن سعيد كما علمت ،
وقد حاول سيف وسلطان الاستيلاء على الأمر في عهد أبيهما ، وقيدا
أخاهما سعيد بن الإمام ، فماذا يكون الحال والعمانيون الذين يستغلون
الخلاف ينتظرون دق ساعته ، لينضم كل فريق الى جانب ، وقد أصبح
الملك ييكي بانیه ، ويندب بالأسف المظني راعية ، فإن أحمد بن سعيد
بذل في صالح الأمة النفس والنفيس •

أولاد أحمد بن سعيد

لقد توفي أحمد بن سعيد وترك أولادا ذكورا سبعة :

أولهم وهو أكبرهم : هلال بن أحمد ، الذى قاد الحملة الى البصرة ، وهو الذى قضى على مشايخ بنى غافر فى حرب القرطى فقرطهم قرطا أتى على آخرهم ، ومات بالسند إذ أصيب بالعمى ، فخرج للعلاج ، فكان سبب موته بالسند •

والثانى : سلطان ، وهو الذى قام هو وأخوه سيف بالحرب عهد أبيهما فى بركا ، وفى مسقط كما سبق •

والثالث : سيف الذى توطأ هو وسلطان على تلك الحرب المشار إليها ، والى سلطان تتصل الملوك فى عمان وزنجبار كما سوف يقف على ذلك القارئ إن شاء الله •

والرابع : هو سعيد الذى كان أحمد بن سعيد يحبه ، وهو الذى تأمر عليه أخوه سيف وسلطان وقيدها ، وهو الذى تولى الملك بعد موت أبيه كما سوف يأتى خبره إن شاء الله ، واليه ينتسب أولاد بدر بن حامد •

والخامس : قيس بن الإمام الذى تولى الرستاق العاصمة المحبوبة لأحمد بن سعيد ، وتولى صحار أيضا ، واليه تتصل سلسلة آل عزان كما سوف يأتى بيان ذلك إن شاء الله •

والسادس : محمد وإليه يتصل نسب أولاد راعى ظبية المعروفون ، وهو الذى تولى السويق أولا ، وسيأتى خبره مفصلا •

والسابع : طالب الأعمى الذى تولى الرستاق أيضا ، وله فيها حل
وعقد وقد كان شديدا ، ولم يعقب وسنفرد لكل واحد منهم ذكرا خاصا
لإيضاح قضايا تاريخهم والله ولى التوفيق •

قال الإمام السالمى : وهو يذكر وفاة أحمد بن سعيد قال : وخلف
أولادا منهم سعيد بن أحمد ، وسلطان بن أحمد ، وقيس بن أحمد ،
ومحمد بن أحمد ، وطالب بن أحمد ، وهؤلاء كلهم يقال لهم أولاد الإمام ،
قال : فأما سلطان فهو أبو ملوك مسكد وزنجبار ، وأما قيس فهو أبو ملوك
الرستاق ، وكانوا قبل ذلك على صحار وتوابعها ، وأما محمد وطالب
فإنهما وليا من قبل إخوتهما فولى طالب الرستاق ، وولى محمد السويق
من الباطنة ، وأما سعيد فهو الذى ملك بعد أبيه بالحال ، وتسمى بالإمامة ،
وخطبه بها أبو نبهان لعنى خاص •

قال : واشتهر بهذا من بين إخوانه فأولاده يقال لهم أولاد الإمام
ابن الإمام ، قال : ولم يعدل فى ملكه ، ولم يرض المسلمون عليه ، وكان
أديبا لبيبا معدودا من أدباء عصره ، قال : ومما ينسب اليه من الشعر
قوله متغزلا :

يا من هواه أعزه وأذلى
كيف السبيل الى وصالك دلى
وتركتنى حيران صبا هائما
أرعى النجوم وأنت فى عيش هنى
عاهدتني ألا تميل عن الهوى
وحلفت لى يا غصن لا تتثنى
هب النسيم ومال غصن مثله
أين الزمان وأين ما عاهدتني

جاد الزمان وأنت ما واصلتني
يا باخلا بالوصل أنت قتلتني
واصلتني حتى ملكت حشاشتي
ورجعت من بعد الوصال هجرتني
لما ملكت قياد سرى في الهوى
وعلمت أنى عاشق لك خنتني
فلا أقعدن على الطريق فأشتكى
في زى مظلوم وأنت ظلمتني
ولأشكونك عند سلطان الهوى
ليعذبك مثل ما عذبتني
ولأدعون عليك في جنح الدجى
فصساك تبلى مثل ما أبليتني

هذه الأبيات الرقيقة ذات الانسجام العذب ، والمشرب الحلو في أسلوبها اللطيف ، ولفظها الرائق ، ذات الذوق الحلو عند أهل الفن .

سعيد بن أحمد بن سعيد الإمام

لا يخفى أن أحمد بن سعيد الإمام هو البانى لهذه الدولة البوسعيدية ، وواضع حجر أساسها ، وهو هيولاها على الصحيح ، وبجهوده وعزمه قامت على أنقاض تخريبات سيف بن سلطان ، الذى ساء فعله عندما تولى الأمر ، وقد قلده العمانيون أمرهم ، وخضعوا له احتراما لآبائه الذين كانوا يتولونهم ويرضون عنهم ، ولما تولى سيف المذكور جاء فى طريق خاص به اختاره لنفسه ، ولم يصح لنصح ناصح ، ولا لرأى مجرب للأمر ، ولا للعارفين بالحقائق من مشايخ العلم الذين يقوم البناء على كواهلهم .

فإن الإمامة قضية علمية تقوم بأهل العلم وتقعدهم بهم ، ولما ظن اليعاربة أن الدولة ميراث سواء كان الموارث صالحا أو غير صالح ، ورأوا أنهم السادة فى عمان ، نزع الله ذلك من أيديهم ، ووضعه فى أيدي غيرهم ليعلموا أن الأمر فى الحقيقة بيد مالكة الحقيقى الذى يعز من يشاء ويذل من يشاء ، وهو الذى ينزع الملك من أيدي مالكة الذى يظن أنه الحقيق به ، والمالك له ، ويضعه فى يد الآخر الذى لم تحكم به النفوس ، ولم تتصوره العقول والله أعلم حيث يضع رسالته .

ولما مات أحمد بن سعيد كرسى الدولة البوسعيدية ، وواضع حجر أساسها ، تولى الأمر ولده سعيد ، وتسمى بالإمامة من غير أن يجتمع عليه أهل الحل والعقد ، ممن هم الحجة فى الدين ، فإن الإمامة فى المذهب أصلها اختيار المسلمين لصالحها لا لكل من يقول أنا الإمام ، فإن إمام الصلاة لا تصلح إمامته إلا اذا رضيته الجماعة ، فكيف بالإمامة العظمى ، التى تترقب عليها أحكام شرعية ليس لأحد أن يقضى فيها إلا بأمر الإمام الذى تجب طاعته من الفاحية الشرعية .

وكان سعيد بن أحمد الابن المحبوب لدى والده أحمد بن سعيد ، فإنه يتوسم فيه سمات الخير ، ويرجو منه المصلحة العامة في الأمة ، ولذلك غار منه أخواه سيف وسلطان ، فأركباه الأدهم ، وأودعاه الجلالى ، وخاف أبوه عليه أكبر من ذلك ، ولكنه نجا منهما ، وبعد أبيه تولى الأمر على إخوته •

وكان ابن رزيق يصفه بالشجاعة وفصاحة اللسان والأدب العربى ، وله رواية ودراية ، وله شعر أوردنا منه تلك الأبيات المارة آنفا ، وبعد موت أبيه تولى حصون عمان إلا حصن الحزم ، وحصن نخل وحصن جبرين ، وهو الذى ولى أخاه قيس صحر ، وجيش لأرض السر جيشا ضخما أراد به إخضاع قبائل الظاهرة ، فقتل منهم عدة رجال خصوصا من بنى غافر ، فإن بنى غافر بقوا على الحال الذى كان عليه والده ، ورأى الظاهرة عدوه الذى لا بد من الأخذ على يده مهما كان •

قال ابن رزيق : وغزا الحمرا فقتل شيخهم ، وهابه أهل عمان ، واتخذ الرستاق عاصمته إذ ذاك ، وولى على مسقط الشيخ محمد بن خلفان البوسعيدى المعروف بالموكيل •

ولما كانت الحرب التى قام بها محمد بن ناصر الغافرى ، وخلف بن مبارك الهنائى ، سيئة الأثر بعمان ، وكان من أثرها تأصل الضغن بين العمانيين ، وتحزبوا من أجلها ، وتغلطت العداوة فى قلوبهم لبعضهم بعضا ، وشمل ذلك كل من دخل فيها من القبائل ومن لم يدخل ، وسرى فى النفوس سريان النار فى الهشيم ، فانقسم الناس من أجلها فى عمان قسمين كما هو ملوم ، فآثر ذلك العداوة بين المسلمين فى الوطن والدين ، وأصبحوا حزبين متعادين أشد العداوة ، وإذا اعتبرت الأحوال ربما

وجدت لمحمد بن ناصر العذر ، لأن أكثر المسلمين كانوا معه حتى بايعوه بالإمامة ، وعاش إماما يقوم ويقعد باسم الإمامة ، ولم يقل أحد من أهل العلم إنه أحدث حدثا يوجب خروجه من اسم الإمامة ، وكانت القبائل معه ، وأما خلف بن مبارك بخلاف ذلك ، ولكن للضعف أسباب منها الجائز ومنها غير الجائز ، وأهل عمان لا يليق بهم والأعداء محيطة بهم من كل جانب ، إلا أن يكونوا يدا واحدة ، ولسانا واحدا ، ويتركوا كل ما يخل بموقفهم ، وإلا أكلتهم الأمم المحيطة بهم ، وهم في فخ عداوتهم لبعضهم بعضا ليس ولعمر الحق هذا من صفات الرجال الأحرار .

ولم يصرح لنا التاريخ عن الصفة التي تولى بها سعيد بن الإمام أحمد الأمر بعد أبيه ، هل هو بولاية العهد له ؟ أم باتفاق العلماء الذين هم الحجة في الإمامة ؟ أم تولى بحكم القهر والغلبة مع أن أخويه سيف وسلطان نافسا أباهما على الأمر وقتلاه كما عرفت ، وقبضا على سعيد المذكور وأودعاه السجن ، وهما هنا موجودان ولم يعرف لهما نزاع في الأمر ، ولا مقال ولا احتجاج .

وكان سعيد المذكور في عهد أبيه تولى نزوى ، وهذا يدل على مكانته من أبيه إلا أنه لم يحسن العمل فعزله أبوه وولى غيره ، وكان أهل نزوى ممن يكرهه حتى شكوه الى أبيه ، وكان الشيخ الصائغى كذلك وهو من أهل نزوى لا يرغب في سعيد بن الإمام أحمد ، بل اعترض له عمله .

قال ابن رزيق : إن الإمام سعيد بن الإمام أحمد أحدث أحداثا بعمان غير صالحة ، قال : فمقته أهل عمان كافة ، ومالوا الى أخيه قيس وهموا بعقد الإمامة له في المصنعة ، ومعهم سيف وسلطان وطالب ومحمد ، ولم تنته القضية ، وأرجأوها الى العاصمة السعيدية الرستاق ، فتوجهوا إليها ، وكان سعيد المذكور فيها وأرسلوا إليه بالحضور معهم فلم يحضر ، ولعله خاف على نفسه فأرسل اليهم بالضيافة ليشاغلهم بها

عن الحضور ، ولما تحقق الأمر الذي اجتمعوا له باغتهم بإطلاق مدافع القلعة عليهم ، ووافق ذلك حال فراغهم من الأكل ، فتفرق القوم عن غير شيء يحسن السكوت عليه ، وكان اجتماعهم بمحلة قصرى من الرستاق ، وتبعثر الرأى الذى بيتوه ، ولعلمهم رأوا نار الفتنة تشتعل بهم ، ففضلوا التأخير الى وقت أخير •

حتى فى السنة الثانية من ولاية المذكور ، اجتمعوا فى نخل لهذا الصدد بعينه ، وكان بها محمد بن سليمان بن عدى اليعربى ، وطلبوا حضوره معهم ولم يحضر ، ولعلمهم رأوا منه العداوة وهم فى بلاده ، وكان أيضا أرسل لهم بالطعام لهم ولدوابهم ، ولعله خائف من الأولى التى وقعت عليه من نائبه فى عهد الإمام أحمد بن سعيد ، وخرجوا من نخل ولم يتم لهم أمر ، وعلى كل حال إن الأمور مرهونة بأوقاتها وفساد الرأى اذا تردد •••••

حمد بن سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد

كان للإمام سعيد بن الإمام أحمد ، ولدان هما حمد وأحمد ، وكان لكل واحد منهما كياسة وعقل ، وكان حمد أعقل الرجلين ، ولعله أدهاهما ، ولما رأى عدم قابلية أهل عمان لأبيه سعيد ، وأن عدم قابليتهم له لا بد أن يؤثر على الأمر ، وكانت له أفكار بعيدة ، وكان أيضا يحاول الملك من أبيه ولكنه يرى أعمامه سيف وسلطان وإخوتهم حوله كالأسود الضارية ، ومثلهم كما قيل من تلقى منهم تقل لاقيت سيدهم ، فأراد أن يدخل الحظيرة من بابها ، وقد مهد سياسة لرامه قد لا يفتن لها منهم إلا غواص ذو فكر ثاقب .

قال ابن رزيق : كان حمد داهية من دواهي العرب ، لما رأى أحوال أبيه لا يقتضيها الحال ، فعند ذلك التفت الى أهل عمان بما يقربهم منه ، وتدخل فيهم وفتح لهم باب الاتصال رامزا الى والده استكتشاف ما عندهم ، والاطلاع على ما تقتضيه نواياهم ، ولم يسأم والده من ذلك ، فكانوا يأتونه زرافات ووحدا ، وكان لأبيه بمنزلة الوزير ، وكانوا يأتونه يتوسلون به الى أبيه فيما يهمهم ، فيقوم معهم ويكرمهم ، فأحبوه وأخلصوا له المعاملة كما ينبغي ، واذا رأوا من أبيه شيئا يحذرون منه أو يخافونه ، أتوه فقام معهم ، وبذلك نال منزلة في قلوبهم ، وسار به حديثهم ، ويقرب أهل العلم والفضل والورع .

قال ابن رزيق : فأحبه أهل عمان وزاد بغضهم لأبيه ، وتآمر هو وبعض أهل عمان في الاحتيال على أن يتولى الملك عن أبيه ، لأنه الأحق به ، وسوغوا له ذلك ورغبوه فيه ، ولكنه يتظاهر لهم بصد ذلك . ولعله

سياسة منه ، ولعله خوفا أن يطلع عليه أبوه ، فلم يفتح لأحد منهم باب مجارات في الموضوع ، ولكنه يعمل في نفسه نفس المطلوب ، وهو بحسب الظاهر يتباعد عن الصدد بعيدا ، ويمنع الحديث في الموضوع أصلا ، ولكنه يعطى الوافدين عطاء هاما ، ويبدل لهم بذلا فوق الحد ، وهكذا كان حاله حول هذا المقام الهام •

قال ابن رزيق : وأكثر النقل هنا عنه ، وإن كان بعبارة أخرى لأنه في الغالب لا يعبر تعبيرا صحيحا ، بل يأتي بكلام العامة • قال : وما زال حمد المذكور يتحين الفرصة ليتناول ما بيد أبيه من السلطة ، حتى ثارت فتنة بين أهل اليمن ، وأهل النزار من أزكى ، ووقعت بينهم حرب دامت مدة ، وسعيد يسمع ويرى ولا يتحرك ، فقام حمد على أبيه في هذا الصدد ، وثار سعيد بجمع كبير من أهل عمان ، وبالأخص أهالي الرستاق ، وبعد ما تمت قضية أزكى قام حمد لأبيه قائلا : إنك وليت على مسقط محمد بن خلفان بن محمد البوسعيدى المعروف بالوكيل ، وإن محمدا المذكور أخرج العسكر الذين تركتهم أنت في الحصن الشرقى ، وكذلك عسكر الحصن الغربى ، واستبدل بهم صبيح الضويانى فى الحصن الشرقى ، وكذلك الحصن الغربى ترك فيه مسعود بن أحمد البارحى ، وهذا يدل على تصرف يوهم الاستبداد بالأمر •

فقال سعيد : ما أظن ذلك إلا لمصلحة لنا ، وما يراه الحاضر لا يراه الغالب ، فكان سعيد يحمل القضية على محمل حسن ، وهو مطمئن من المذكور لا يعتقد فيه إلا الطاعة ، وكان حمد يريد بذلك فتح باب الدخول

على الأمر الذي بيد أبيه ، وهنا قال له : اكتشف للأمر أرسل له يرسل لنا دراهم وأرزاً لمقابلة شئوننا هنا ، فإنه قد اجتمع معنا خلق كثير ، ويحتاجون إلى عطاء ، واكتب له ذلك بخط يدك خاصة ، فإن أرسل المطلوب ، فهو كما تعتقد أنت ، وإلا فالرجل ليس بواليك •

فوافقته وكتب الإمام سعيد لمحمد بن خلفان بالمطلوب ، وإذا ذلك دس حمد لمحمد بن خلفان إذا جاءك كتاب من والدي يطلب كذا وكذا من الدراهم والأرز ، فلا ترسل له شيئاً ، فقد حصل كفايته من هنا ، واعلم أنه يريد الهجوم عليك بالقوم الذين معه ليخرجك من عمك ، لأن الناس قد أوحشوه بك لما بدلت العسكر ، وإنيك شريت جملة من العبيد ، وإنيك بسطت لصبيح بالعطاء تريد ليكون معك وإنيك رفعته فوق قدره إذ أمرته أن يدخل سوق مسقط على حصانه والعسكر خلفه ، وأمامه ، وهكذا في سلك مسقط ، وإن هذا كبير قد تأثر منه في نفسه وأضمر لك ما أضمر ، وكذلك تقريئك لمسعود بن أحمد البارحي ، وبذلك العطاء له داخل في نفسه ، وإنيك أمرته يتعمم بالشالات الكشميرية ، وهي ملابس فاخرة يتزيا بها الأكابر في ذلك العهد ، وإذا أرسلت له ما طلب ليصلك بخيله ورجله ، فيعزلك من الولاية إذا سلمت من القتل •

قال : وتلك مكيدة من حمد وحيلة منه يريد بها أن يصل الأمر إليه من أبيه ، فوصل كتاب حمد إلى المذكور محمد بن خلفان الوالي ، قبل أن يصل إليه كتاب أبيه ، فلما قرأ كتاب حمد ظنه إخلاصاً منه ومودة ، وتصور صدقه ، وأنه له ناصح أمين •

ولما وصله كتاب الإمام سعيد ، وعرف ما فيه ، قال له : ارجع

إليه ، وقل له يقول لك محمد ما عندي لك شيء ، وهذا جوابه شفاهيا فقط ، ولما رجع الرسول الى سعيد وأخبره بما رد عليه محمد بن خلفان ، وعند ذلك خلا بولده ، وأخبره بجواب الوالى له ، وأنتك يا محمد صدقت فيما قلت ، فقال له حمّد : أنا ما قلت لك إلا حقا ، فإن لى رجلا بمسقط يكاتبوننى عن صنيعه كله ، فإنك صرفت همتك عن مسقط ، فلا تظن أن مسقط لك ، فقال له : ما الرأى إذن فى القضية ؟ فقال له حمد : أرسل ولدك أحمد ليناصحه ويتعرف حقيقة الرجل ، ليطلع على أخباره ، ثم يرجع إلينا حتى نعلم حقيقة الأمر عنه ، ولسنا بمنصرفين من أركى الى الرستاق ، ولا الى غيرها حتى يرجع إلينا ولدك الأخ أحمد .

واتفقا على ذلك ، وهنا قدم حمد لمحمد بن خلفان الوالى كتابا إذ أتاك أخى أحمد أحبسه وأودعه القيد ، قبل أن يحبسك ويقيّدك ، فاذا فعلت ذلك قطعت طمعه منك وطمعه منك وطمعه من مسقط ، وأرسل به رسولا عانيا ، وأسر إليه بذلك .

فلما وصل أحمد مسقط حبسه الوالى وقيده فى الجريزة ، وهرب أصحابه الى أركى وأخبروا سعيد الإمام بالواقع ، فتأثر منه وعيل صبره ، ورأى نفس الأحدوثة فى الناس كبيرة ، وقال لولده : حمد هذا عاقبة رأيك الذى قلت لى به إنه الرأى السديد ، فأجابه حمد : أرى أن نمضى الى مسقط بمقدار هين من الرجال قدر مائة رجل فقط ، فننزل روى وأنا أمضى الى مسقط ، واجتمع بمحمد بن خلفان ، وأخلص أخى من حبسه ، ثم أتيتك به فقال سعيد ، أما تكفى الأولى عن الثانية ، أى ربما حبسك أنت فتكون الرزية أعظم ، والجريمة أجل ، وكأنى به فاعل . وكان على وجهه لا يظن أن القضية هى عملية حمد ، فعذله ابنه

حمد قائلا : دع الوسوس وطاوعنى فى هذا الأمر ، وألح على أبىه وأكثر له المقال ، وأطال معه الجدال ، والوالد الحنون يتلوى على الابن الثانى لمحبته له ، لا يرضى أن يلحق بأخيه فى الأسر والشماتة ، ومازال حمد بأبيه حتى وافقه ومرجل غافل لا يظن فى الولد إلا خيرا .

وكان حمد يحاذر أن لو وصل الإمام ، وقبض مثلا على الوالى أن يبين منه شىء دسائسه ضد أبىه وأخيه ، فتنقلب الأمور عليه قبل أن يتمكن على الحصول من نتيجة العملية التى وضع خطتها ، ورتب مجراها .

ولا شك أن المأخوذ غافل ، والملك له ثمن ، والنفس تتطلبه بما عز وهان لا سيما أولاد الرؤساء ، فإن هذا أمر وضعه الله فى الطبيعة البشرية من أول عهدها ، ومازال التنافس عليه فى العرب والعجم ، ولولا ذلك لما احتاجت الأمم الى التطاحن بالمدافع ، ولما هلكت الجيوش العظيمة بذلك ، وكم ممن قتل أباه على الملك فضلا عن غيرهم ، وعند هذا الحال كتب حمد الى الوالى محمد بن خلفان يقول له : اذا وصلك كتابى هذا أجمع أهل مسقط ومطرح وخدامك وعسكرك ، وانزل بهم فى سبيح الحرمل ، وهذا السبيح هو الذى تقع عليه الآن مطرح الكبرى ، فاذا أبلغك عنا أننا نزلنا روى أبعث لنا رسولا ومعه كتاب منك للوالد تقول فيه : إن كنت تريد إطلاق ولدك أحمد فليأتنى ولدك حمد ، وله الأمان منى ، وامكث أنت ومن معك فى روى ، فاذا تقدمت إلينا فترا من روى تقدمنا إليك بضيفنا ورجلنا والسلام .

وأرسل حمد بكتابه هذا رسولا سريا ، فلما وصله هذا الكتاب جمع

الوالى جموعه كما أمر حمد ليوهم سعيد بن الإمام القوة عليه ، وكان المذكور غافلا ، والعملية تمشى فى ظلام غفلته ، فلما وصل الإمام سعيد روى ، أخبرهم العوام من الناس الذين لا علم لهم إلا بظاهر الحال ، وكان القابضون بسد روى وأهل البلد روى يخبرون سعيدا وولده عن الجمع الذى جمعه الوالى ، وأنه معسكر بسيح الحرمل بجيش ضخم .

فمكث سعيد ومن معه فى روى ، ومضى حمد الى الوالى ، ولما تصافحا وهش أحدهما صاحبه ، والعملية بينهما لها مقامها ، ولها أثرها وشكر محمد بن خلفان رعاية حمد له ، وكان حمد مأكرا بالرجلين معا ، ومحتالا عليهما ، وتبادلا الحديث ، وكل واحد منهما يشكر الآخر على حسن الصنيع معه ، والحيلة ماثية فى نشاطها ، فأمر حمد بإطلاق أخيه أحمد ، وأنهما يرجعان معا وأبيهما الى الرستاق لإتمام البرنامج المخطط ، وكن أنت يا محمد مكانك لا ينازعك فى الملك مفازع ، وسوف أعود عليك بعد استقرارنا بالرستاق .

وحقيقة المعنى لأضعن والدى وأخى بالرستاق ، وأصل أنا لسلكك من الحكم ، وقبض الأمر عنك ، والظاهر أصلك لحسم الصلح بينك والوالد ، فإننا لا نرضى لضياحك أنت ولا نرضى ما يريدك الوالد فىك ، وأنت الحر اليقظ الذى قمت بالواجب ، وأيدت الدولة ، ولك عندنا مقام ، ونحن معك لا مع الوالد الذى يريد هدم هذا البناء الشامخ والركن الباذخ .

ووضع لحمد بن خلفان وضعا نام عليه فى وطاء مهيب ، على حسب الظاهر ، وللرجال عوائل لها تأثيرها ، وبعد رجوع الإمام سعيد وأولاده وخاصته الى الرستاق ، تصور له أن مسقط خرجت من يده ، وأن محمد ابن خلفان عاض عليها بالنواجذ ، ولعله عنده من يؤيده ، وبالجمل

استولى اليأس على الإمام المذكور من مسقط ، وبقي حائرا لا يعرف الطريق الموصل الى حل هذه الأزمة الجاثمة على كاهل إمامته .

وبعد أيام قام حمد لأبيه قائلا : ألك يا والدى حيلة على قبض محمد ابن خلفان أو قبض ما في يده بغير حرب . فقال : لا ، وماذا أفعل ؟ وقد تمكن الرجل من الأمر وساعدته الأقدار ، فجمع أموالا وافرة واستجلب لتأييده أناسا ، وربما ساء ظنه في إخوته الذين عرفت منافستهم له سابقا ، وقد تبين منه العناد والرد للأمر ، وهذا يعبر عما هو عليه من المخالفة .

ثم قال لأبيه بعد ما تحقق عجزه : أرأيت إن عملت حيلة وأخرجت الأمر من يده ، وتمكنت منه أتترك لى ذلك ؟ قال : نعم قال : أتعاهدنى على ذلك ، وعلى أن تترك لى حصون عمان أدبرها بنفسى إلا حصن الرستاق ، ولك على الطاعة والامتثال فيما يرضاه الله . فقال له : نعم ، نظرا لأن أمر الولد لا يبعد عن يد الوالد ، فأجابه على ذلك من غير تردد .

والظاهر أن هذا الحال لا يدل على عقل مميز ولا على وعى صحيح ، قال حمد لأبيه : أنا أذهب الى مسقط لتدبير الأمور ، واذا وصلك كتابى أدعوك فيه للوصول الى مسقط ، فأسرع الكرة ولا تتعرقل ، وأقدم بمن معك من الرجال ، ثم عزم الرجل على تنفيذ خطته ، واصطحب معه قدر رجل ، فجاء مسقط مباغتا مع أنه كان قد مهد له طريقا يبسا لا يخاف معه ولا يخشى .

ولما نزل الجريزة ، وكانت المناخ الصالح ، فأجلس رجاله في

مناخه ، وذهب هو الى بيت الوالى ، فلما تلاقيا هو ووالد الوالى خلفان ، تصافحا وربما تعانقا ، وبعد حديث ودى دار بينهما عاجلا منه ، جئت لأصلح الشئان بينك والوالد ، وبين الوالد وولدك محمد ، ذلك هو أن يدفع ولدك محمد للوالد كذا كذا من الدراهم سنويا ولحمد ما قبضت يده من المعامل لا ينازعه فيه منازع ، فسر خلفان بذلك وأنعم له بذلك إنعاما قلبيا ، وطلب حمد المقام بمسقط ثلاثة أيام ، فأجابته البلاد ببلادك فأقم بها ماشئت لا حرج عليك ، وطلب أن يخلى له جانب من بيت النواب ، فأخليا له ذلك وسبقت إليه الفرش والأواني ، لأنهما رأياه أحسن إليهما الإحسان الكامل ، حيث أعطاهما ملك مسقط وتوابعها بعد ما كان المذكور واليا أصبح حاكما .

وفى الليلة الثانية خرج عندما تمكن الليل وهبط الظلام على الأرض ، وحمل معه شيئا من النقود ، ومعه خمسون رجلا من قومه ، وسار توا الى الحصن الشرقى ، فلما كان بالباب الأول من الحصن نادى بأعلى صوته صبيح الضويانى أمير عسكر الحصن ، فأتاه ففتح الباب وأدخل حمد الحصن هو ومن معه من الرجال ، فلما رأى حمد أنه تمكن من الحصن ، قال للضويانى المذكور : لقد كفرت النعمة التى أنعم بها عليك أبى أيام مقامك معه بالرستاق ، فصرت لنا بعدما أنعمنا عليك عدوا أزرق ، ما حملك على ذلك ؟ وكان الضويانى يعهد أن حمدا والوالى على حال اتحاد ، فلذلك أدخله الحصن ، ولكنه عن أن الدخول فى مثل هذا الوقت فيه ما فيه ، ثم قال حمد للضويانى : والدى أرسل لك هذا المال ، وأمرنى أن أقعد معك برجالى حتى يأتى هو الى مسقط ، وأمرنى أن أبلغك أن تعصى أمر محمد بن خلفان ، فإنه عاملنا فلا تطعه فى كل شىء

من الأمور فاذا جاء الى هنا أن ترده خاسئا أو تطلق عليه النار هو
أو أحد من رجاله •

فامتثل الضوياني أمر حمد ، وأخذ المال وأعطى الشراع وجهة
الرياح لا سيما رأى أنه مغلوب على الأمر ، ومقهور في حصنه ، فلما
رأى حمد تحقق أمر الحصن ، هبط وأبقى أصحابه الخمسين رجلا في
الحصن ، ثم توجه الى الحصن الغربي ، وكانت العملية هي هي نفسها
وكان التعارف بينه والبارحى منذ مدة قد تقرر ففتح الباب ، ودخل حمد
ومعه الخمسون من رجاله ، وأفاد البارحى أن الملك لكم وأن محمد بن
خلفان عاملكم ولا مانع لدينا ، ويا بواب افتح لا سيما حين علم أن
الحصن الشرقي الآن في يد حمد ، وأن رجاله فيه ، وأن الضوياني سلم
الأمر له ، فقال حمد لمسعود نفس ما قال للضوياني ، فإن أتاك هو أو
أحد من رجاله أطلق عليه الرصاص •

ولما تمكن من وضع عملياته هنا هبط أيضا وقد نال ما طلب ، وقد
أنفذ خطته كاملة كما أرادها ، وكان ذلك كله في نفس الليلة المشار إليها ،
وخرج حمد منهيها عملياته في الحصنين ، يريد الحصن الشرقي واذا بماجد
ابن خلفان أخى محمد بن خلفان في الطريق ، وكان متخفيا فظنه حمد بن
سعيد ، فجاء الى أبيه قائلا ، إن حمد بن سعيد راح الى الحصن الشرقي ،
وقد احتال عليك ووضع برنامجا عنده للحتيال ، فغالطه أبوه بأن حمدا
عندى أسراره والى يلقى ما عنده ، فلا تظن الأمر غير ما عندى ، فقال
له : اذهب الى مناخه في بيت النواب ، فإن وجدته ووجدت أصحابه معه
فالغلط منى ، فسارا معا واذا بالمكان خالى إلا الفراش فقط والأثاث ،

فعلم محمد بن خلفان أن المكيدة قد انتهت من حمد ، وأن تلك المراسلات كلها خداع ، فانتظر محمد بن خلفان طلوع الشمس ، وإذ ذاك تجهز في خدمه وحشمه ، وسار يريد الحصن ، فلما دنى منه أطلق عليهم الرصاص ثم رجعوا الى الحصن الغربى فكان الأمر كذلك •

وبذلك سقط في يد محمد بن خلفان هذا ، وعلم أن الأمر انتهى لحمد ، فرجع الرجل الى بيته يفكر فى الحادث على هذا الوضع ، وماذا يكون بعده وعند ذلك أرسل حمد الى أبيه بالثورة عاجلا ، فجاء أبوه بقوته العاجلة حتى دخل مسقط ولا منافس له ولا منازع ، وإذ ذاك أطلقت من الحصنين والسفن الراسية فى الميناء ، ونشرت الأعلام المخبرة عن الواقع وهبط حمد لمقابلة والده ، وأرسل الى محمد بن خلفان أن يحضر ، فحضر الكل فى بيت الجريزة •

ولما استقر بهم الجلوس قال حمد بن سعيد لمحمد بن خلفان : قد عزلناك عن الولاية ، وسامحنك عما سبق منك من الإساءة والاجترأء علينا فلك الأمان منا ، فمضى محمد بن خلفان وإخوته وأبوهم معا الى بيتهم ، ثم بعث حمد الى سليمان بن خلفان بن محمد ، فولاه مسقط وقد قبضها حمد فعلقها عن خلفان وأولاده بعيدة بوضع رجاله فى الحصنين ، وتولاها عن الوكيل وأبيه •

والحقيقة أن هذه العملية كان المقصود بها والده سعيد ، وهو الذى رفع قدر محمد بن خلفان الى المحل الذى رمى به منه ، لأنه لم يكن عمرو ابن العاص ، وإنما كان أبا موسى الأشعري ، ومكث سعيد بن الإمام أحمد فى مسقط ثلاثة أيام ، ثم عاد الى الرستاق ، وقد علم أن أمر ملك

عمان بيد ولده حمد ، وأنه هو تحت مراحم حمد المذكور ، فكانت
الرستاق وطن سعيد بن الإمام لا يخرج منها إلا لغرض خاص ، ثم يعود
إليها ويبقى حمد وهو السيد المطاع ، والملك المتبع ، فأصبح له الحل
والعقد في عمان كلها ، وجاءته القبائل خاضعة ومسلمة إذ كانت معه في
عهد ملك أبيه كما قدمنا ، وسار سيرة حمده المسلمون فيها ، وعدل في
الناس وكان كريما مطلق اليد ، وأحسن الى الكثير من الناس ، وكان على
حال يرغب فيه المسلمون من حسن الرعاية كما سبقت الإشارة عنه •

قال ابن رزيق : فكان من جملة خاصته من أهل العلم والورع ،
الشيخ القاضي مبارك بن عبد الله النزوى ، والشيخ سليمان بن ناصر
المهللى ، والشيخ أحمد بن ناصر الحراسى ، والشيخ خميس بن سالم
المهاشمى ، والشيخ فضل بن سيف اليعمدى ، وغيرهم من أهل العلم
والورع والفضل ، وجعل مسقط وطنه الخاص •

الحرب بين المعاول وأهل نخل

في أيام حمد المذكور ، قامت حرب بين أهل نخل والمعاول ، سببها ثورة أهل نخل على حجرة الجناة التي لآل مهلك على رءوس أفلاج أهل نخل ، وكان بناء تلك الحجرة مراغمة لأهل نخل بمساعدة من السلطان سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد أيام احتلال نخل ، وفي هذه الأثناء وجد أهل نخل متنفسا لهم ، فثاروا على الحجرة المذكورة ثورة موحدة ، فقصوا عليها ، قتل فيها من قتل من الطرفين ، ولكن انتصر فيها أهل نخل .

وعند ذلك قام المعاول مناصرين لآل مهلك ، إذ هم من أهل عصبتهم ، ولم تنزل الحرب في اشتعال ، وسعيد الذي هو السلطان أصبح سلطانه إلى ولده حمد . . . وكان المذكور متعصبا لآل مهلك ، ولعله يرى تلك الثورة مخالفة ، وأنها لم تكن عن اتفاق .

قال ابن رزيق ، الذي هو المعنى بهذه الحوادث : ولما اشتدت الحرب بين المعاول وأهل نخل من قبل هدم أهل نخل لحجرة الجناة التي لأولاد مهلك ، أعان حمد المعال على حرب أهل نخل بالمال والرجال .

قلت : ما كان ينبغي من الحاكم الذي هو الرئيس العام ، أن يعين فريقا على آخر أو طائفة على أخرى ، بل عليه أن يقوم لإطفاء الفتنة وردع المثيرين لها ، اللهم إلا إن لم يكن قادرا على الإنصاف ، وتحقق عجزه .

قال ابن رزيق : أخبرني غير واحد أن حمد بن الإمام سعيد حشد أيام حربه لنخل من أعراب جعلان ، وهم بنو بحسن وحلفاؤهم ، وأضاف

إليهم أعراب الساحل ، وأهل الرستاق وغيرهم من الحضرة ، قال : فركض بهم على نخل ومعهم رجال المعاول قال : فانكشف جيشه .

قلت : لعل في الجيش خيانة وإلا فنخل يكفيها المعاول إن كان القيام على الحق ، اللهم أن يكون مع أهل نخل تعصبات من أناس آخرين ، وهذا من الغلط الذي يقع فيه كثير من الحكام الذين لا يباليون بإخلال أحوال المنصب العام ، الذي يستدعى أن يكون الحاكم الميزان العدل في الأمة .

قال ابن رزيق : ثم رأى أى حمد الصلاح في إصلاح شأنهم ، أى بعد ما انكشف جيشه وتحققت ، راح الى بركا . قال : فاستدعى مشايخ الجبور الذين في بركا والحكمان والنوافل ، فأرسلهم الى والى نخل ليأتوه به لإتمام الصلح ، وكان والى المذكور مهنا بن محمد بن سليمان اليعربى ، الذى مازال فى نخل منذ الإمام أحمد بن سعيد : فقام المشايخ المذكورون بما كلفوا وكتبوا للوالى المذكور ، فلبى دعوتهم بمن معه ، وجاء على طريق الطو تفاديا من لقاء المعاول ، وليكون أهل الطو العضد له ، ولعل المشايخ المرسلين إليه كروا قاصدين إليه ، فالتقوا بعقبه الطو ، وكانوا جمعا كبيرا فتوجه الكل الى بركا ، فلما تقابلوا عند حمد ، تمم الصلح بينهم ولم يبينوا حقيقة الصلح على أى صفة كان ، ولعله على هدم ما وقع .

قال ابن رزيق : واستفتى — أى حمد — أهل العلم فى حربه لنخل . قال : وزعم أن حربه لهم لرأى رآه استحقوا به الحرب ، قال : فلم يلزمه الضمان ، أى لأنه كان مستحلا لحربهم ، قال : فتاب عما كان منه ، أى ليس عليه إلا التوبة ، وهو المفروض على المستحل إذ رأى هو أو رأى من يعتمد عليه من أهل العلم خطأه فى حربه ، والمرجع الى الله .

قال : فضرب الطبل في حصن بركا بالأمان على أهل نخل ، وقال
حمد لمهنا الوالى : ارجع الى نخل فإنى سأتيك ، أى لإتمام الصفا
وإعلان الوفا ، ثم جاءه حمد المذكور لإصلاح الشآن بين الوالى عن أهل
نخل والمعاول من الشق الثانى ، وجمع حمد الكل لإصلاح الشآن ،
وقابلهم مهنا الوالى بنخل بما يليق إذ استضاف الكل ، ثم عاد حمد
أيضا الى نخل بصفة ودية بينه والوالى لتدعيم العلاقة فى المستقبل ،
ودخل الحصن عند صلاة الفجر ، والتقى بالوالى وصليا معا •
يقرآن القرآن حتى طلوع الشمس •

وكان حمد المذكور وصل نخل مفردا فقط ، ثم تواصل أصحابه عند
الضحى مبلغ ألف رجل •

هذا خلاصة ما فى المقام مع ترك إطالة الحكاية عنهم حيث نوحوا ،
وحيث يتناجون ، وماذا قال أحد الزعيمين للأخر الى آخر ما جاء لابن
رزيق مما يشبه أقصوصة ألف ليلة وليلة •

أعمال حمد بن سعيد أيام دولته

قال ابن رزيق ، وهو يصف أعمال حمد بن الإمام سعيد قال :
بنى برجاً على مكلا مسقط ، أى ثغر البحر عند المدخل الى ميناء مسقط ،
فقال مصحح ابن رزيق ، يصف المكلا : جمهورية اليمن الجنوبية ، ولم
يعلم المكلا الذى يعنيه ابن رزيق ، فذهب بسهوه الى البلد المعروف بهذا
الاسم فى اليمن ، ولم يسبق لهذه البلدة أو المنطقة ذكر فى تاريخ عمان ،
فهذا ليس من التصحيح ، لكن من البلية إسناد الأمر الى غير أهله ، وكم
مثل هذا .

قال ابن رزيق : وأودعه — أى برج المكلا — مدافع كباراً ، أى لأمه
فى وجه الداخل لثغر مسقط ، قال : وبنى قلعة بروى ، وهى المعروفة حتى
الآن ، وبنى قلعة بحصن بركا ، وأدخل فيها المدافع الضخمة التى تليق
للدفاع فى ذلك العصر ، قال : وأمر بصنع باخرة حربية فى زنجبار ، وهو
الذى سموه الرحمانى ، وكان مركباً ضخماً بديع الصنعة ، غريب الشكل ،
يحمل ثقلاً كبيراً اشتهر فى دولة آل بوسعيد ، واستقضى فى بركا الشيخ
سالم بن محمد المعروف بأبى الأحول البلحسنى الأزكوى الشاعر الأديب ،
وأحسن اليه كما ينبغى ، وعلى كل حال أن الإحسان فى أهله شبه
الواجب ، بل مما تحمد عقباه .

ويسجل التاريخ لصاحبه الثناء الحسن الجميل ، ويبقى أحدى
حسنة طيلة الدهر ، من ذلك أنه أمر ببناء بيت خارج سور بركا ، ولما
كمل بناؤه ساق اليه التمر والأرز والسكر والأوانى اللازمة ، حتى
الصناديق المعتاد استعمالها والفرش التى يستدعيها الحال ، ثم أرسل

الى أهل الشيخ للوصول الى بركا على اسم الشيخ المذكور ، وكان الشيخ بحسن بركا قائما بأعمال القضاء فلما وصل أهل الشيخ بركا ، وكانوا ظنوا أن سالم مريض ، فاستدعى وصولهم اليه ، أمر حاملهم أن ينزلوهم في ذلك البيت ، وأمر أن يخبروا أن البيت بيتهم ، وأن كل ما فيه لهم ، فلما بلغه وصولهم قال لسالم : قم لنمشى متفرجين فلما قربوا من البيت ، قال له : إن هذا البيت لك ، وكل ما فيه هو لك ، وإن أهلك الذين خلفتهم وراءك هم الآن في البيت ، فلما دخل الشيخ البيت عجب من الحال الواقع حيث وجد البيت مملوءا من المال على اختلاف الأنواع ، فحمد الشيخ الله ، وشكر الأمير حمد شكرا من عميق شعوره ، وفيه قال تلك القصيدة الرائقة التي يقول في مطلعها :

ما بين بابى عين سعة واليمن
سوق تباع به القلوب بلا ثمن

ومشى فيها يتغزل ويشبب الى أن قال متخلصا :

لازلت مقتصرا عليه كما غدا
مولاي مقتصرا على الفعل الحسن

حمد الذى حُمدت جميع خلاله
فطلت به للخلق أخلاق الزمن

وذهب يمدحه مدحا يعبر عن الواقع من المذكور ، لا عن صفات مستعارة أو مختلفة ، وعلى كل حال إن اللها تفتح اللها ، وتنطق العي حتى يظن أنه من الفصحاء أهل النهى •

ولما شاع صيته ، وتحدث عنه الناس تأثر من حديثهم عمه سلطان ، وخاف منه أيضا عمه سيف بن الإمام أحمد لمقدمات جرت بين سيف وأخيه سعيد والد حمد ، حيث قيده هو وأخوه سلطان ، وحمله الى كوت مسكد كما علمت ذلك مما سبق ، وأن الخادم ابن منح أخرجه من الكوت والمدفع يدوى في جبال مسقط ، ووالده في بيت الجريزة ، لهذا ولما بقى في النفوس خرج سيف المذكور الى لاموه من أفريقيا الشرقية من أرض الزنج ، وإذ ذاك خاف حمد من عمه سيف ما يريد أن يصنع في تلك الأرض وهي مستعمرة عمانية .

ولما وصل وجد عمه سيف ميتا ، فرجع الى عمان وبقي عمه سلطان ، وكل واحد منهما يخشى بأس الآخر ، وكان سلطان وسيف متواليين وهما شقيقان ، فعد سلطان مسير حمد الى لاموه ضعيفة وحرجا كبيرا ، حيث إن سيف ترك حمدا لا يعارضه في أمر عمان ، وأضر له العداوة ، فجاء سلطان الى نزارية وادى سمائل كما يقول بن رزيق ، وطلب منهم المناصرة على حرب حمد بن سعيد المذكور ابن أخيه ، فعاهدوه على المناصرة ، فأول شيء عمله اقتحم على حصن سمائل فتولاه ، وطرد منه عمال حمد ، وكان دوخلهم له من جهة السوق ، ثم خرجوا منه حيث طردهم البرج المربع منه ، فلم يقر قرارهم فيه ، وعند ذلك زحف سرحان ابن سليمان الجابري السرحانى على عوامر سيجا ، وكانوا من أنصار حمد متحصنين في حجرتهم ، فاحتلها منهم وشرد بهم ، فغضب حمد على بنى جابر وتأصلت عداوته لعمه سلطان ، فجاء بجيش ضخم ، ولما وصل لم يجد من يكون معه لما جاء به ، ووقعت الخيانة في الجيش ، فتمتلوا له بعلل رأها ترده على ورائه ، فرخص الجيش كله ، وتوجه

هو الى مسقط ، ولم يعول على شىء فى وادى سمائل ، وأعرض عن حرب
بنى جابر ، إذ رأى فى قومه مالا يرغب فيه وللناس أنظار .

ثم رجع حمد من مسقط الى الرستاق ليتفاهم مع أبيه فيما هو
بصدده ، ولما علم سلطان بتوجهه الى الرستاق هاجم سلطان مطرح
بقومه من وادى سمائل ، فدخل عليها من عقبه مراح شرقى الوطية ،
فنهبوا وحملوا أموالا طائلة ، ثم ضرب معسكره بدار سبت شمالى
بيت الفلج ، وإذ ذاك جاءه والى مسقط سليمان بن خلفان بن محمد الوكيل
القائم بها من طرف حمد بن سعيد ، وعنده جمع من خدام وأحرار وعساكر
مسقط ومطرح ، فكان جمعا كبيرا ، فالتقاهم سلطان بمن معه من نزارية
وادى سمائل ، يعنى الغافرية على رأس عقبه دار سبت ، فانهمزم الوالى
وجيشه ، ووقع فيهم قتل كثير ، وجراح أكثر أنختهم ، ورجع عنهم
سلطان وجنده من جبروه ، وبقوا فى دار سبت ، ولم يقدر الوالى أن
يعود عليهم مرة أخرى ، ثم عاد سلطان الى وادى سمائل ، وضاق حمد
بسلطان ذرعا وأهمه أمره كثيرا ، وبعد عهد غير طويل ، تواقف كل واحد
منهما عن صاحبه .

وفى هذا الحال غزا حمد أهل وادى السحتن ، فهدم بروجهم وقهر
قوتهم ، ثم توجه لمسقط وأقام بها أياما ، ثم توجه الى نزوى وحشد
الحشود من قبائل الداخلية ، فهاجم بهلى إذ كانت فى راشد بن مالك
العبرى من أهل العراقى ، وما كان مع راشد المذكور من الرجال المعول
عليهم إلا قدر سبعة رجال ، وكان بينه وبين بنى كلبان عداوة ، وهم
الذين أثاروا حمد على حرب بهلى ، ولم يشعر بهم إلا وهم محيطون
بالحصن ، ومازال راشد بن مالك يهوى عليهم هوى الأسد الضارى ،

حتى كاد أن يخرجهم من البلد ، فضلا عن الحصن ، ولكن القدر قضى عليه فقتل بعد أن هاجمهم سبع مرات بأولئك الرجال السبعة ، فقتل المذكور وقتل معه رجل يعرف بالشمار ، وبقتله سلم الحصن لحمد وتولاه ، فولى عليه بنى هناة .

ثم رجع يريد مسقط ، ونجح حمد في حرب بهلى ، ولكن لم تكن في صالح بنى كلبان ، إلا أن بنى كلبان كان نصيبهم منها شفووا غيظهم من راشد العبرى ، وقد ذكر شكيب أرسلان أعمال حمد في عمان وفي أفريقيا بموجز من الكلام ، كما تراه في العليق والبسط في بعض الأحوال يقتضيه الحال ، ولكن ابن رزيق يدون القضايا بحسب معرفته ، ويضعها بلغته ، ولا يميز بين القبائل بأنسائها ، وإن ذكر القضايا بأسبابها ، ثم جاء المصحح فزاد الطين بلة ، إذ كان لا يعرف المصطلحات العمانية فيأخذها كما يفهمها ، وكان واجب المؤرخ أن يدرس أولا المصطلحات ، وليس له أن يحكم في قضية قبل العلم بتحقيقها .

قال ابن رزيق : وكان حمد يجلب عمه سلطان الى حد بعيد ، كما أن سلطان كذلك كما سوف تراه في كلام الإمام السالمى . قال ابن رزيق : وكان حمد مع عظم هيئته التى سرت في عمان وغيرها ، اذا ذكر عمه سلطان يقول ما أظن أحدا من الملوك أهل القوة والبأس ، إلا دون سلطان . قال . واذا ذكر سلطان حمدا قال : لا نظير لحمد في الهيبة والبأس .

وكان مما حكاه ابن رزيق من اهتمام يرويه عن القاضى سعيد ابن أحمد بن سعيد اليعمدي : وكان كثير الملازمة للشيخ فضل بن سيف اليعمدي ، وهو كان كثير الملازمة لحمد بن الإمام سعيد ، وذات يوم

خرج معه من مسقط الى بركا ، ووصل سلطان نعمان قبل وصولهم ، وكان سلطان يعالج حمدا ليقبض عليه ، ومع ذلك لما قضاوا صلاة الفجر قاموا لقراءة القرآن كما هي العادة معهم ، فاعتزل حمد في جهة خاصة ، وظل يفكر في هيئة المهوم ، وبعد الفراغ قال له فضل اليعمدي : أسألك بالله ما هذا الفكر الذي أنت فيه ؟ قال : أتفكر في ثلاثة أشياء لاطيب للعيش إلا بها ، فقال له فضل بن سيف ما هي ؟

فقال : أولا مهباسة فإن حصنها قوى وحصولها كالمعتذر ، وحلفاء بنى مزروع الونيكة ، وهم قوم كثير العدد ، وقد تحالفوا مع المزاريع على المناصرة لهم •

وأما الثانية : فبمبى الهند فهي بلدة كثيرة العدد شديدة العدة •

وأما الثالثة : وسكت قليلا ثم قال : أعظم شأننا من الحالتين ، وهي الرجل الواصل الى نعمان قبل وصولنا ، ويعنى به عمه سلطان • فجعله أهم من حرب مهباسة في عددها وعصبيتها ، وأهم من بمباى الهندية في قوتها ، فقال له فضل : هو عمك وما معه أكثر من اثني عشر رجلا ، قال هو أعظم من أمر مهباسة وبمبارى شأننا عندي ، ثم أمر بالمسير إليه ، فقربت الخيل والركاب ، ثم توجه إليه في جمع كبير ، وفي أثناء الطريق اذا هم بسلطان ومعه الاثنا عشر رجلا أصحابه ، ولما رأهم سلطان ترجل الى الأرض وترجل أصحابه أيضا للقاء حمد بن سعيد ، وجعل يمشى وخطام ناقته في يده ، فابتدأه حمد بالسلام ، وهو على ظهر جواده ، ولم ينزل كما نزل عمه والجند محيطون به ، فقال : يا عم تفضل معنا للضيافة ، فأجابه سلطان أنت تفضل معنا ومن معك لتقيل في نعمان ، فأجابه بالوفاق وذهب معه الى نعمان ، فقال معه على ضيافته ، وبقي

معه الى الظهر ، ثم رجع حمد وسلطان عمه معه مشيع له الى أخريات الطريق ، ثم رجع سلطان الى حصن نعمان ، فسأل فضل بن سيف حمدا في اليوم الثانى : واجهك عمك سلطان وهو يمشى ويقود ناقته تعظيما لك وأنت لم تنزل من على ظهر حصانك وهو والدك ، فإن العم بمنزلة الوالد ؟ فأجابه حمد : إنى والله لعلى ظهر حصانى ، وعمى راجل ونفسى ما تحدثنى بالسلامة • فقال له فضل : كيف تخافه والجنود والعساكر من حولك ؟ فقال : لو أن سلطانا عمى سل سيفه النجم — وهو اسم السيف — لما بقى معى أحدا أبدا •

وقال آل وهيبة لسلطان وأكثروا عليه : إن حمدا ليس لك بكفوء حتى تترك الملك فى يده ، وأنت قادر على نزعه منه ، فنحن علينا أن نترصد له اذا خرج من بركا ، قاصدا مسقط ، فنيبته ونهجم عليه وأصحابه ليلا ، وبحول الله لنفرقهم عنه يمينا وشمالا حتى تقبض حمدا بيدك ، وتودعه القيد •

فقال لهم سلطان : دعوا عنكم هذا الكلام ، فإن حمدا ليس ممن يقبض باليد ، فلا تتحدثوا بهذا ومازالوا به على هذا الحال حتى خرج حمد من بركا يريد مسقط ، فجاءوا الى سلطان وأخبروه وأنهم بيتوه فى روى ، وأنهضوا سلطانا لهذا الصدد ، وكان سلطان يحاول هذا الأمر من حمد ، لكن بصفة غير محرجة ، وخرج سلطان بآل وهيبة وباتوا بالقرب من مبيت حمد ، فحرك آل وهيبة سلطانا للهجوم فى وسط الليل ، ولم يتحرك ، ولما أصبح توجه الى حمد ، ولم يكن حمد يعلم عن سلطان شيئا حتى رآه مقبلا اليه بصحبه ، فأخذ إيريقا فى يد أحد خدامه وتوضأ وصلى ركعتين ، وبعد ذلك أرسل الى عمه وكان قريبا منه ينتظر فراغه

من الصلاة فلما تصافحا قال لعمه سلطان : أعلم ما جئت له ، وهذا لا يحسن بك ولا يليق منك ، وأنا الآن بين يديك ، فافعل ما بدالك ، فقال سلطان : لا يا حمد لا تظن هذا الظن ، وأنت ولدى وما فى يدك فى يدي ولا ييهم الأمر فكن مطمئنا .

فافترقا وشيع سلطان حمدا الى المطرح ، وأمر له بعبء وافر ، ورجع سلطان الى سمائل ، فقال آل وهيبة : كيف أفلت الرجل وقد تهيأت لك الفرصة ولم يكن عند حمد من السلاح إلا خنجره فقط ؟ فقال لهم : هبته وما كان بسطان وهن ولا روع ولا جبن . ولكن هيبة حمد حالت بينه وبين سلطان وقصده .

وقال الإمام السالى رحمه الله ، وهو يتحدث عن حمد وسطان ، قال : حدثنى من أثق به من أولاد الإمام أنه كان لسعيد بن الإمام أحمد ابن سعيد ولد يقال له حمد ، كان قد طلع طلعة حسنة وثار ثورة مباركة ، فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فى أيام والده ، وكان أبوه بالرستاق ، وكان هو . ببركا ، وكان يطوف بقومه على عمان باطنة وظاهرة ، ثم يأتى الجوف والشرقية يصنع ذلك فى السنة مرتين يتفقد الممالك والرعايا ، وحصلت له فى القلوب هيبة ومحبة .

قال : فدخل على أبيه يوما وكان قد جاء من سفر وأبوه بالرستاق ، وكان بارزا فى غرفة الصلاة ، وكان قد تحزم بديولى بفتح الدال المهمله وياء تحتانية ساكنة وواو مكسورة ولام مكسورة أيضا بعدها ياء ساكنة رداء يعمل من الإبريسم والزرى ، قال : فقام له أبوه ليحييه ،

فلما رأى حمد لباس أبيه لم يتمالك أن تناول الديولى من حزام أبيه
فجذبه إنكارا لما رأى فدار أبوه بذلك دورين أو ثلاثة ، أى جذبه
بعنف وغضب •

قلت : أساء فيما فعل ، وقد أمره الله أن يحسن السيرة مع والديه ،
وأن يصاحبهما معروفا ويقول له الله : (ولا تقل لهما أف) فكيف بمن
يجذب والده حتى يدور دورين أو ثلاثة في حضرة الناس ؟ ! إنها لسيئات
يقع فيها أمثال هؤلاء الناس •

قال الإمام السالمى رحمه الله : وكان عمه سلطان أى عم حمد
المذكور عند آل وهيبة فى سيوحهم الصدرية ، ساكنا معهم أى كان
يحب البداوة لصحتها وما فيها من الفراغ ، وتجميم القلوب • قال : وكان
همه وعزمه هم الملوك وعزمهم ، فأخذ يوما سبعين راكبا وقصد بركا ليقتل
ابن أخيه خوفا على الملك أن يستولى عليه دونه ، فلما وصل بركا وافق
حمدا خارجا فى البلاد على فرس ومعه فارسان ، أو قال ثلاثة ، فلتقى
حمد عمه بالترحيب ونزل عن فرسه وحياه ، ثم ركب فرسه وقال :
أنا قدامكم ، ومضى الى الحصن مسرعا ، فقال أصحاب سلطان كيف
أفلت الرجل وقد عزمت على قتله ؟ ولا تجد له فرصة مثل هذه ؟
فقال : إنى هبته •

قال الإمام : وما كان بسطان من وهن فى باب الرجال ، غير أن
الأقران تعترف للأقران ، قال : ثم أناخ على الكرامة وترخص ومضى ،
فما لبث حمد بعد ذلك إلا قليلا من الزمان ، ثم توفى ورثاه أبوه بأبيات
قال فيها :

واني حمامك يا حبيبي بالعجل
نار تلهب في ضميري تشتعل

الى آخر الأبيات ، ونسى الأب الحنون أخذ حمد الملك عنه وتركه
في الرستاق ، ونسى حين جذبته من حزامه الديولي جذبة دار معها ثلاث
دورات في غرفة الصلاة بحصن الرستاق في ملا من الناس ، لكن شفقة
الوالد وعطفه على الأولاد أمر غير مخفى .

المحل يحل على عمان في عهد حمد بن سعيد

أصاب المحل عمان في عهد حمد بن سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد ، فلجتاح أكثر الفنخل وقضى على المزارع ، وخرج أهل عمان أثر ذلك يلتمسون العيش في الباطنة حتى كادت تضيق بهم : وبلغ في عمان مبلغا حتى بيع دلو الماء في مسقط بعشرة فلوس ، حتى تأثر منه الكثير في عمان ، ولعل أفلاجها يبست منه ابتلاء من الله لعباده .

فخرج حمد بهم للاستسقاء في مسقط ثلاث مرات في ثلاثة أيام كل يوم بواد من أوديتها ، فأجاب الله عز وجل دعوتهم ، وأفاض عليهم غيثا مدرارا ، وأرسل لهم سحاب غزارا والله أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين ، لا يتعاطمه ذنب عباده إذا رجعوا إليه ، وكان حمد المذكور ملازما للصلاة في الجماعة ودراسة القرآن ، ونوافل الصلاة كالضحى والإشراق ، وكان رجلا مهابا وله همة عالية في أولاد الإمام للقيام بأمر الملك ورعاية الأمة ، وبذلك أحبه الناس ، ولكرمه الذي عرف به ، فإنه كان كريما ، وقبل موته جمع جيشا أرعن جعل مخيمه في بركا وهو بنفسه في مسقط .

فلما اجتمع الجيش كما أراد في عدته وعدده ، ولم يعلم أحد ماذا يريد بهذا الجمع الكبير ، بل ظن صاحب الحزم أنه يريد به ، وظن عمه قيس بن الإمام أنه يريد به في صحار ، إذ كانت صحار إذ ذاك في يده ، وظن آخرون أنه يريد حرب ممباسة ، لأنهم كانوا يسمعون منه حديثا عنها وظن كل فريق جهة ، ثم خرج مسقط الى سيح الحرمل قاصدا بركا فأصيب

بالحمى ، فرجع الى مسقط فاشتدت الحمى به ، وظهر عليه جدري كثير ، فكتب الى أبيه بالوصول الى أبيه في مسقط .

وفي هذه الأثناء قدر الله حرق المركب الرحمانى أم مراكبه ، ولما بلغه ذلك زاد مرضه ، ثم توفى ببيت الجريزة من مسقط ليلة الجمعة ثامن شهر رجب سنة ١٢٠٦ ، ودفن وقت الضحى في ظهر الوادى الأوسط من مسقط قريبا من قبرى الشيخين الشقى ، والشيخ الصبحى ، وجعل أبوه مكانه أخاه أحمد بن سعيد الذى سماه باسم جده الإمام أحمد بن سعيد ، وولى على بركا على بن هلال بن أحمد الإمام ، ومضى هو الى رستاقه مقتنعا بها ، والحقيقة أن الرستاق عاصمة مهمة لها شأنها فى عمان .

سعيد بن الإمام أحمد والعبريين

لا يخفى أن أحمد بن سعيد توفي سنة ١١٩٦ ، وقام بالأمر بعده ابنه المحبوب سعيد ، ولم يحسن إدارة المملكة ولم يرضه أهل عمان ، ورأى ابنه حمد أن الأمر اذا تلاثى ستكون عاقبته غير محمودة ، فقام حمد بعد مضي ثلاث سنين منذ تولى أبوه الأمر واحتال على الملك كما تقدم . فتولاه وأداره بمهارة وسار فيه سيرة غير سيئة ، وقام بواجبه حتى توفي في سنة ١٢٠٦ وسعيد بن الإمام موجود على قيد الحياة .

وكان أمر الملك راجعا اليه ، ومازال هو والعبريون على طرفي نقيض حينما يقوم عليهم ، وأنا يصلحهم ، وأحيانا يزحف عليهم بجيوشه فينالون منه أكثر مما ينال منهم .

قال الإمام رحمه الله حاكيا عن الشيخ ناصر بن جاعد رحمهما الله : إن السلطان سعيد بن الإمام قال مال الى نسف الهناوية ، وتكرت عليه الغافرية ، قال : ومن جملة من خالفه العبريون ورئيسهم يومئذ الشيخ سالم بن مسعود ، قال أبو نبهان : فكم مرة جاء الى بلادهم الحمراء بجيوش كثيرة ، وأعداد وفيرة ، ولم يقدرُوا أن يشربوا منها ماء .

قال : ويخرج لقتالهم أناس قلة . قال : وفي مرات لم يعم الجميع بهم فيبادرهم أناس قليلون من الخمسة عشر رجلا أو يزيدون قليلا أو أقل ، وفيهم كبيرهم هذا ، أي سالم بن مسعود ، فيقتلون فيهم ويولون الأدبار ، والقتل فيهم وأهل البلد في هيئة البراز لهم ، وذلك اذا كان

مجيئهم على غفلة منهم • قال : فلما لم يقدر عليهم صالحهم وأعطاهم
العهود والمواثيق بالأمان عليهم جميعا •

قلت : وهذا يدل على تكرار الحال بينه وإياهم ، قال • وقرب أخا
الشيخ سالم بن مسعود وأعطاه عطايا وافرة ، والقصد أن يكون ضدا
لأخيه الشيخ سالم ، وبنى بينه وإياهم صداقة ، ووعدهم بالزيارة تأكيدا
للصحة وتدعيما للصداقة وتعام الألفة بينه وإياهم ، وجاءهم بجيش كبير
وجحفل ضخم •

وكان من سياسته أن ترك معظم الجيش وراء الحورة حتى لا تشمئز
نفوسهم ، ودخل البلد بأناس قلة ونزل البلد ، فقابله العبريون بما يجب
في حقه ، وما يلين بهم في حق الضيف الكبير ، وهم معروفون بالكرم •

قال الإمام : فذبخوا له للضيافة وعظموا الكرامة وقعد معهم آمنا
منهم وهم آمنون منه ، ولما حضر أكابر البلد وكانت نيته أن يقبض
الأكابر ويهلكهم ، فما كان غير قليل إلا ورأى العبريون أن جيشا أحاط
بهم ، فظنوا أن وصول هذا الجيش لم يكن عن أمره ، ولم يكن
عن علمه ، وإنما هو عملا بالعادة أن السلطان تتبعه الناس أين
حل وأن رحل ، ولا سيما في المهمات التي تلم بهم ، فما شعر العبريون
إلا والسيوف تلمع على رعوسهم مسلولة عليهم ، وأحاطت بهم الرجال
من كل جانب ، فقتلوا أولا أخا الشيخ بن مسعود ، وعند ذلك ثار ثائر
العبريين أولاد حكم الصايح كما يقولون ، ودارت المعركة بين الطرفين ،
وكانت بسالة العبريين معروفة ، وشجاعتهم موصوفة •

قال الإمام : وكانوا يفرقون منهم لشهرتهم بشدة البأس ، وقلة

المبالاة بالموت وعدم روعتهم في الحرب ، قال : فانهمز القوم وولوا
الأدبار والقتل فيهم ممن حضر الشيخ لا غير ، قال : ولم يعلم بهم من
في البلد إلا والقوم قد خرجوا من البلد فبعدوا عنهم ، واستمر الحال
بين السلطان سعيد بن أحمد والعبريين عهدا ، فلما تولى الأمر ولده
حمد لم يذكر عنه من هذا القبيل شيء ، وإن هذه الأحوال وما كان من
نوعها أورث سعيد بن الإمام أحمد بغضا في قلوب أهل عمان •

ولا شك أن سوء العمل وسوء التصرف في الأمور يورث صاحبه
الخذلان •

قيام الشيخ أبى نبهان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لا يخفى أن الشيخ أبى نبهان كان من خيرة أهل العلم ، ومن أفضل أهل زمانه ، ولعله لا يماثله أحد هدى وتقوى وعلما ، وآتاه الله جاها ووسع الله له الثروة ، فكان من أغنياء زمانه ، وآتاه الله ذرية مباركة ، فكان في أولاده الرجال الذين يشار إليهم بالبنان كالشيخ ناصر ، والشيخ خميس ، ولم تزل ذرية هذا الشيخ تتوالى على نهج الفضل ، ومازال أهل العلم يخرجون منها حتى في عهدنا هذا .

ولكن لم يكن من صدقنا الآن ذكرهم أفرادا ، وإنما المقام مقام الشيخ العلم الهمام جاعد بن خميس أصبح في عهده كعبة القصاد لمختلف المآرب الدينية والدنيوية ، ولما كان كذلك رأى من الواجب القيام للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حد المستطاع ، وكان أهل نزوى ظهر فيهم السفه وأخذت بهم النفوس الدنيئة الى الأحوال المسترذلة ، فخرجوا في بعض جبال سمد نزوى بنساء مسترايات ، وقام عليهم أهل سمد ، فكانت الفتنة بينهم حتى وقع القتل ، وكان هؤلاء الخارجون من أهل سفالة نزوى ، من خصوص حوائر الوادى ، وكانت الواقعة بينهم وأهل العلية وقت الظهر ، فسلت السيوف ، وأطلقت البنادق ، فوقع أربعة رجال قتلى ، واثنان من الخارجين عليهم ، وكذلك الجراح عم الطرفين .

وكان عالم أهل نزوى إذ ذاك الشيخ سعيد بن أحمد الكندى ، ورئيس أهل سمد كلها الشيخ عبد الله بن محمد الكندى ، صاحب بيت سليل أحدهم حصون نزوى المهمة ، وكان هذا الشيخ زعيما كبيرا في نزوى

لغناه ، وكان جماعته أهل طاعة له ، وكان مسئولا كبيرا في عناية نزوى خاصة ، وكان السلطان سعيد بن أحمد بالرسناق ، فكتب اليه الشيخ سعيد بن أحمد الكندي يقول له :

أما بعد فإن السوقة طغوا وبعغوا ، ونهيناهم مرارا فلم ينتهوا ، فالآن قتل منهم أربعة رجال الى آخر ما جاء في كتابه . ولم يرد له السلطان جوابا ، قام أكابر أهل سفالة نزوى يطلبون من عبد الله بن محمد القتاتين فوعدهم بالغد ، فشاورهم الشيخ سعيد بن أحمد الكندي عالم نزوى إذ ذاك . فمنعه من تسليم القتاتين الى أحد ، لأن الناس أصبحوا لا يؤمنون في شيء ، حيث استولى عليهم المهوى ، فخاف التعدى في العقوبة .

ثم كتب أكابر عقر نزوى الى السلطان بصفة الواقع ، وما وصلوا اليه ، فجاءهم بجيش فلما وصل نزوى طلب من عبد الله بن محمد رئيس سمد نزوى المقتولين ، فاعتذر اليه بأنهم اختفوا عليه ولم يعرفهم ، ثم طلب منه بعد ذلك سبعة رجال ضمانا عنهم حتى يأتى بهم ، فأجابه الى ذلك خوفا منه ، وكان أحد السبعة ولده ، ثم طلب منه بيت سليط ليجعل فيه رجالا من طرفه ، وكان البيت لعبد الله المذكور ملكا بناه في أرضه المسماة سليط ، وكان حصنا منيعا على رأس فلج دارس الذي هو زمام نزوى وعمدتها ، فأبى عبد الله أن يسلمه للسلطان ، ولما أبى من تسليم بيته أضمر له العداوة فاستجاش أقواما وجمع جموعا ، وقبض مقابض نزوى وخصوصا العلية ، واجتمع أهل العلية في بيت سليط ، وفي جامع سمد ، والسلطان وجموعه في الحصن ، وأهل السفالة في حرائرهم ، وأهل العقر في عقرهم ، وبقيت الأمور بين الطرفين غير

مستقيمة من تاسع شوال الى خامس عشر من ذى القعدة ، وكانت القضية وقعت يوم ثامن شوال سنة ١١٩٨ •

ولم تقع في هذه الأيام التي ذكرناها حرب إلا كونهم متقابضين المعائل ، وإنما قتل رجل واحد جامودي من أهل عالية نزوى ، أطلق عليه رصاص من الحورة من بعض رجال السفالة ، ولما تحقق عجز الشيخ سعيد بن أحمد الكندي ، والشيخ الزعيم عبد الله بن محمد عن إخراج المقبوضين من يد السلطان ، رجعوا بأمرهم الى الشيخ العلامة أبى نبهان ، وتناظروا فيما بينهم واستنهضوه لهذه المهمة ، ف جاء الشيخ المذكور يوم خامس من ذى القعدة من السنة المذكورة ، ونزل بالحذفة عند نفسه لا عند أهل العلية ، ولا عند أهل السفالة ، ولا عند السلطان ، وكتب الى السلطان كتابا يقول فيه :

أما بعد فإنى جئت مع نفسى لامع عبرى ولا ريامى ولا كندى ، ولا مع غيرهم ، بل جئت مع الحق ، والحق مع من اتبع الهدى ، وله أردت ، وقد بلغنى أنك قبضت رجالا بغير جنية ، فهذا لا يصح لك ولا يجوز في دين الله ، وفك عقولهم الساعة قبل اليوم ، ولا تتأخر ساعة واحدة ، وعليك من ذلك التوبة •

وكان السلطان يحترم الشيخ العالم أبى نبهان ، فأجابه بالسمع والطاعة ، وأرسل له هدية قبلها الشيخ منه ، وقال السلطان : أنا ما أريد إلا الفاعلين بأنفسهم ، فوعده بهم على أن يأتوه بهم وطلبوا منه أن تكون عقوبتهم في الرستاق لا في نزوى • خوفا عليهم من أصحاب المقتولين ، فأجابهم وأطلق المقبوضين ، ونادى مناديه بالأمان ، وفسح

لأكثر رجاله بالعودة الى أوطانهم ، وطال القيد والقال في هذا المجال ، حتى ولى أهل سمد نزوى أمرهم الشيخ سالم بن مسعود زعيم العبريين على ما سبق بينه ، والسلطان من الحرب المتقدم ذكرها ، وحيثئذ امتنع سالم بن مسعود من تسليم المطلوبين الى السلطان ، بل أذعن بتسليمهم الى ثقات المسلمين لا غير ، وأظهر حقدا على السلطان حيث قتل أخاه في أمان .

وانضم الى الشيخ جاعد الشيخ سالم بن مسعود ، وأخيار المسلمين الذين يرون الشيخ جاعد الرجل الفذ في وقته ، ومع ذلك كاتبهم أخ السلطان سلطان بن الإمام أحمد في القيام معهم على أخيه ، فاشترطوا عليه أن يكون الأمر الى خيار المسلمين ، فيقدمون من يرونه أصح للأمر ، فوافقهم فقبلوا منه وطلبوا وصوله ، وشاع الحديث عن هذا الصدد ، فجاء سلطان بن الإمام الى وادى بنى رواحة فمنعوه من الطريق ، لأن شفيعهم عند أخيه سعيد ، ولعل ذلك المنع كان عن تعارف بينهم وبين السلطان ، فلم تتم عملياتهم ، ولو أراد الله لها إتاما لجاء سلطان وادى العق ، وأصبح معهم في نزوى ، ولكن الأمور تجرى بمشيئة الله عز وجل ، فقوى أمر السلطان سعيد برجوع أخيه سلطان بن الإمام أحمد .

وبقيت الأمور في نزوى تتراعى في لجنة المحاولات ، ولم يستقر للناس قرار على أصل صحيح ، والأحوال أقرب للخوف منها للأمن ، والسلطان على كل حال غير مأمون الجانب ، والشيخ جاعد في مناخه المعروف ، والناس تتوافد اليه ، والسلطان في الحصن ، ورأى الشيخ جاعد اجتماع الناس حوله والتفافهم عليه ، وأن العلامة الجليل الموقر في الأمة ، تحركت نفسه لإقامة سنن العدل وإعادة السيرة التي سار عليها الأئمة في عمان ، وذلك واجب كل مسلم عند الإمكان .

قال الإمام السالمى رحمه الله : وأما أبو نبهان فإنه لما نزل الحذفة من نزوى ، ورأى القبائل متجمعة على السلطان ، أحس في نفسه القوة على ما كان يحاول ، فأخبر عن نفسه أنه نزل الحذفة ليكون غير واللج معهم ، وفي معزل عن غيرهم لمعنى أراداه ، قال : ثم أرسل الى السلطان يخبره بنزوله بها ، وأن أمره اليه لا الى غيره الى آخر ما ذكر .

وحاول الشيخ ومن معه دخول العقر ، لأنه أحد حصون نزوى المعروفة ، وفي أنفسهم اذا دخلوا العقر تمكنوا من الأمر ، لأن العقر فيه كل ما يستدعيه الحال من المال والرجال ، والتحصن فيه من هجوم كل ضد لهم خصوصا عند الاتحاد ، وكل المحاولة زوال السلطان ، ورد الأمر الى أهل العلم والإيمان وبتمكنهم من العقر تكون لهم قوة على الحصن .

أما القلعة فهي أيضا ميسورة المنال ، اذا قبضوا على العقر والحصن ، ولكن لم يكن التوفيق إلا من عند الله ، وما النصر إلا من عنده ، ولكل شىء سبب ، وشاء الله ألا يتم الأمر الذى أراداه الشيخ أبو نبهان لأمر أراداه الله فى أزله ، ولا يكون إلا ما يريد الله عز وجل ، وبعد محاولة من الشيخ ومن معه لدخول العقر ، اقتضى النظر الاقتحام عليه من السور ، فقلوا عليه السلام ودخلوا فى الثلث الأخير من ليلة ثامن عشر من ذى القعدة سنة ١١٩٨ ، والسلطان نائم فى حصنه ، فلما انتبه من نومه قال له بعض أصحابه : نخرج على القوم قبل أن يتكاثروا ، فقال السلطان : لا ، لأننا لا نعلم الدولة الداخلة قليلة أم كثيرة ؟ وخاف السلطان الخديعة فاقضى نظره الخروج من البلاد ليستجيش أقواما يعزز بهم قوته قبل أن يحاط به فى حصنه ، وتسدد عليه طرق المواصلات ، فبقى محصورا ، ولا يعلم ما وراءه .

فخرج حالا في نفر قليلين ، وكان خروجه من باب السوق على خيل وركاب ، ومضى الى ابراء من الشرقية ، وحشد أهلها ومن نواحيها من هناوية الشرقية ، من حيث استطاع وضل في مخرجه ذلك سبعة أيام يجمع الجموع ، وأبو نبهان ومن معه في العقر محاصرين للحصن ، ولعلمهم استهانوا بأمر السلطان فظنوه هاربا منهم ، ولعله لا يعود خوفا منهم ، واذا به عشية الأحد ، بعد سبعة ، يصبحهم بجيش عرمرم كالجراد المنتشر ، من الجنود ، ولا يخفى أن الناس تتبع السلاطين طمعا فيما معهم ، وإذ ذلك خرجوا لهم في سعال ، وكان هؤلاء الخارجون أبطالاً جربتهم الأيام وجربوا الحروب ، وهم في بسالة معروفة ، الأمور تجري بمشيئة الله عز وجل .

قال أبو نبهان نفسه : إن في الخارجين من أولى الشدة والبأس يقاتلون كثيرا ، وإن قلوا يعرفون بذلك ، وهو يشير بذلك الى الشيخ سالم بن مسعود العبرى وجماعته ، قال : كانوا معروفين في قتال السلطان غير مرة ، وفي قتال غيره ممن هو أقوى منه ، فلا يقدر عليهم بحيلة . قال : وفي هذه الواقعة تولوا على ورائهم منتهزمين في الحال ، من غير ما قتل ولا قتال ، لأمر أراده الله تعالى في بقاء هذا السلطان ، على ما هو عليه من البغي والعدوان ، والغى والطغيان ، وعسى أن يكونوا كذلك أهلا ، كذلك لا مرد لأمر الله ، ولا معقب لحكمه ، ولا بد من كون ما في سابق علمه .

ثم رجع الشيخ أبو نبهان الى العقر بمن معه ، ونزل السلطان في جامع السوق ، ونزل جيشه معه حتى ملأ حوائر الوادي والبطحا ، أى المسيل المستطيل الى برج القرن ، وبهذا أصبحت محاولة لا أثر لها ، فقام ناس بالصلح بين السلطان والشيخ ، وقال الشيخ أبو نبهان : إن السلطان أرسل اليه مع أناس من أعوانه كتابا يدعو فيه الى الصلح ،

فأجابهم الى ما طلبوه لما رأى أنه فاته مارلم بالتخاذل عن القيام
لقهر البلاد ومجاهدة أهل العناد لإرضاء رب العباد ، ووصل ناس من
أولى الشدة والبأس ، ففرح الشيخ بهم وأراد منهم أن يقفوا على
الأسوار خوف هجوم العدو عليهم ، فلم يجد منهم إلا الخذلان ، بل
سمع منهم ما يسوءه مما يخالف أملة ، بل أراد منهم الوقوف على الأبواب
والاسوار الى الصباح فقط ، ولم يقدر عليهم ، والحقيقة لا لوم عليهم
حيث جنود السلطان محيطة بها وربما وجدوا عند السلطان المال
ولا يجدونه عند الشيخ ، وهذا هو الزمام الذى يقود الناس من أنوفها ،
وبالأخص السواد الأعظم .

وهذا الحال هو الغالب فى كل أمة ، وكل زمان ، وحالة الشيخ هنا
ضئيلة جدا ، فلا معاش ولا عتاد ولا سلاح ، فلا لوم عليهم على هذا
الحال ، وأشار على الشيخ أحد أصحابه بجبر أهل البلد أن يبايعوهم
الطعام بالقيمة ، فأبى أن يجبرهم إذ لم يصح معه أن لهم فضلا عن
حاجتهم .

قلت : ولو جبرهم لجاءوا بالسلطان على الشيخ حالا . قال
الشيخ ناصر بن أبى نبهان يعنى والده : أجاز جبرهم على بيع الطعام
لمثل هذا الأمر الذى ذكره أن لو عرف أن معهم فضلة عن فوتهم لسننتهم ،
وكان الشيخ أبو نبهان فيما حكاه عنه الشيخ ناصر أن دخوله فى هذا
الأمر ، لأن أخ السلطان وعدهم بالإعانة على حرب السلطان ، وقد هيا
الأشياء اللازمة كلها ، ولكن حيل بين ما يشتهى وبينه ورجع القهقرى ،
وكل ذلك فى صالح السلطان لأمر أراده الله عز وجل .

ولما قرر الشيخ (الخروج) من العقر لم يقف بنزوى وأراد أهل
سمد وقوفه معهم فلم يوافقهم لما رآه من (فشل) ما خطط ، وانهار

ما بنى ، وراوده الشيخ سالم بن مسعود زعيم العبريين ومن معه من
أبناء عمه الأبطال الذين عرفهم الشيخ زايد بن نبهان وغيره ، إلا أن
الوقوف يحتاج الى ألوف ، وأن الرجال تحتاج الى مال والدول ،
خصوصا في أول تأسيسها وهذا من لا ينكره عقل ولا نقل .

قال : ولما تحقق خروج الشيخ من العقر ثم من نزوى خرجت
جنود السلطان الى سمد نزوى فواقعوا بأهلها قتلا وتشديدا .

سلطان بن أحمد يحتل ملك عمان

كان سلطان بن أحمد أكثر مقامه بسمائل عند أخواله الجبور ، فاذا خرج من سمائل لهم عاد إليها خصوصا بد وفاة أخيه سيف بن أحمد شقيقه ، وكان صاحب همة عالية وعزيمة طائلة وكيف لا وأبوه أحمد ابن سعيد وأخواله آل محمد بن ناصر ، وما زال العداء بينه وأخيه سعيد مستمرا لا سيما لما تولى الأمر حمد بن سعيد ، وقام قياما حمده فيه الناس اهتم بذلك سلطان اهتماما فوق الحد ، وحاول قهر حمد مرات بدعوى أن حمد ولدنا ونحن آباؤه لا يمكن أن يتولى علينا ، حتى اذا قضى الله على حمد ، وعاد الأمر الى سعيد مرة أخرى ، خرج عليه سلطان وتولى عليه الأمر برغبة أهل عمان فيه وإعراضهم عن أخيه ، ولم يبق في يد سعيد بن الإمام أحمد إلا الرستاق •

وعلى كل حال زالت عنه دنياه وزال عنه أهلها ، ومقتوه لا سيما اذا كان مطاعا من أجلها ، وكان سلطان رجلا عاقلا ذا رأى وتدبير ، وأحسن الى الشيخ أبى النبهان ورعاه واحترمه ، ولم يأنس منه شيئا يكره أبدا ، واستراح في أيامه أبو نبهان وذريته ، وقام في عمان مقاما حمد فيه من الجانبين الهناوى والغافرى ، وألف بين الناس وساد الكل على وتيرة أبيه أحمد بن سعيد ، وزاد بالبذل فإنه كان مبسوط اليد لا يرد سائلا ولا يدخر عن قومه شيئا يستطيعه ، فكان الناس معه بطبيعة الحال يوقرونه برغم ما يرون مما يؤثر عليهم من أمر الهناوى والغافرى •

قال أمير البيان : وانتزع سلطان مدينة بركا من يد علي بن هلال كما قدمنا ، ثم أخذ مسقط واستبد بالأمر ، قال : وفي سنة ١٧٩٨ في ١٢ أغسطس انعقدت بين شركة الهند الإنكليزية (معاهدة) أمضاها جون مالكولم سنة ١٨٠٠ بين الشركة المذكورة وبين سلطان على بعض المسائل التجارية ، قال : وتبعها معاهدة أخرى بينه وبين الإنكليز أمضاها جون المذكور ، يحق بموجبها لإنكلترا إقامة معتمد بمسقط ، قال : وأخذ يمد سلطته في البلاد ، فانترع من يد أخيه سعيد ثغرى السوق والمصنعة ، وافتتح جزائر قشم وهرموز والبحرين في الخليج ، وجعل ابنه سالما أميراً عليها .

قال : إلا أن قبيلة العتوب التي كانت تلى أمور تلك الجزر عادت فاسترجعتها ، وطردت ابنه منها ، قال : وفي هاتيك الأيام غزا الوهابيون عمان ، واجتبوا الزكاة من الظاهرة ووقع الخوف من تقدمهم الى الجنوب وكان سلطان قد حج تلك السنة ، فلما عاد من الحج وجد البلاد في المقيم المقعد .

قال : فعقد مجمعا قرر فيه النفير العام لصد الوهابيين ، فلما بلغ ذلك قائد الحملة الوهابية ، عجل الانصراف وظهر أن الأمر استوثق سلطان إلا أنه بقضاء الله وقدره ، هلك بعد ذلك بقليل في قصة عجيبة ، وهي أنه زار البصرة وبينما هو قافل منها زل من سفينته في مرسى لنجة ، وركب قارباً قاصداً بندر عباس ، وكان الوقت ليلاً فالتقاه ثلاث قوارب عليها رجال فتقاتلوا وأسفرت المعركة عن مقتل سلطان ، وذلك في ١٣ شعبان سنة ١٢١٩ الموافق ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٠٤ .

قال ابن رزيق : كان سلطان طويل القامة ، جميل الصورة شجاعا بطلا صنديدا ، لا يعبأ بكثرة أعدائه اذا كان في قليل من أهل خاصته فضلا عن الكثير منصفاً من الظالم للمظلوم ، وقد احتل حصن بركا من على بن هلال ابن أخيه ، وفي حال هجومه على حصن بركا صادف رجلا من العسكر خارجا يريد السوق لقضاء أغراضه ، فقتله أصحابه وقتل سلطان بواب الحصن بخنجر طعنه بها ، فأرداه قتيلا •

كان هو ومن معه اثني عشر رجلا فقط ، فيهم خميس بن راشد الهنائي ، ومصباح بن غريب القريني ، ومحمد بن حمد الوهبي ، وسالم ابن ثاني الجابري ، ثم دخل الحصن فلم يقدر من فيه على معارضته ، بعث رسولا الى الطو يطلب منها رجالا ، فجاءه مائة رجل فرقمهم في مقابض الحصن ، ولم يبق فيه أحد من رجال على بن هلال إلا بنو رواحة في القلعة تقبضوا فيها ريثما يؤدوا واجبهم ، ويتضح عذرهم ، ثم نزلوا منها •

وكان نزولهم على يد شيخهم ربعة بن أحمد الرواحي من أهالي محلة الجنية من بركا ، وحملوا كلما لديهم من آلة وعدة ، وأتى سلطان أخواله الجبور وأمدوه بالمؤونة اللازمة من تمر وأرز وسائر الحوائج ، وأرسل كتبه ورسله الى المعاول ونخل وسماثل ، وطلب منهم أن يلاقوه في القرم من أعمال مطرح ، فجاءه القوم الذين طلبهم بحسب الميعاد الذي قرره لهم ، فاجتمع معه جيش ضخم •

ولما علم على بن هلال بما وقع من سلطان من احتلاله حصن بركا وزحفه على مسقط ، أنبه أبوه ولامه وعض على أصابع الندم ، ثم أمره

أن يتدارك مسقط فيأتيها من طريق البحر قبل دخول سلطان لها ، فجاهد
المصنعة وركب منها سفينة تنقله الى مسقط ، وكان من قدر الله أن وصل
على بن هلال مسقط قبل سلطان ، وتمكن منها لأن سلطان إذ ذاك بعده
في القرم ، وكان سلطان كتب من القرم الى أهالي مسقط ، وأن لهم
الأمان على أموالهم وأنفسهم ، ولم يشعر أن على بن هلال فيها ، وكتب
أيضا الى رزيق بمثل ما كتب للتجار والأهالي ، وأمره أن يتصل بهم
ويبلغهم عنه ما قصد له .

وكان رسوله سعيد بن مصبح الرواحي ، ثم صار الى أحمد بن
سعيد وعلى بن هلال ، وأخبرهما ما وصله من عمهما وأراهما كتابه ،
وعندما أطلعا على الكتاب تكلمما بكلام ظاهره يعبر عن قدرتهما على
معارضة سلطان ، ولكن عندما تحقق الأمر إذ بهما دون ما قالا ، واذا
بسلطان يدخل مسقط ، ولما نادى المنادى بدخول سلطان مسقط لم
يقدرا على الخروج لما قالاه ، فهجم سلطان على الباب الكبير فقتل من
أصحابه ستة رجال ، فانهزموا عنه ثم كروا عليه الثانية فقتل منهم ستة
رجال ، وانهزموا أيضا ، ثم جاءهم على بن عبد الله شيخ بنى وهيب ،
وكان قابضا للباب الصغير من طرف أحمد بن سعيد ، فقال لسلطان
وأصحابه أنا أدخلكم فأدخلهم من الباب الصغير بغير شيء ، فلما دخلوا
قال سلطان لعلى بن عبد الله : قبحك الله يا خائن ، اطرده من هنا فطرده
جزاء خيانتته ، وترك بالباب المذكور سرحان بن سليمان الجابري ، ومعه
مائة رجل من جماعته .

ثم دخل سلطان الجريزة وهي إذ ذاك الحصن الكبير في رقعة
مسقط ، وكان دخوله من الباب الشرقي المقابل لدكان محمد بن حبيب

الرمحي الصائغ ، ودكان عبد الغفور الصائغ مولى الحرث واشتبك القتال في مسقط من الجلالى والميراني ، ونادت مدافعهما بفتح الميدان ، وزحف محمد بن خلفان على عقبة كلبوه ، وكان من أنصار سلطان ، وكان القابضون العقبة رجال حمد بن سعيد ، وعلى بن هلال ، فانهزموا وقبض محمد بن خلفان العقبة المذكورة وهى باب من أبواب مسقط .

وما زالت قوة حمد بن سعيد والى مسقط تضعف وقوة سلطان تتقدم ، ثم سلمت الصيرتان وهما القلعتان اللتان على ميناء مسقط ، وكذلك القطع البحرية سلمت لسلطان ، وبذل محمد بن خلفان فى نصره سلطان النفس والنفيس ، ولما تمكن سلطان من مسقط كتب الى أخيه قيس : أنى قبضت مسقط لك ، وإنما أنا سيف دولتك وأنت أولى بالأمر منى ، فإذا أتاك كتابى فانهض بقومك وعسكر بهم فى وادى القاسم ، وعليك أن تشغل أخى وأخاك سعيد عن الزحف لمسقط و فيكون قوة لولده حمد وابن أخيه على بن هلال ، وتطول الفتنة وتكبر الى حد بعيد .

فقام قيس كما أراد سلطان ، وضرب معسكره فى وادى القاسم مهددا لأخيه بالمعنى المفهوم ، إنك اذا توجهت لمسقط فأنا أتوجه للرسناق ، وأن سلطان ما دخل مسقط إلا بإذنى ، ولا قام لها إلا بأمرى ، فكن مكانك فى رسناقك ، واترك ولدك وسلطان وشأنهما ، وأنذره بالتهديد .

فوقف سعيد بن الإمام مكانه ، وبقي سلطان وحمد وعلى بن هلال ومن معهما فى صراع لمسقط ، ولكن كان أمر سلطان يتقدم ، وأمر الرجلين يتأخر ، وخرج محمد بن سليمان العدوى من الحصن الشرقى لينهب بيت أولاد عمه ولما بلغ الخبر سلطان وهو فى بيت الجريزة ،

قام كالأسد الخادر المغضب ، فلما رآه محمد بن سليمان ومن معه مقبلا عليهم هربوا منه فلم يتمكن منهم إلا على رجلين أرادهما قتيلين ، وأما الباقيون فدخلوا الحصن الشرقي ، وكان محمد بن سليمان المذكور في حال هروبه صادف مسعود بن محمد بن سيد بن عبيدان ، فطعنه برمح في أنفه وأخرج السنان من عنقه ، وقتل من أصحاب سلطان رجلا ظاهريا برصاصة أرادته قتيلا فهات أما مسعود ، فيقال إنه عاش بعد سلطان عهدا .

وفي هذه الأثناء قام أهل الخير الذين لا يحبون الفتن ، ولا يرضون بها في الوطن ، فسددوا الحال على أن يبقى الحصن الشرقي لسعيد بن الإمام ، والحصن الغربي في يد محمد بن خلفان بن محمد الوكيل ، باسم سلطان ، ولقيس بن الإمام حصن المطرح ، وخراجها وكل أمرها إليه ، ودخل مسقط لسلطان وعليه تموين الحصن الشرقي الباقي باسم أخيه سعيد ، وتموين المراكب الراحية في البحر ، ويكون محمد بن خلفان هو والى مسقط ، وهو عامل سلطان وأن سلطان يقيم بالجريزة مادام في مسقط .

وبقى الأمر كذلك مدة ثم خرج حمد بن الإمام سعيد من الحصن وولى أمره محمد بن عبد الله الشقصى بأمر أبيه ، وخرج على بن هلال من الحصن الغربي وسلمه لمحمد بن خلفان والى مسقط ، وقبض قيس حصن المطرح وترك فيه عماله وكل واحد منهم يتحين فرصة الآخر حتى جاء ذات يوم سلطان مسقط على حين غفلة من أهلها ، وإذا بمحمد ابن عبد الله الشقصى في الجريزة ، فجاء ليسلم على سلطان فقبضه وأمر أن يكتم ومن حظه سلم من القتل ، بل قال له سلطان : حياتك بتسليم

الحصن ، فسلمه راغما ولم تنفعه الحيل التي أبدأها بين يدي ذلك البطل
الذي مازال أمر مسقط ممتزجا بدم دماغه •

ولما قبض سلطان الحصن سلمه الى الجبور وجعل الأمير عليهم
أحد خدامهم يسمى محيسن بن سعيد المعروف بالزهبي ، وكتب سلطان
لأخيه قيس بقبض الحصن الشرقي وأنه لك ليهدىء الحركة وكن واقفا
لأخي سعيد مراعيأ حركاته وسكناته ، وانتهى أمر مسقط الى سلطان
وبقى محمد بن خلفان في مسقط بصفة وال لسلطان ، ولكن لكل واحد
عملية يدبرها نحو صاحبه ، فقام محمد بن خلفان بينى الحصن الغربى
ويقويه ، ويضاعف له العدة ويشيد أركانه ويجلب له المدافع القوية
ويزيد فيه الرصاص والبارود ، ويملا مخازنه بمثل هذه الأحوال من
الرصاص وآلة الحرب •

محمد بن خلفان يتحضر لحرب سلطان

لقد حاول محمد بن خلفان الاستقلال بأمر مسقط عن سلطان ، وكل يرغب أن يكون ملكا ، رأى محمد بن خلفان في نفسه قوة على قهر مسقط والاستبداد بها عن غيره ، وليس بين ذلك إلا أخذ الأهبة للدفاع عن الحصون بالمعدات وبالرجال ، إذ كان العمانيون وحدهم ، بعث محمد ابن خلفان الى خصيف بن مطر الهنائي أحد الرجال المقادير في بني هناة ، يطلبه للوصول الى مسقط بمن عنده من الرجال الذين هم ممن يعول عليه ، فجاءه بمائة رجل من بني هناة من خاصة بنى عمه وأقاربه ، ولما وصلوا قابلهم محمد بن خلفان بالجميل وانبسط لهم ، وبسط لهم اليد وأعطاهم العطايا الوفيرة ، وأحسن إليهم تماما وأنزلهم في الحصن الغربى ، ولا يخفى أن مائة رجل في مثل ذلك الحصن ، وفي مثل ذلك الوقت ماذا يخرجهم إلا القدر .

وجعل خصيف المذكور واليا عليهم ، ثم ذهب واشترى عبيدا من الزنوج وكانوا يجلبون بكثرة فحلاهم بالخنجر والسيوف ، وهى إذ ذاك من سلاح الوقت ، ولما بلغ هذا الحال سلطان بن الإمام أوجس منه خيفة ، وحاك في نفسه ، وتأثر من هذا العمل عليه محمد بن خلفان .

وظاهر الحال أن محمد بن خلفان يخدم دولة سلطان ، فالناس من هذه الناحية تقدره كما ينبغى ، ولكن سلطان ذلك العبقري المحنك الذى أعطته أيامه دروسا من مراسم السلطنة ، وعلمته ما ينبغى أن يفعل من حيث لا تدري الأيام وأهلها ماذا يفعل ، فإن الله عز وجل خلق عباده

كلا لعمل ، ومنهم لقصة من ثريد ، فتغافل سلطان أعمال محمد بن خلفان ، وكأنه لم يستنكر منه أصلا .

ثم خرج سلطان من بركا يريد مسقط ، ومعه زعيم آل وهيبة محمد ابن حمد في مائة رجل من جماعته ، فركب سلطان بهؤلاء الرجال ومن انضاف إليهم من خاصته سفينة ومعه أيضا بدر بن أخيه سيف ، وكان سلطان كما هو الفطن اليقظ ، وخبرة الحصن عنده بتمامها وكان للحصن المذكور باب سرى من ناحية البحر أعد للطوارئ المباغثة ، وكذلك أيضا للحصن الغربى ، وكذلك لحصن مطرح ، وكانت هذه الأبواب مغطى عليها ومحفوظة بحرس خاص .

فدخل سلطان من هذا الباب المشار اليه وهو من جهة مغرب ، أى الجانب الشرقى ، فشاع في البلد دخوله وأشيع أيضا أنه مصاب بالحمى الجدري فلما بلغ محمد بن خلفان هذا النبأ ، وأن سلطانا في الحصن ، وأن به جدريا ، توجه محمد المذكور وأبوه خلفان وأخوه على ليعودوا سلطان ، فلما كانوا بالجريزة لقيهم ماجد بن خلفان أخو محمد بن خلفان ، وأخبروه عما توجهوا له ، وما بلغهم بسلطان من مرض الجدري ، فقال لهم ماجد ما بسلطان شىء من مرض أبدا ، ولا تتعرضوا لنقمته منكم ، وإياكم والتقدم عليه وما هى إلا إشاعة حيلة ليصطادكم بها ، وانتركوا سلطانا وحصنه ، ولا توقعوا أنفسكم فى الشبك ، وقد علمتم بصنيعه فى الشقى ، وله من هذا النوع نوادر .

فلم يرق كلام ماجد لأخيه محمد ، ولم يصنع له فتوجهوا إليه واذا به بارزا فى صحن الحصن لا بأس به ، وعند ذلك أوجس محمد بن خلفان

خوفا من سلطان ، فلما أرادوا الخروج قال سلطان : أما أنت أيها الوالد خلفان فمرخوص ، وأما ولدك محمد وعلى فلا . فقل له خلفان بن محمد : وما تريد من تأخيرهما ؟ فقال : أريد الحصن الغربى ، ثم أشار الى قبض محمد بن خلفان فقبض ، وأخذ الى الحبس ، فهبط خلفان والد محمد مذعورا مرتاعا يقول لمن يلاقيه قبض محمد قبض محمد .

أما على فرخصه سلطان بعد ذلك ، لأن المقصود بالذات هو محمد ابن خلفان ، وغاية ما عند ماجد أن ركض هو وخصيف بن مطر على أهل السوق لينهبها أهل السوق ، لما تحققت حبس محمد بن خلفان ، فنهبوا ما قدروا عليه وما أمكنهم ، وبذلك طافت على أهل مسقط موجة ذعر عارم وابتأس الناس ، فإن الشر كالنار يأكل ما يلقى ، وأغلق التجار دكاكينهم ، وصك الناس على أنفسهم بيوتهم ، وملا الخوف البلاد ، لأنهم يعلمون أن عند سلطان بدو وهيبة ولبسوا بأقل شرا من غيرهم .

وكان ماجد وخصيف أرادوا بذلك الاعتداد لحرب سلطان ، ونشرا علم الحرب المعتاد إعلانا بذلك ، واذا ذلك أرسل سلطان الى رزيق بن بخيت جد المؤرخ المعروف ، وأمره أن يأخذ معه ناسا فيهدم مباني محمد بن خلفان في مسقط ، فقال له رزيق : يا مولاي هذه مبانيك ومحمد ابن خلفان عاملك لا يملك شيئا فلا تخربوا بيوتكم بأيديكم ، فوافق سلطان ، ولكنه أمره بقتلها على ما فيها ، لأنها بيت مال ، وما فيها راجع الى السلطان وأمره أيضا أن يرسل الى القطع البحرية بإطلاق مدافعها على الحصن الغربى فصدده رزيق بدعوى أن الحصن أعلى منها اذا ضربها دمرها ، فتركها سلطان .

ثم دخل رزيق على محمد بن خلفان في الحبس ، وناصحه بتسليم الأمر لسلطان ، فامتنل فسلمها لسلطان وأمر خصيف الهنائي بالتخلي منها وبالخروج عنها ، وبعد أخذ ورد ، وبوساطة الشيخ ماجد بن سعيد البروانى ، أن يحمل خصيف من الحصن ما يريد ، وانتقل محمد بن خلفان الى بيت الفلج هو وخصيف الهنائي ، وكان معه خمسون رجلا من جماعته ، وكذلك حصن المطرح استخلصه سلطان من يد عمال قيس بن الإمام بعد ضرب مدفع ، وإطلاق نيران البنادق ، وبقي اثني عشر يوما ، وكل يوم والمدافع ترسم التاريخ ، وفي النهاية انتهى أمره الى سلطان بحرب محمد ابن خلفان في بيت الفلج ، ثم سحب سلطان المدافع التي في أسوار بيت الفلج وبروجه صلحا بينه وبين محمد بن خلفان .

سلطان بن الإمام يحصن مسقط

لما قبض سلطان مسقط ومطرح ، وقص أظافر محمد بن خلفان بسحب مدافع بيت الفلج ، انتفى المحذور ، وإذ ذاك أقبل سلطان على تحصين مسقط فأمر ببناء قلعة ضخمة على أرض الراوية ، لتكون حصنا لمسقط في ذلك الثغر ، لأن أكثر الداخلين لمسقط المهاجمين لها يدخلون من ذلك الثغر ، فقام خلفان بن ناصر البوسعيدى الذى ولاء سلطان مسقط ببناء هذه القلعة ، فبناها وبنى البرج المقابل لها كحامية لها ، وبنى البرج الآخر الشرقى الجنوبى كذلك ، فتم ببناء الجميع فى ثلاثة أشهر ، وجعل سلطان فى هذه المباني رجالا انتخبهم واليه المذكور وحصن مسقط تحصينا كاملا لعلمه أن إخوته لا يقلون عنه عزما وهمة وأنهم ينظرون إليه شزرا .

ولا شك أن الملك لن غلب ولا بد أن يتحركرا يوما ما لمهاجمة مسقط .

قيس وسعيد أبناء الإمام يحاولون حرب سلطان

لما تبين لقيس وسعيد أن سلطانا يحاول أن يكون السلطان اسما ومعنى ، وهم كلهم أولاد الإمام أحمد بن سعيد ، ولا خصوصية لأحد ، لكنه لا بد أن يكون السلطان أو الإمام أحدهم لأنه ليس من المعقول في الأمم كلها إلا هذا ، أما كونهم يتقاتلون على السلطة والرئاسة ، فهذا ليس من الحق في شيء ، بل هذا الحال هو الذي نهى الله عز وجل عنه بقوله : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) .

واختلاف الكلمة وتلاشى الأمور مما يثير الضغن ، ويدخل العدو على الصديق والاعتبار بالماضين أكبر مرشد لأهل العقول ، وأصدق شاهد على ما نقول ، لكن أنفس الزعماء ممزوجة بحب المنافسة ، وكان قيس بن الإمام حاول العمانيون أن يبائعوه بالإمامة ، ولكن لم يكن التوفيق حليفهم .

وقد مر عليك أيها القارئ الكريم ذلك ، وأما سعيد فهو الذي تولى الأمر بعد أبيه ولكن لم يسعده الحظ ، وأما سلطان فهو الذي مازال يحاول السلطنة في عمان ، لما يرى في نفسه من القدرة عليها وهو الرجل العبقرى الفذ الصريح ، وكان عاش وقتا غير قصير في بادية وهيبة في سيوحهم الحدرية كما قال الإمام السالمى رحمه الله .

وكان كل ما لديه من وعى وإدراك يحاول به السلطنة في عمان حتى هذا الحال الذى تمكن فيه مسقط ، وقام أخواه يستجيشان عليه وأكبر

محرك لهما محمد بن خلفان المحل الذي أخرجه سلطان من مسقط والمطرح
راغما ، فتعاهد قيس وسعيد ومحمد بن خلفان على حرب سلطان ،
فاستجاش قيس من الظاهرة والباطنة خلقا ، واجتلب حتى العفار الذين
هم بين عمان وظفار فقيل إن جيشه بلغ ستين ألفا ، وجمع سعيد بن
الإمام أيضا من جانب الرستاق من استطاع ، فلما بلغ أمرهم سلطانا
أهمه جدا فأرسل الى أهل الشرقية ومن يأمل مناصرته من أهل عمان
الى جعلان ، ولم يأتته إلا ماجد بن سعيد البروانى ، وكان هو الرئيس
على الحرب ، ولم يكن معه إلا قدر مائة رجل فزحف قيس وسعيد
بجيشهما الى القوم من ناحية الوطية ، وضربا معسكرهما وملا جيشهما
تلك الرقعة كلها .

فما كان من سلطان إلا أن أمر بإشعال النيران بالسليط في جبال
بيت الفلج ، وروى وما إليها طول الليل ليوهم قيسا وسعيدا وقومهما
أن الجبال كلها مملوءة رجالا ، وما كان عند كل نار إلا واحدا واثنان
يوقدان النار في السليط على الخرق والجوانى ، فظن قيس وسعيد أن
عند سلطان جيشا ملاء السهل والجبل ، والحقيقة ليس معه إلا رجال
ماجد البروانى ، وقليل من الجماعة ثم إن سلطانا أرسل الى قيس كتابا
يقول فيه : إذا وصلت كتابى هذا فامض بقومك مسرعا الى بدبد ، وأقم
بها حتى آتيتك لأخلص لك بدبد وسمائلك وذر مسقط حتى نتقاهم نحن
وإياك فيما بيننا ، وأوهمه أشياء .

وكان قيس تغلب عليه سلامة الصدر ولعل قيسا تخيل أن بدبدا
مضيق عمان وبقبضها سيكون القوى على الداخل والساحل ، فلما

وصله كتاب سلطان تلقاه بالصف وتأثر به ، ورأى فيه النجاح ، فارتفع
حالا الى بدبد وعسكر بها وتفرق جيشه إلا ما شاء الله .

فلما ترحزحوا عن مسقط ، وانحلت الأزمة الداھمة أحكم سلطان
قبض مسقط ، وأتم عملياته فيها بأسرع ما أمكن ، ثم خرج على طريق
حطاط الى سمائل ، فلما وصلها صرخ في أهل وادي سمائل بأن قيسا
جاء بالداھية الدھياء ليفعل أشياء تكون وبالا على البلاد ، وعنده من
لا يعرف الصديق من العدو ، فاستثار حماس القوم ، وأثار حفائظهم
فقاموا معه قومة رجل واحد ، فأشعلوا الحرب وأطلق حصن بدبد
مدافعه على قيس ومن معه ، وقد نفذ زادهم لأنهم جاءوا ليقبضوا
الحصن بغير عناء ، واذا به يلهب نارا ويلقى عليهم من لفحة شرارا ،
فتشاور الزعيمان قيس وسعيد ، وتحققا من سلطان برقا خلبا ، فافترقا
من هناك فتوجه قيس الى صحار وسعد الى الرستاق ، وقد فرغ
ما بأيديهما من المال الذي جمعه لرخصة الجيش ، فوقفت الحرب في
الحال إلا أن الضغائن بلغت منتهاها .

ولا شك أن الملك ثمين ولا ينال بالهويينا ولكنه بركوب المخاطر وبقطع
رقاب الأبعاد والأقارب ، وواجه سلطان كل أهل عمان من شرقها وغربها ،
ولباه جميع أهلها واستقر قرار أمره فيه ، وأعلن سيادته عليها ، ولما
كان خصيف بن مطر الهنائي لم يزل في قلب سلطان له حقد لا يزال باقيا
خرج سلطان الى نزوى بصفة سرية ، وكأنه متغافل أمر الرجل أو معرض
عنه فأمر على خادمه سويلم بن سالمين ، ومحمد بن عيسى النيرى
الهنائي أن يرجعا الى مسقط ويتحينا الفرصة لقبض المذكور ، وهو

لا يزال عقيد بيت الفلج ، ولكنه ينزل الى مطرح لحوائجه الخاصة لكنه على حالة حزم وعلى صفة يقظة •

وفي هذه الأثناء يرى أن سلطانا في داخلية عمان ، ولعل حقه قد زال وكان بين خصيف المذكور ومحمد بن عيسى ضغن أيضا ، فساق القدر خصيفا الى مطرح ليقضى بعض أوطاره آمنا من ناحية سلطان والمأخوذ غافل طبعا ، وكان معه اثنا عشر رجلا من جماعته ، وكان سويلم بن سالمين ومحمد بن عيسى النيرى ومن معهم كامنين لخصيف على طريقه ، فما شعر خصيف إلا والقبض يعمل عملته فيه ، وفرعنه جماعته لدهشة راعتهم ، وقبضوا خصيفا وقيدوه وأودعوه السجن ، ومنعوه الطعام والشراب بحسب الأمر حتى مات ، فألقوه في البحر بعيدا وانتهى أمره •

سلطان يزحف على السوق والمصنعة

ولما استقر أمر مسقط وأمر وادي سمائل الذي هو حلقوم عمان ،
زحف سلطان على السوق على أثر قهره لوادي سمائل وطرده لأخويه
قيس وسعيد ، وكانت السوق إذ ذاك في يد سعيد بن الإمام ، فقال
سلطان الملك لا يكون مشتركا لما يخشى فيه من الأحوال التي يعرفها
أهل هذا الشأن ، فسلمت له السوق حين عرفته السلطان لها ، ثم
عطف على المصنعة فلم تبعد عن أختها بعيدا ، وتم له هذا العمل
متتابعا في عهد غير بعيد المدى ، وعند ذلك وجه عزمه الى ما هو أبعد
من هذا فاصطاح مع محمد بن خلفان لما يخشاه من مكره وتدييره .

سلطان يتحفز لحرب شهباز وتوابعها

لما تم الأمر لسلطان كما ذكرنا تحرك لاسترداد المستعمرات العمانية في الخارج ، فقام سلطان في قوته الوفيرة ، وفي عزيمته الشهيرة ، فزحف برجال عمان على تلك البواخر الكبرى التي هي كالجبال الرواسي ، فنزل ساحل شهباز من بلاد مكران ، فسلمت له ما سبق في روعها الخالد أنها بالأمس عمانية ، ولا شك أن اليوم تبع لأمس .

ثم زحف بجيشه الضخم الى القسم وكانت من مهام بلاد بلوچستان ، فاحتلها بعد يسير من الأمر السياسي ، فقويت في ساحل مكران شوكته ، ثم زحف على هرموز التي هي سويس الخليج ، وكان احتلالها بأل معين الذين هم الزعماء فيها ، وكان سلطان يدري من أين تؤكل الكتف ، فأكرم سلطان بنى معين فرفعوا العلم العماني عليها بعد ما غاب عنها عهدا ، وتبدل وضعها .

ثم تابع زحفه الساحق وهجومه المتلاحق على البحرين فاحتلها راغمة ، وقبضها مسالمة ، وولى عليها الشيخ سيف بن علي بن محمد البوسيدى ، وبقي فيها عهدا غير طويل ، ثم عزله وولى عليها ولده سالم بن سلطان ، وكان ولدا صغيرا لم يجرب الأمور كما ينبغي ، ولم يمارسها وفق المطلوب ، فعضده بالشيخ محمد بن خلف الشيعي نظرا الى أن بين زعماء البلاد والشيعية تباينا وتنافساً ، وهذا من أخطاء السياسة .

فلما مضى وقت يسير اذا بعملية أهل البحرين تشرف على النجاح بتجمعهم على سالم بن سلطان واحتشادهم عليه وحصرهم إياه في قلعة عراد ، ثم صور نوع من الصلح وهو إخراج الشيخ الشيعي ومن معه

بما في أيديهم من سلاح وعتاد ، وزاد وزناد ، وخرج الشيعى فأخرج سالم بن سلطان معه وسويلم بن سالمين كذلك وسائر رجالهم الى مسقط ، وقبض شيوخ البحرين بلادهم ووضعوا رئاستهم عليها ، وهجم الزعماء على البحارنة أى الشيعة بعد منصرف سالم بن سلطان وأصحابه منها ، وقتلوا الكثير منهم وأذلوا الأكثر ، وحازوا الأموال وتفرق جمع الشيعة فى سائر البلدان ، وعذبوا الباقيين منهم بها عذابا أليما ونكلوا بهم فوق الحد بدعوى دخول سلطان البحرين ، لأنهم يدعون أن دخوله كان بسببهم ، وأنهم هم الذين حركوه على البحرين واختلاف المذاهب بين الطرفين يؤيد المقصد ، ورأى الشيعة البحارنة من أهل البحرين ما ساءهم فوق الحد وسيأتى لهذا المقام مزيد بيان فى التعليق عليه إن شاء الله .

النعيم يهاجمون صحار

من المصائب في عمان ، ولا مصيبة مثلها معنى الهناوى والغافرى ، وما وضع الشيطان بلية بعمان مثلها ومن أجلها ثورة النعيم على صحار ، إذ تصور لهم أن آل أحمد بن سعيد هناوية يجبون هناوية ويميلون إليهم ويقربونهم أكثر من غيرهم ، فقام النعيم على صحار متذرعين بأن لنا عادات من صحار وما أعطينا إياها ، ودسائس أخرى يحوكها العمانيون وحدهم ، فنزل النعيم في العوهى من اعمال صحار ، وبالقرب منها ، فما شعر أهلها إلا والقوم قد غشوا البلاد يقتلون وينهبون ويفعلون فيها غير الجميل ، ولم يقدر قيس بن أحمد على زعزعتهم منها ، لأنهم كثيرون وبادية البريمي تنساب إليهم زرافات ووحدان ، وأهل الأطماع من طعام الظاهرة كذلك .

ولما رأى قيس أن لا مززع لهم منها ، استغاث بأخيه سلطان وطلب منه النجدة العاجلة لكشف هذا المهمل النازل ، فاستصرخ سلطان أهل عمان الداخلية إلى جعلان ، فجاءه رهط غير هين واستثار أخاه سعيدا حاكم الرستاق خوفا من استفحال الخطب وتعيده الى أبعد ، وكذلك دعا سلطان سيف بن على بن محمد ، واحتشد جند عظيم غصت به صحار وكان قيس يحاول حل قضية القوم بالتى هى أحسن نظرا لشر القوم القريب من صحار منذ عهد سابق ، فكتب الى النعيم أن يرجعوا الى ديارهم بغير قتال ، ووعدهم بالمال الذى يريدونه .

وكان قد استمال من بادية البريمي الظواهر وحلفاءهم ، وقرب أهل ينقل والسليف ، ولما لم يقبل منه الرجوع ولم يريدوا من الحرب ، عبأ كتائبه ورتب جيشه ، وجعل على الخيل سيف بن على بن محمد ،

لأن الخيل تكون في المقدمة ، وبقية القبائل كل قبيلة برايتها ، ومع أميرها ، وانضاف بنو يياس الى النعيم وهم خصوصا أهل دبی وأميرهم هزاع ، وكذلك بنو قتب •

فالتقى القوم بموضع يقال له الدباغ من صحار ، فدارت رحى الحرب فهلك فيها ثلاثمائة رجل من النعيم ، ومائة رجل من قوم قيس وسلطان ، وكانت الهزيمة على النعيم لبغيهم المفرط ، ثم خرج النعيم وقبضوا وادی الجزی ، وهو مضيق معروف نظرا الى أن المناصرين لقيس وسلطان من أهالی منطقة البريمي والظاهرة لا طريق لهم إلا وادی الجزی ، وبالأخص الظواهر ، ووقع في أذهان الظواهر أن شوكة النعيم انخفضت بتلك الواقعة التي تركت القتلى ملء ساحة الدباغ ، ولما توسط القوم في وادی الجزی كر عليهم عدوهم كرة غضب وحقده ، فأنقزل من الظواهر ومن كان معهم قدر ثلاثمائة رجل ورأوا — أى النعيم — أنهم أخذوا ثأرهم ، وارتطوا الى البريمي ، ولما تلاحقوا في البريمي ثارت الحرب بينهم بالغارات والغزوات ، ولم تزل عهدا طويلا ، وأغارت وهيبة على النعيم ، فهجموا على القبائل فقتلوا من النعيم عدة رجال ، وأغار سلطان على دبا عن طريق البحر ، فقتل من قوم الشرقي ... والنقبين جملة ، وأفسدت الدروع السبل ، وخوفت الناس ومازال التعصب يواصل أعصابه حتى جاء سلطان بن الإمام الى تلك الجهات فسد الأحوال وأطفأ نيران الضلال •

سلطان يقوم ببناء حصن الفليج

نظر سلطان بن الإمام أحمد أن لا بد للعائلة من مكان خاص لائق بعيد عن العواصف وهيشات الحروب ، فاختر واحة الفليج لقربها من بركا ومن مسقط ، وغير بعيدة من وادي سمائل الذي كان يألفه سلطان في واحة مطلقة الهواء لينة الموطىء منحازة عن معرات الجيوش ، وهى واحة الفليج التى بين بركا ونخل والطو ، فبنى سلطان ذلك البيت الحلو الأنيق فى مدة وجيزة ، وأسكن فيه بعض أهله ، وكان كثيرا ما يتردد عليه ويقيم فيه ، وولى على مسقط بعد موت خلفان بن ناصر البوسعيدى الوالى بها سيف بن مسعود البوسعيدى ، ثم عزله عنها وولاه بهلى ، وولى على مسقط سليمان بن سيف بن سعيد الزاملى ، ثم لم يطل عهده وولى عليها ماجد بن خلفان بن محمد الوكيل البوسعيدى ، ثم أخرجه وولاه الشرقية وجعلان وصور ، وولى على مسقط بعده سيف بن محمد ثم عزله ، وولى عليها خصيف بن خميس بن حمدون الوهيى ، ثم ولى عليها بعده خلوف مولى لبني هناة ، ثم ولاها بعده سيف بن حفنك البوسعيدى ، ثم ولاها بعده سيف بن محمد البوسعيدى ، ولم تنزل ولاته تتخالف عليها ، ولم يزل مهتما بها كل الاهتمام ، ويدير الآراء بشأنها فى كل آن .

ثم أقبل عليها بهمة فعالة ، فبنى فيها قصر العلم ، ذلك القصر الضخم الرائع ، وجعلها وطنه الخاص ، وهو أول من تلقب بالسيد من أولاد الإمام أحمد بن سعيد ، وعلى أثر هذا العهد أوفد عبد العزيز السعودى الى عمان عبدا نوبيا من عبده ليفتح له ثغرة بعمان ، ويبنى له فيها بناء جديدا تسجله الأيام فى تاريخ السعودية فى عمان ، حين ظل أمراء عمان من آل أحمد بن سعيد يتقاتلون على الملك ، وبتهارشون على الدنيا خلافا لسبيل المسلمين وعدم اهتمام بأمر الدين .

الاضطراب في عمان في عهد سلطان بن الإمام

كان سلطان بن الإمام تزوج بنت ناصر بن محمد الغافري أخت حميد بن ناصر ، فتوفيت عنده فطلب سلطان ميراثه من أخيها حميد فلم يتيسر له شيء منه ، بدعوى أن كل ما بيده هو بيت مال لا إرث فيه لأحد ، وامتنع حميد من دفع شيء لسلطان بن الإمام من تركه أخته ، فوقع في النفوس أمر كان سبب التنافر والثقاق بين سلطان بن الإمام وحميد بن ناصر ، فطلب سلطان مواجهة حميد ، فامتنع حميد خوفا من سلطان يقبض عليه ، فتحقد سلطان وأضمر السوء لحميد بامتناعه من تسليم الإرث له وعدم إجابته لدعوته ، فدس سلطان على حميد الدسائس من جهات شتى ، وبأنواع مختلفة النواحي ، ومنها أرسل من مسقط أحمد بن يوسف بن موسى الشيعي لكسر مدفع ضخم أمام حصن جبرين ، كان من الصفر وكان هذا الشيعي صفارا أى يعمل من أجل الصفر وأنواع منها ، فسار الى نزوى وأقام بها صفارا ثم طلبه حميد الى جبرين ليعمل له مراحل كبيرة ، ولما رأى الفرصة سانحة عمل عملياته في كسر المدفع الصفر المذكور فكسره ، ثم هرب بالليل الى مسقط وكان ذلك المدفع من أشهر المدافع في قصر جبرين ففضى عليه .

قال ابن رزيق : فكثرت الغزوات والغارات ، وتقائم القتل ومالت النزارية كما هو تعبيره بذلك ويعنى به الغافية . قال : مالت النزارية وحلفاؤهم من أهل الحمراء والجبل وسيفم والظاهرة الى حميد بن ناصر ، فكان هو القطب .

قال في شأن الوالى سيف بن مسعود : فوقع القتل بينه وبين أهل جبرين ، وأصابه جراح برصاصة من إطلاق نيران القوم ، فرجع هو

وقومه الى بهلى متجيزا بها ، فعاش ثلاثة أيام ، فمات في بهلى وظلت
الحال تسير على هذا الحال ، ومن المعقول اذا كانت الأمة لا جامع لها
تحت راية وحدة لعب بها الشيطان وأغرى بعضها على بعض ، فكان ذلك
أعضل أدوائها وأصعب أمراضها ، وهنا تغلغل هذا الداء وكاد لا يزول
ولا يزال له عروق تنبض به لتمزيق عمان ، اللهم إلا اذا كان للأمة جامع
قوى من عدل وإنصاف ، وإنزال الناس منازلهم وتأييد الحق أين كان ،
وممن كان وإلا فالأمر جلل والداء عضال •

سلطان بن الإمام يتهيا للحج وفي النفس مآرب أخرى

في سنة ثمانى عشرة ومائتين وألف ، تهيأ سلطان بن الإمام للحج ، فاصطحب من أهل عمان جملة من رؤسائها من شمال عمان منهم الشيخ محمد بن مطر الشرقى صاحب الفجيرة ، ومهنا بن سليمان اليعربى ، والشيخ ربيعة بن أحمد الرواحى •

ولما مضى على توجههم الحج بعض الأيام ، وتحقق ذلك بدر ابن سيف بن الإمام أحمد ، قام بمن معه وكان يسكن حبرى من بلدان وادى المعاول ، فدخل مسقط ليلا ومعه بعض الرجال ، فدخل على ماجد بن خلفان بن محمد الوكيل البوسعيدى ، وتعاهد هو وإياه على أخذ الحصن الشرقى من مسقط ، وكان سلطان ترك فيه أحد خادمه يقال له كومبو بضم الباء الموحدة بعدها واو أميرا على الحصن • وكان عتيقا شقيقه سيف ابن الإمام والد بدر المذكور واختفى بدر عن الناس هو وأصحابه في الليلة التى دخل فيها مسقط فى بيت ماجد بن خلفان ، فلما كانت الليلة الثانية ليلة العملية مضى بدر الى الحصن الشرقى وبصحبتة خادمه براكا المعروف بالصرملة بسكون الراء المهملة وكسر الميم وتشديد اللام المفتوحة عتيق والده أيضا سيف بن الإمام ، وخمسة رجال من أصحابه ، وحمل معه كيسا فيه ألف قرش ، ولما وصل هو وأصحابه عند باب الحصن نادوا (كومبو) فأشرف عليهم من كوة بالحصن قائلا : من أنتم ؟ فقال له بدر أنا مولاك بدر بن سيف بن الإمام أحمد ، افتح الباب لأدخل معك لقصد المفاهمة ، وهذا لك ألف قرش مقدما (فأدلى كومبو) له قفيزا

ويحذف أهل عمان نقطة الزاى فيجعلونها راء مهملة ، فلما وصلت الدراهم الى (كومبو) قال لبدر ارجع الى ورائك وإلا أطلقت عليك الرصاص ، ثم رماهم بحجر فرجعوا بالخيبة •

فلما رجعوا الى ماجد بن خلفان ، قال لهم : إياكم والمبيت في مسقط ، فرجع بدر وأصحابه من ليلتهم الى حبرى ، ثم توجه منها لنجد ، وكان مر على عجمان عند صديقه راشد بن حميد النعيمي ، ثم توجه الى الدرعية فألقى ما عنده الى الأمير عبد العزيز إمام الدرعية فتحالف معه •

ولما رجع سلطان من الحج أخبر عن شأن بدر وعمله قيّد ماجد بن خلفان ، وسأل عن الخادم (كومبو) ماذا صنع ، فأخبر أنه قبض الدراهم وطرد بدر وصحبه ، وقبض على الصرمة براكا وقيده في الحصن الغربى ، وقطع عنه الطعام والمشرب حتى مات ، ثم أمر به فألقى في البحر ، وأما بدر فقد اتصل بالدرعية فاهتم من أجله كثيرا لأن الخطر لا بد أن يكون هاما جدا ، وليته مكث في حبرى أو في بعض بلاد عمان فإن مسيره الى الدرعية فيه الرزية من قبل أهل الغرب وكان في العرف العام بعمان إطلاق لفظ الغرب على أهل نجد ومن إليهم ، وبذلك كانت لأهل الغرب طرق لغزو عمان مهدها الأمراء المتنافسون على الملك الذين لا يراعون إلا نفس الرئاسة ، على أى حالة كانت ، وبذلك انجر حبلهم حتى امتد الى عمان بواسطة القبائل والزعماء الذين أشرنا إليهم ، ومن جر العدو على وطنه ضايقه في سكنه وأذله في أهله وتسلط عليه ، ومن ذلك أغار بدو البريمي والظاهرة على مسارح الباطنة من السويق وحواليها ، وعندهم من طعام بدو عمان أخلاط ، وكان سلطان في بركا ، فلما وصله الخبر ونمى إليه الصريخ أمر على محمد بن حمد الوهيبي ومن معه من آل وهيبة ، وكانوا المقربين معه •

فخرج الراكب في طلب الغزاة المشار إليهم ، وها قد دخلوا وادي
الحيمل فقتلوا بالوادي المذكور ، ولكن الغزاة تمكنوا من قبض
الطريق ، وجاء آل وهيبة يسيرون في بطن الوادي ، فأطلق عليهم
الرصاص من رعوس الجبال ، فانقتل الشيخ الوهبي وأكثر رجاله ،
ولم يسلم منهم إلا القليل ، فلما وصل خبرهم الى سلطان تأثر منه
وضاق به صدره وعيل وصبره وخاف ما هو أكبر منه ، فانقل من بركا
الى الفليج واستدعى والي نخل مهنا بن محمد بن سليمان اليعربي ،
وتفاهم معه واتفقا على طلب أهل عمان لهذا الصدد المهم ، فإن له
ما بعده من أمر القوم ولا تدري النهاية ولا يعرف المصير .

سلطان بن الإمام وأهل عمان يعقد مؤتمرا في بركا

دعا سلطان بن الإمام بقبائل عمان الداخلية الى جعلان ، وعين لهم الاجتماع ببركا ، ف جاء الكثير منهم وكذلك أعيان آل بوسعيد أولاد عمه وإخوته أولاد الإمام أحمد بن سعيد ، وهم أحمد بن سعيد بن الإمام ، وعزان بن قيس بن الإمام ، وطلب بن الإمام ، وأخوه محمد بن الإمام ، وسيف بن علي بن محمد والمشايخ ومحمد بن خلفان بن محمد ، وأخوه ماجد بن خلفان بن محمد ، والشيخ ماجد بن سعيد البروانى ، ووالى نخل المقدم الذكر مهنا بن محمد بن سليمان اليعربى ، والشيخ حجبى ابن سعيد الحسنى وسالم بن على العلوى ، والشيخ عيسى بن صالح الحارتى ، وخادم بن محمد الهاشمى ، وكان المجتمع بحصن بركا ، ولما استقر بهم الجلوس ، افتتح سلطان الكلام ، وأخبر الحاضرين عن قتل أصحابه ، وأنه متأثر بقتلهم حتى قال فى نقل ابن رزيق : فبقيت ككف بلا أصابع ، وهذه الحرب متقاومة علينا من كل مكان ، ومن كان لى محبا صار لى عدوا ، ومن زعم أنه لنا صديق فهو لنا غير نافع فى حزات الضيق .

وهو يشير بذلك الى أناس من أهل عمان . قال : فما رأيكم فى هذا الشأن ؟ فسكت القوم وبقوا كل طائفة تنتظر جواب الأخرى ، وحتى تكلم الشيخ سيف بن على محمد البوسعيدى ، وها نحن نحررها بفحواها لا بنقل ابن رزيق .

قال : إن أهل عمان باقون على ولائهم ثابتون على عهدهم ، لهم شدة وصبر على الحرب ، لا يرهبون الأعداء ولا يخافون ، وما محمد بن حمد الوهيبى ، إلا واحد من كثير وكذلك أصحابه ، وفى عمان من هم

أشد لقتال الأعداء فمن ذكرت ، وأثبت في الأزمات • فما نحن بجازعين من الوهابية وغيرهم من الأعداء فإن قلوبنا التي نعصى بها الأعداء في صدورنا ، والسيوف التي نضربهم بها على أكتافنا ، وما خضاب الرجال إلا الدم ، فطعم الحرب لنا كالمز والسلوى ولا خير في مقال لا تركيه أفعال ، وليعلم النجديون والأضداد المجاهرون أن منقلب ينقلبون •

ثم سكت فتكلم بعده آل بوسعيد مؤيدين لمقاله ، وقال أكابر عمان والشرقية وبدية وجعلان : ما أحلى لنا حرب الطاغين •• والباغين ، ففى أعيننا كثيرهم قليل وفى قلوبنا عزيزهم ذليل ، يأبى العزيز أن يعيش ذليلا ، فبينما هم كذلك فى هذا المجال وتداول المقام ، إذ ورد على سلطان رسول من قيس بن الإمام يحمل كتابا منه يقول فيه : إن الحريق أحد خدام عبد العزيز وصل ، وأنه ضرب معسكره بالعوهى بفتح العين المهملة وسكون الواو وكسر الهاء بعدها ياء مثناة من تحت من أعمال صحار ، ويسأل أخاه سلطانا النجدة قبل استفحال الخطب ، ويستحثه بالوصول إليه ، فليرجع كل واحد منكم الى بلده وقومه ، وليأتنى بما عنده ومن هم فى طاعته من الرجال ، وجعل موعد اللقاء الخابورة دون صحار ، وافترقوا على هذا ومضى سلطان معه محمد بن خلفان وأخوه ماجد الى مسقط للاستعداد المستعجل ، وحالا أمر سلطان بشحن العدة والعتاد وآلة الحرب فى باخرته الكبرى الفلك من مخلفات الدولة اليعربية عليها السلام ، وحملها جميع ما تدعو إليه الحاجة من الأمور الحاجية ، ومضى بحمولته وتوجه سلطان على طريق البر فعسكر بالخابورة لتلقى القوم بها •

وجاءت القبائل العمانية تترى من كل صوب : فكان الجيش اثنى عشر ألف رجل ، ولن يفلت جيش هذا عدده بشهادة الرسول عليه الصلاة

والسلام ، ولما بلغ الحريق هذا الأمر الذى قام به قيس وسلطان ، لم يتمالك لقلع مخيمه ، بل أشعل النار فيه روعا واستولى عليه الذعر ، فهرب بأسرع ما يمكن ، ولم يتراجع إلا فى البريىمى ولم يبق بها عهدا بل سرعان ما ارتحل الى نجد ليلقى مهمته الى سيده ، وزحزح الله شره
• وصرى بلاءه حالا •

وعند ذلك جاء شيوخ البحرين مذعنين لسلطان خوفا منه حيث بلغهم الحريق وجنده ، خافوا من سلطان أن يرد الكرة عليهم •

وفى هذه الأثناء اصطلح الحال بين سلطان وحميد بن ناصر الغافرى ، ولا شك أن القوة هى التى تمهد طرق السيطرة وتدعم السلطان ، لو أن لى بكم قوة ، وعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، إنى عليه لقوى أمين •

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٥	الإمام سيف بن سلطان ينظم الجيوش
٦	الجيش البرى بعمان
٧	الجيش البحرى العمانى
٩	الإمام سيف بن سلطان يقبل على عمران عمان
١٢	سلاح الدولة اليعربية
١٣	الإمام سلطان بن سيف بن سلطان
١٥	عقد البيعة للإمام سلطان بن سيف
١٨	الإمام سلطان يتحفز لجهاد الأعداء
٢٣	إمامة الإمام مهنا بن سلطان
٢٩	إمامة يعرب بن بلعرب بن سلطان بن سيف
٣٢	الإمام يعرب يخرج الى جرنان
٣٥	محمد بن ناصر الغافرى يعيد الحرب سيرتها الأولى
٣٩	مالك بن ناصر يثير حربا بغير هدى من الله
٤٥	محمد بن ناصر وخلف بن مبارك يقتلان فى عمان بأهل عمان
٥٠	خلف بن مبارك يحاصر الرستاق
٥٢	محمد بن ناصر يزحف على بلاد سبت
٥٣	عودة محمد بن ناصر الى نزوى للنظر فى الأحوال
٥٧	خلف بن مبارك يزحف لحرب نخل
٥٩	محمد بن ناصر يجهز الجيوش لحرب الجبوس
٦١	محمد بن ناصر يتجهز لحرب الرستاق
٦٤	إمامة بن ناصر الغافرى
٦٦	الإمام السالى يناقش القضية

الصفحة

الموضوع

- ٦٨ الحسد عند الشر
- ٧٢ مانع بن خميس يلتجىء بالنعيم
- ٧٣ الإمام محمد بن ناصر يهاجم أهل ولاية سمائل
- ٧٥ محمد بن ناصر يلاقى خلف بن مبارك في حيل العوامر
- ٧٧ محمد بن ناصر والمعاول
- ٧٨ محمد بن ناصر يهاجم بغاة البدو من عامر بن ربيعة
- ٨٠ محمد بن ناصر يسوق زعماء وهيبة لواحة جبرين
- ٨٢ ينقل تظهر الخلاف لمحمد بن ناصر وتعرض للهجوم
نهاية المزاولة بين محمد بن ناصر وخلف بن مبارك
- ٨٤ والصراع المرير
- ٨٨ إمامة سيف بن سلطان بن سيف
- ٩٣ إمامة بلعرب بن حمير
- ٩٤ الحرب يقيمها الإمام بلعرب على سيف بن سلطان
- ٩٥ الزحف على بنى هناة في بلاد سبت
- ٩٦ الزحف على جبرين وفيه بنو هناة
- ٩٧ سيف بن سلطان يجرد الأعداء على عمان
- ٩٨ طلب سيف بن سلطان عن العجم النصره على أهل عمان
- ١٠١ سيف بن سلطان يواصل جيوشه من العجم على أهل عمان
- ١٠٢ العجم يعيشون في نزوى
- ١٠٥ سيف بن سلطان يتغلب على الأمر بعمان
- ١٠٩ إمامة سلطان بن مرشد اليعربى
- ١١٠ سيف بن سلطان يستعد لمصادمة الإمام ثم ينهزم
أحمد بن سعيد بن أحمد البوسعيدى يبرز في الميدان ليتولى
- ١١٣ ملك عمان
- ١٢٢ العجم يتزلون خورفكان

الصفحة

الموضوع

- ١٢٤ العجم وحصارها لحصن صحار
١٢٦ الإمام سلطان بن مرشد يتوجه لحرب العجم الذين بصحار
١٢٨ أحمد بن سعيد يزحف الى بركا ليتولاها
١٢٩ أحمد بن سعيد يستعمر بركا ميناء لعمان بدل مسقط
١٣٤ أحمد بن سيد يأخذ ثار العمانيين من العجم
١٣٧ أحمد بن سعيد يعيد خميس بن سالم لمسقط
١٣٨ أحمد بن سعيد يزحف الى الداخلية
١٣٩ أحمد بن سعيد وبلعرب بن حمير
١٤٢ أحمد بن سعيد في طالعه السعيد
١٤٦ أحمد بن سعيد وزعاء بنى غافر
١٤٩ أخلاق أحمد بن سعيد وصفاته
١٥٤ أحمد بن سعيد يناصر الدولة العثمانية على العجم بالبصرة
١٥٥ الظاهرة وأحمد بن سعيد
١٦٢ أحمد بن سعيد يجهز ولده هلالا لحرب الظاهرة
١٦٥ أحمد بن سعيد يثمن الحرب على نخل
١٧٠ سيف وسلطان أبناء أحمد بن سعيد يحتلان مسقط
١٧٥ مقام أحمد بن سعيد من الناس
١٧٧ وفاة أحمد بن سعيد الإمام
١٧٩ أولاد أحمد بن سعيد
١٨٢ سعيد بن أحمد بن سعيد الإمام
١٨٦ حمد بن سعيد بن الإمام أحمد بن سعيد
١٩٧ الحرب بين المعاول وأهل نخل
٢٠٠ أعمال حمد بن سعيد أيام دولته
٢١٠ المحل يحل على عمان في عهد حمد بن سعيد
٢١٢ سعيد بن الإمام أحمد والعبريين

الصفحة

الموضوع

- ٢١٥ قيام الشيخ أبى نبهان للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٢٢٣ سلطان بن أحمد يحتل ملك عمان
٢٣٠ محمد بن خلفان يتحفز لحرب سلطان
٢٣٤ سلطان بن الإمام يحصن مسقط
٢٣٥ قيس وسعيد ابنا الإمام يحاولان حرب سلطان
٢٣٩ سلطان يزحف على السويق والمصنعة
٢٤٠ سلطان يتحفز لحرب شهباز وتوابعها
٢٤٢ انعيم يهاجمون صحار
٢٤٤ سلطان يقوم ببناء حصن الفليج
٢٤٥ الاضطراب في عمان في عهد سلطان بن الإمام
٢٤٧ سلطان بن الإمام يتهياً للحج وفي النفس مآرب أخرى
٢٥٠ سلطان بن الإمام وأهل عمان يعقدون مؤتمرا في بركا

حقوق الطبع محفوظة لدى
وزارة التراث القومي والثقافة
ص.ب: ٦٦٨ - الرمز البريدي: ١١٣ مسقط
سلطنة عُمان

رقم الإيداع : ٩٥ / ٢٤١

